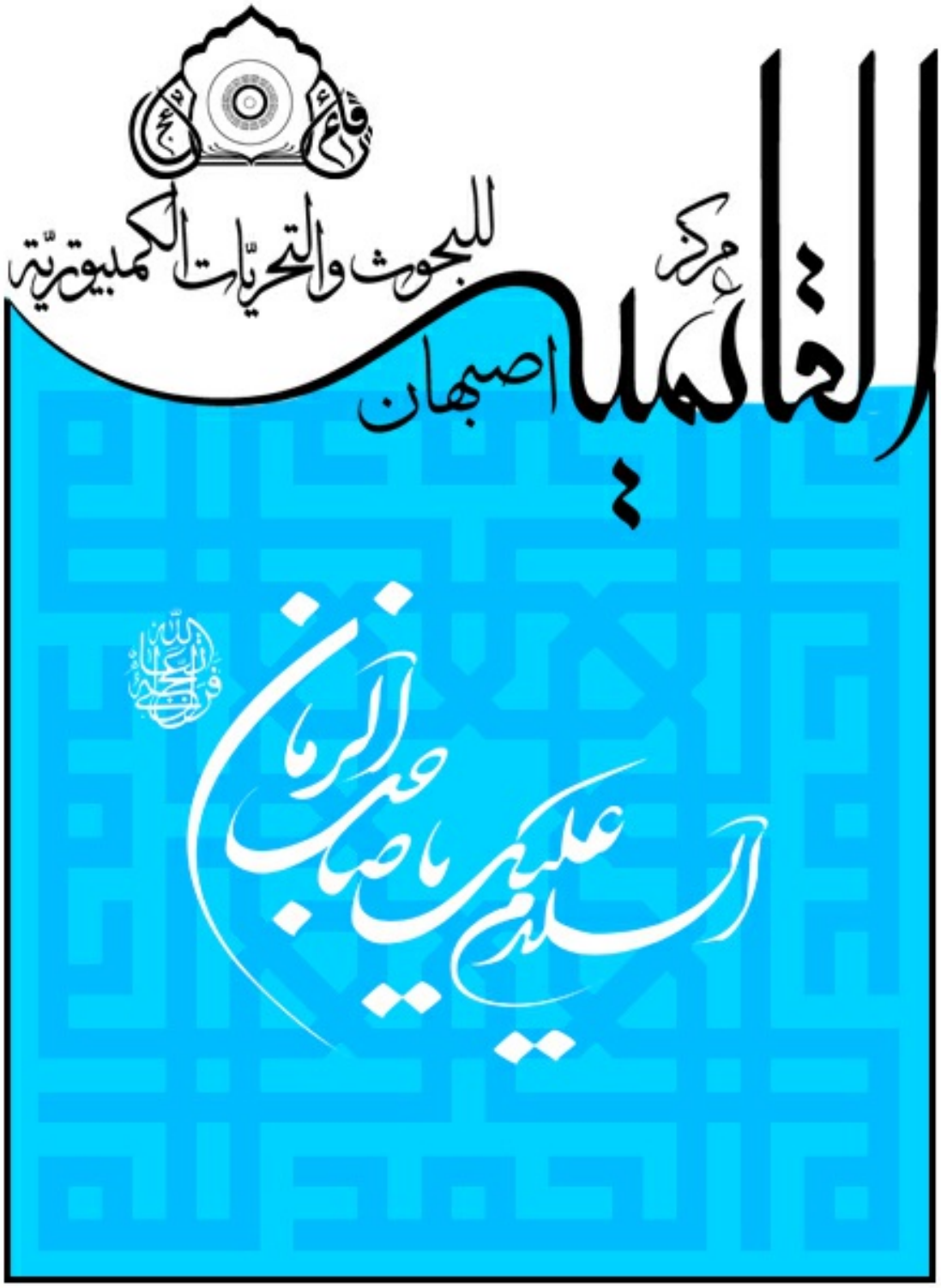

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

مقدمة شرح نهج البلاغة

للإمام العلامة كمال الدين ميثم البحراني
المتوفى سنة ٦٧٩ هـ

- فن البلاغة والخطابة وفضائل الإمام علي -

تقديم وتحقيق
د. عبد القادر حسين
أستاذ البلاغة بجامعة الأزهر

دار الشروق

بسم الله الرحمن الرحیم

مقدمة شرح نهج البلاغة

كاتب:

كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم بحراني

نشرت في الطباعة:

دار الشروق

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

مقدمة شرح نهج البلاغة 8

هوية الكتاب 8

اشارة 8

مقدمة محقق 12

مقدمة مؤلف 26

القاعدة الأولى 36

الفصل الثاني 40

الفصل الثالث 51

الفصل الرابع 58

الفصل الخامس 62

القسم الثاني 71

البحث الثاني: في موضوع علم الفصاحة والبلاغة. 72

الجملة الأولى في المفردات 76

الفصل الأول 77

الفصل الثاني 84

الباب الثاني 95

الفصل الأول 96

الفصل الثاني / [26 ب] 101

الفصل الثالث 110

الفصل الرابع 127

الفصل الخامس 136

الفصل الأول 139

الفصل الثاني 142
الفصل الثالث 150
الفصل الرابع 158
الفصل الخامس 161
الفصل (السادس) 164
البحث الأول: في حقيقة الخطابة وفائدتها: 171
البحث الثاني: في موضع الخطابة وأجزائها: 173
البحث الثالث: في مبادىء الخطابة: 175
البحث الرابع: في أقسام الخطابة بحسب أقسام أغراضها: 181
البحث الخامس: في أنواع مشتركة للأمور الخطابيّة الثلاثة. 188
البحث السادس: في تحسينات الخطابة: 192
خاتمة لهذه القاعدة: 197
الفصل الأول 201
الفصل الثاني 212
الفصل الثالث 217
فهارس الكتاب 231
فهرس الآيات القرآنية 233
فهرس الأحاديث النبوية 238
من أقوال الإمام علي كرم الله وجهه 240
فهرس الأمثال 242
فهرس الأبيات 244
فهرس أنصاف الأبيات 250
فهرس الأعلام 252
مصطلحات لغوية 264
الطوائف 266

مصطلحات منطقية 267

المراجع 269

فهرس الموضوعات 275

تعريف مركز 279

مقدمة شرح نهج البلاغة

هوية الكتاب

مَقَدَّمة شَرحِ نهج البلاغة

للإمام العَلامَةِ كَمَالِ الدِّينِ مَيْثَم البَحراني

المتوفى سَنَة 679 ه-

فَنّ البَلاغَةِ والخَطابَةِ وفَضائِل الأمام علىّ

تقديم وتحقيق

د. عبدالقادر حُسَين

استاذ البلاغة بِجَامِعَة الأزهر

دار الشروق

محرر رقمى: روح الله قاسمي

ص: 1

اشارة

مَقَدمَه شَرح

نهج البلاغة

ص: 2

الطبعة الأولى 1987 م - 1407ه

جميع حقوق الطبع محفوظة

دار الشروق

مقدمة محقق

منزلة علي بن أبي طالب:

كان الرسول صـلى الله عليه و آله و سـلم يحب علياً حباً جماً، ويقربه منه؛ فهو ابن عمه، وهو الذي افتداه بنفسه يوم تآمر المشركون على قتله فبـات في فراشه، وهو أول من أسـلم من الصبيان، فكان الرسول يعظمه ويكنيه بأبي التراب، وما كان لعلي كرم الله وجهه اسم أحب إليه من أبي التراب، وكان يفرح إذا دعى بهـذه الكنيـة؛ لأن الرسول هو الـذي أطلق عليه هذه الكنية؛ فقد جاءه الرسول وهو مضـطجع بالمسـجد قد سقط رداؤه عن شـقّه فأصابه تراب فجعل رسول الله صـلى الله عليه و آله و سلم يمسحه عنه ويقول: قم أبا التراب، قم أبا التراب وعلي بن أبي طالب من أهل البيت الـذين حرمت عليهم الصدقـة؛ لأن من أوساخ الناس، فهي تطهرهم من الرجس والأدران التي علقت بهم، والله يريد أن يذهب عن أهل بيت الرسول الرجس ويطهرهم من أوضارها: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً) فقد قام رسول الله يوماً خطيباً بماء يـدعى خمّاً بين مكـة والمدينـة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكّر، ثم قال: ... وأهل بيتي، أذكركم الله من أهل بيتي، فقال حصـين بن سبْره ليزيد بن حيان – ، وكانا يستمعان إلى خطبة رسول الله – ، ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نسـاؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرُم الصدقـة بعـده، قال: و من هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس. قال: كل هؤلاء حُرِم الصدقة؟ قال: نعم.

ومن شـدة تقدير الرسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم لعلي بن أبي طالب أنه أسـند إليه راية الجهاد في غزوة خيبر؛ لما يعرفه عنه من قوة الشكيمة، وشدة البأس،

وصـلابة القتال، في الوقت الذي يطمح فيه جمع من الصـحابة رضوان الله عليهم إلى هذا الشـرف العظيم، وباتوا وكلهم يرجو أن ينال الراية ويحظى بهذه المنزلة.

قال رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم يوم خيبر: لأعطينّ هـذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحب اللهَ ورسوله، ويحبه اللهُ ورسوله، قـال: فبات الناس ليلتهم يتحـدثون في ذلك: أيهم يُعطاها؟ فقال: أين علي بن أبي طالب؟ ... فأرسـلوا إليه، فأتى به، فأعطاه الرايـة ... وقال: فوالله لأـن يهـديَ الله بـك رجلاًـ واحـداً خير لـك من أن يكون لـك حمْر النَّعَم، وحمر النعم هي الإبـل الحمر؛ وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه.

وكان الرسول صـلى الله عليه و آله و سـلم ينزّل علياً منه منزلة هارون من موسـى، وأن يخلفه في قومه وأهله ليعنى بشئون أسرته، ويقوم على أمورهم، ويحمل همومهم.

فعن سعد بن أبي وقاص قال: خلّف رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عليّ بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله، تخلّفني في النساء والصبيان، فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى.

كـل ذلك يـدل على منزلـة عليّ من الرسول، والتصاقه به، وحبه له، فهو يسـند إليه رايـة القتال في غزوة خيبر، ويخلفه في أهله في غزوة تبوك فيفتح الله خيبر على يديه، ويحسن الخلافة في بيت رسول الله. فينال رضا الله وينال رضا رسول الله.

أدب علي بن أبي طالب:

وقـد كـان الإمـام علي بن أبي طـالب إمامـاً في الخطابـة وإمامـاً في تنـاول الأسـلوب العربي والبيان العربي، وأعظم دليل على ذلك، «نهج البلاغة» الذي يعد أساساً من أسس البلاغة العربية بعد القرآن الكريم والبلاغة

النبوية الشـريفة، فنلحظ فيها أن علياً جمع بين روائع البيان الجاهلي المبني على الفطرة السـليمة وبين البيان الإسلامي المبني على المنطق القوي، فكان له بهذا الجمع بين بلاغة الجاهليين وبين بلاغة الرسول صـلى الله عليه و آله و سلم ما حدا ببعض القائلين أن يقول: كلام عليّ دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين.

فقد تهيأ لعلي كرم الله وجهه ما لم يتهيأ لأحد من الناس: فقد نشأ في ربوع البلاغة، في المحيط الذي تسمو فيه الملكات، وتنمو على الفطرة القويمـة، وقد تربى في حجر رسول الله الذي دانت له أساليب البيان، وتلقى عنه رسالته بكل ما فيها من إيمان وصدق وحرارة، بالاضافة إلى هـذا الاسـتعداد الهائل والموهبـة الفـذة التي حباه الله بها. فكان يسـتخدم من الألفاظ ما يدعوك إلى التأمل فيها، فإذا تأملتها وجدتها تفتح أمامك الأبواب المغلقة كما تفتح أمامك آفاقاً من النظر دونها كل كلام آخر. فنراه يرتجل خطبة ويلقيها بداهة دون تحضير سابق، ومع ذلك فهي تخاطب العقل والوجـدان، فهو يتناول شـئون الناس وأحوال الـدنيا ووصف الطبيعـة بمنطق الحكيم الخبير الـذي لا يخلو من العاطفة الجياشـة التي تمـد هـذه الخبرة وهـذه الحكمـة بوهج المشاعر الفياضة فتسـري فيها الحياة قوية متجددة. هذا الامتزاج بين العقل والعاطفة يسـري في نهـج البلاغة حيثما توجهت في عنفه وغضـبه، أو في رقته وعطفه. فحظه من الذوق الادبي الخالص حظ وفير، واحساسه بالجمال إحساس باهر قلّ أن تجـد له نظيراً بين قرنائه، فقـد كان مطبوعاً على البيان الساحر يرى الشـيء ويعيه ثم ينطلق معبراً عنه في بساطـة وتلقائية وصدق، والصدق هو الأساس الأول في أي تعبير فني، فإذا اعتراه التكلف أو وسم بالتمحل فقدْ فقدَ صفة الفن القويم؛ لأنه فقد صفة الصدق والطبع السليم.

وإذا كانت البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته. فبهذا المقياس الذي لا يخطيء نجد علياً قد البلاغة من أطرافها

كافة، فقد بلغ من البلاغة مبلغاً لا يصل إلى أطرافه أحد من الناس – إذا استثنينا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم – فإنشاؤه بليغ يجمع بين الألفاظ الحلوة التي لا تشرد ولا تغترب، وبين المعاني العميقة التي لا تبتذل ولا تغمض، فهو رقيق الحاشية في المواضع التي تحتاج إلى الرقة، عنيف أشد العنف في المواقف التي تحتاج الى الشدة، فيعطي لكل حال لبوسها ويوفق في حالة الرضا كما يوفق في حالة السخط. فأسلوبه رصين، ومعانيه متدفقة، وذوقه سليم، لا يتكلف ولا يتمحّل، وطبعه صاف نقي لا يغالي ولا فهو السجع الحلو الذي لا صنعة فيه ولا مراء يكذب، حتى إذا سجع وإنما يتطلبه المعنى، بحيث إنك لا تستطيع أن تستبدل به لفظاً عن لفظ، ولو فعلت لخبا ضوء الكلمات، وتبدد إشراقها، كما يفقد المعنى جلاله، ويضيع عمقه، فالسجع عنده ضرورة فنية يقتضيها المقام ويتطلبها المعنى وليس أقل من ذلك.

ونستطيع أن نقول إن عليّ بن أبي طالب قد بلغ من قوة بيانه – في العصر الجاهلي أو عصر الخلفاء الراشدين – مبلغاً لم يصل إليه واحد من أعلام الخطابة في هذين العصرين أو في العصور اللاحقة لهما؛ لما فطره الله عليه من سحر البيان وما أفاض به عليه من ذوق رفيع، وما منحه الله من علم انفرد به عن أقرانه، فكان قوي الحجة، ساطع البرهان صادقاً في أقواله وخطبه التي يرتجلها ارتَجالاً دون تحضير سابق، فكان يكشف معادن الناس، ويصف أخلاقهم وطباعهم في تلقائية قل أن تجد لها نظيراً عند الخطباء الماهرين في أي عصر من العصور. لذلك تجد كثيراً من أقواله تجري مجرى الأمثال السائرة والحكم البليغة من حيث صدقها و عموميتها التي تجعلها صالحة لكل زمان ومكان.

فعليّ بن أبي طالب بهذا المقياس أديب من أمهر الأدباء، خطيب عظيم الشأن بين الخطباء، تمرّس بأساليب البلاغة وملك ناصيتها، فكان له هذا النتاج العظيم الذي يتمثل في نهج البلاغة خطباً وحكماً ووصايا

وكتباً. وصدق قول القائل: إن كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق.

وقد نسب جمع كتاب نهج البلاغة بجميع أغراضه من خطب وكتب ومواعظ وحكم إلى الشريف الرضي والمتوفي 406 ه) عند معظم المحققين من العلماء، إلا أن القليل منهم قد شكك في نسبة جمع هذا الكتاب إلى الشريف الرضي فعزا جمعه إلى أخيه الشريف المرتضى (المتوفي 436 ه) ومن هؤلاء العلماء ابن خلكان (المتوفي 681 ه -) قال: «وقد اختلف الناس؛ هل هو جمعه، أي: «الشريف المرتضي» أم جمع أخيه الرضي (1).

وقد سار على هذا الرأي الذهبي (المتوفي 748 ه) فجزم بأن واضع الكتاب هو الشريف المرتضي (2).

ومهما يكن من شيء فإننا نجد نصّاً صريحاً يشير بل يجزم إلى أن الذي جمع خطب الإمام علي وكتبه ومواعظه وحكمه هو الشريف الرضي، وليس أخاه الشريف المرتضى؛ ففي كتاب حقائق التأويل في متشابه التنزيل لمؤلفه الشريف الرضي؛ نراه بعد ان يصف الإمام علياً بأنه انفرد بطريق الفصاحة التي لا تزاحمه عليها المناكب، ولا يلحق به الكادح الجاهد، يقول: «ومن أراد أن يعلم برهان ما أشرنا إليه من ذلك، فلينعم النظر في كتابنا الذي ألفناه ووسمناه بنهج البلاغة، وجعلناه يشتمل على مختار جميع الواقع إلينا، من كلام أمير المؤمنين في جميع الانحاء والأغراض، والأجناس والأنواع: من خطب وكتب ومواعظ وحكم، وبوّبناه أبواباً ثلاثة، ... وقد عظم الانتفاع به، وكثر الطالبون له، لعظيم قدر ما ضمنه: من عجائب الفصاحة وبدائعها، وشرائف الكلم ونفائسها، وجواهر الفِقر - الجمل المختارة - وفرائدها (3) ت.

1- وفيات الأعيان 3 / 416.

2- ميزان الاعتدال 3 / 124.

3- حقائق التأويل 5 / 167 ط بيروت.

ففي هذا النص ما يؤكد لنا أن الذي جمع هذا الكتاب ووسمه بنهج البلاغة هو الشريف الرضي دون شك أو لبس.

وقد أثار محققا نهج البلاغة بشرح الامام محمد عبده في الدراسة التي قاما بها عن هذا الكتاب ان «شروح نهج البلاغة بالعربية والفارسية قد نيف على أربعين شـرحاً، وأهم هذه الشروح واوفاها شرح ابن أبي الحديد، وقد سبقه من أصحاب الشروح إلى ذلك ابو الحسن البيهقي (ت 588 ه –) وأبو الحسـين الراوندي (ت 573 ه –) وجاء من بعـدهم ميثم البحراني (ت 679 ه –) وكمال الدين العتائقي الذي ألف شـرحه سنة 770 ه.

أما كتاب شـرح نهج البلاغة لمؤلفه كمال الدين ميثم البحراني، فهو كتاب من عدة كتب تركها لنا هذا المصـنف الجليل، وعددها ستة عشر كتاباً أحصيتها في الدراسة التي كتبتها عنه عند تحقيق كتابه أصول البلاغة التي تفضلت بنشره دار الشروق. إلا أن كتاب شرح نهج البلاغة قد حظي باهتمام بالغ من المؤلف فقد شرحه ثلاثة شروح مختلفة:

1 – شرح كبير في عدة مجلدات، وهو حقيق بأن يكتب بالنور على الأحداق، لا بالحبر على الأوراق.

2 – وشـرح صـغير على نهـج البلاغـة، وهو كتاب جيد مفيد جداً، ويذكر الزركلي (1) في الاعلام أن البحراني قـد فرغ من تأليف شـرحه الصغير لنهج البلاغة سنة احدى وثمانين وستمائة، وهو كتاب مطبوع.

3 – وشـرح متوسط على نهـج البلاغـة، قال عنه صاحب لؤلؤة البحرين (2): إن للشـيخ ميثم البحراني شـرحاً ثالثاً على كتاب نهج البلاغة متوسطاً..

1– الاعلام 8/ 293. ط 2.

2– لؤلؤة البحرين ص ط النجف.

فكتاب نهج البلاغة – إذن – قد شرحه ميثم البحراني ثلاثة شروح: كبير ومتوسط وصغير. أي أن هذا الشرح قد راعى فيه المؤلف طبقات الناس الفكرية والعلمية، فوضع الشرح الكبير لخاصة الناس، والمتوسط لأوساط الناس، والصغير لعامتهم، فأرضى بذلك كل الأذواق والميول والرغبات، ولذلك يقول صاحب كتاب مجمع البحرين عن الشيخ ميثم وكتابه: إن ميثم البحراني شيخ صدق ثقة، له تصانيف منها: شرح نهج البلاغة لم يعمل مثله.

وميثم البحراني أديب متكلم من فقهاء الامامية من أهل البحرين، زار العراق، وتوفي في سنة 679 ه على أرجح الأقوال، وقبره في بلاد البحرين.

وقد رأى المؤلف أن يضع مقدمة ضافية عن كتابه شرح نهج البلاغة، ورتب هذه المقدمة على ثلاث قواعد:

القاعدة الأولى: في مباحث الألفاظ وهي مرتبة على قسمين:

القسم الأول: في دلالة الألفاظ، وأقسامها، وأحكامها.

والقسم الثاني: في الكيفيات التي تلحق الألفاظ بالنسبة إلى معانيها فتوجب لها الحسن والمزية، وتعدّها أتم الاعداد لأداء المعاني، وتهييء الذهن للقبول.

والقاعدة الثانية: في الخطابة؛ في حقيقتها وفائدتها، وموضوعاتها ومبادئها والأمور المحسّنة لها.

أما القاعدة الثالثة: فقد بيّن فيها أن عليّاً كرم الله وجهه كان مستجمعاً للفضائل الانسانية، والنفسية، والعملية، وفي صدور الكرامات عنه، والأفعال الخارقة للعادة.

وكتابة هذه المقدمة بقواعدها الثلاث رآها المؤلف ضرورية قبل أن

يطلع القاريء على شـرحه، فهي بمثابة المنار الذي يهديه ليفهم الأصول البلاغية التي امتلأ بها شـرحه لنهج البلاغة؛ لأن قراءة هذا الشـرح دون أن تكون للقاريء خلفيـة بلاغيـة تجعله يتيه في خضم من قواعـد البلاغـة وشـروحها، فرأى المؤلف أن يفرد القاعـدة الأولى من هـذه المقدمة في أصول البلاغة ونظم الأساليب، حتى يدرك القارىء ما كان عليه عليّ رضي الله عنه من بلاغة رفيعة وأسلوب فذ.

وكما كان علي كرم الله وجهه متصـفاً بالبلاغـة، فقـد كان خطيباً من الطراز الأول؛ لـذلك وضع المؤلف القاعدة الثانية في الخطابة ومبادئها وفائدتها والأمور المحسنة لها، حتى يتبين القاريء هذا المستوى الرفيع الذي بلغ شاوه علي كرم الله وجهه في خطابته.

أما القاعـدة الثالثـة: فقـد وضـعها المؤلف لنطلع على الفضائل الانسانية والنفسـية التي يحملها الإمام علي، فكانت هذه الفضائل سـمة من السمات التي تجعله يتصف بكثير من الصفات الحسنة التي عرى منها كثير من الخلق.

وقد اعتمدت في تحقيق هذه المقدمة على ثلاث نسخ: منها اثنتان مخطوطتان:

الاولى: مصورة عن نسـخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب تحت رقم 6380 أدب وقد كتبت هذه النسـخة بخط نسخ جميل، وعدد لوحاتها 68 لوحة في كل لوحة صفحتان ورمزت إليها بالحرف (أ).

والثانية: مصورة عن نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب تحت رقم 5218 أدب، وقد كتبت بخط دقيق جداً، وعدد لوحاتها احدى وثلاثون لوحة، وكل لوحة تشتمل على صفحتين، ورمزت إليها بالحرف (ب).

أما الثالثة: فهي المقدمة المطبوعة لشرح نهج البلاغة وتقع في تسعين صفحة صفحة وهي نسخة غير محققة، وقد رمزت اليها بالحرف (م).

وقد وضعت فهارس مفصلة تعين القاريء وتهديه للرجوع إلى الصفحات والنقاط التي يريدها في سهولة ويسر.

والله أسأل أن ينفع بنشر هذه المقدمة طلاب العلم ومحبّي البلاغة. مدينة نصر - أول فبراير 1984.

د. عبد القادر حسين

الصورة

الصورة

الصورة

الصورة

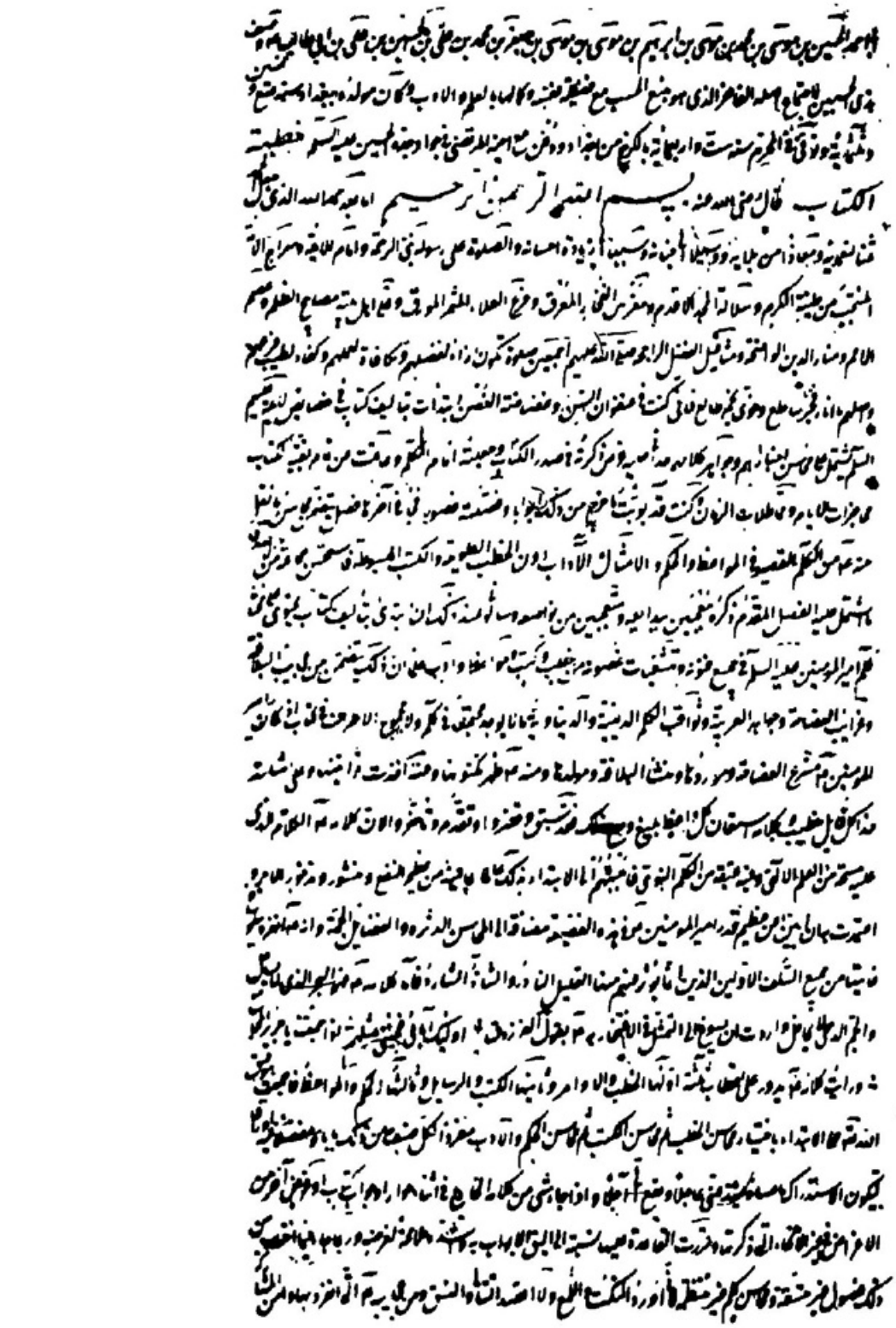

مقدمة مؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

(6 أ) سبحانَك اللهم وبحمْدك توحّدْتَ في ذاتك، فحَسَر (1) عن إدراكك إنسانُ كلِّ عارف، وتفرّدْت في صفاتك، فقصّر عن مدحتك لسانُ كلِّ واصف، ظهرْتَ في بدائع جُودك، فشهدَتْ بوجوبِ وجودِك حاجةُ كل قائل، وبُهرتُ بعزّ جلالك فالكلّ في نور جمالك مضمحلٌّ باطل، أحاط علمُك فلم يعزُبْ (2) عنه مثقالُ ذرّةٍ من الأرض ولا في السماء، وتعدّدتْ آلاؤك (3). فتعدّت أنواعها حدّ التحديد والإحصاء خَلَقْتَ الدنيا مِضْمَاراً (4) يستعدّ فيه خلقُك للسباق إلى حضرة قدْسك، وأيّدتهم بالرسل ليسلكوا بهم أفضلَ السُبُل إلى بِساط أنْسك، ويسّرْت كُلًّا لما خُلق له، فبعضٌ لنعمائك منكرون، وعن عبادتك مستكبرون، وبعضٌ بضروب إحسانك معترفون، وعلى باب كعبة جُودك معتكفون (5)، سبحانك أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، سبحانك عما يقول الظالمون، (6 ب) وتعاليْت عما يصفون، سبحانك بلسان الحال والمقال بالعشيّ والإبكار، وأحمدك على كل حال، آناء الليل وأطراف النهار، وأشهد أن لا إله إلا أنت حاذفاً كل ما سواك عن درجة الاعتبار (6)، مخلصاً لجلال وجهك في طوري الإعلان

1- حسر بصرُه، أي كلّ وانقطع نظره من طول المدى، ومن ذلك قوله تعالى: (يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) الملك 4، أي ينقلب صاغراً وهو كليل. اللسان مادة حسر.

2- لا يعزب عنه مثقال ذرة، أي: لا يغيب عن علمه شيء مهما دق وصغر.

3- تعدّدت آلاؤك، أي: تجاوزت نعمك كل حصر.

4- مضمار الفرس: غايته في السباق.

5- معتكفون: مقبلون عليه مواظبون لا يصرفون عنه وجوههم، ومنه قوله تعالى: (ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا) طه 97 أي مقيماً.

6- أي لا أركن إلى أحد سواك.

والإسرار (1)، وأشـهد أنّ محمـداً عبدك المختار، وصـفْوة أنبيائك الأطهار، الذي بعثَته بالأنوار الساطعة، وأيّدتَه بالبراهين والحجج القاطعة، وجعلتَه للعالمين بشـيراً ونذيراً، وداعياً إليك بإذنك وسراجاً منيراً، اللهم (صلّ) عليه صلاةً دائمة نامية وافية كافية ما تعاقبت الأوقات، ودامت الأرضُ والسموات، وعلى آله الطاهرين المنْتَجِبين (2) ينابيعَ الحكمة، وأساطينَ الدين، وعلى أصحابه الأكرمين، والسلام عليهم أجمعين.

أما بعـد، فلما كان المقصود الأول من بعثـة الأنبياء والرسل بالكتب الإلهيـة، والنواميس الشـرعية إنما هو جـذبُ الخلْق إلى الواحـد الحق، ومعالجةُ نفوسِهم من داء الجهْل، وعشقِ (3) هـذه الدار، وإلفاتُها إلى حظائر القدس، ومنازلِ الأبرار، وحمايتُها أن ترِد مواردَ الهلاك؛ إذ من كـانت ذلـك على خطر، وتشويقُها إلى ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سـمعتْ، ولا خطر على قلْب بشـر، وتنبيها من مراقـد الطبيعـة ونوم الغافلين بتذكر (4) ما أخذ عليها من العهد الكريم: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (5) .

1- أي أتوجه إليك في السر والعلانية. 8 - اللهم فصّل في جميع النسخ.

2- - المنتجب: المختار من كل شـيء، وقـد انتجب فلان فلاناً، إذا اسـتخلصه واصـطفاه اختياراً على غيره، وانتجبه: أخذه، والمراد: الذين اختـاروا وأخـذوا ينابيع الحكمـة. اللسان مادة نجب. - أساطين مفردها أسـطوانة، والصـحيح في وزنها فُعْلُوانه لقولهم في التكسـير أساطين كسـراحين، والمراد بأساطين الدين: دعائم الدين وقواعده. اللسان مادة سـطن. - النواميس جمع ناموس، وناموس الرجل صاحب سرّه الذي يطلعه على باطن أمره ويخصه بما يستره عن غيره، أي ان الله خص الأنبياء بالكتب الإلهية والوحي.

3- وعسق في أ

4- بتذكير في ب.

5- سورة يس 60، 61.

(7 أ) ثم مـا يلزم ذلـك المقصود من تـدبير أحوال المعـاسِ البـدنيّ وسـائرِ أسـباب البقاء للنوّع الإنسانيّ، وكان إمامنا سـيدُ الوصـيّين وأميرُ المؤمنين، ذو الآيـات البـاهرة، والأنوار [الظاهرة [(1): عليُّ بن أبي طـالب عليه السـلام في جميع مـا ورد عنه من الكلام، وصـدر عنه من الأفعال والأحكام قاصداً بجميع ما تضمّنه الشرع الكريم من [الأغراض [(2) والمقاصد، باسطاً لما اشتمل عليه القرآن الحكيم من القوانين و القواعـد، حتى لن تُوجَدَ له كلمـةٌ في غير هـذا السبيل، كما سـنبيّن ذلك عن (قريب) (3) ونوضـحه بالتفصيل، فلا جَرَمَ (4) كان كلامه الكلامَ الذي عليه مَسْحَةٌ (5) من الكلام الإلهي، وفيه عَبَقةٌ (6) من الكلام النبوي، ولم يزل كلامه عليه السلام مَبَدَّداً (7) في صدور الرُّواة، منتشـراً في أيدي المهتدين والغواة، تحاول أعداؤه أن يَخفى مشـهورُه، ويأبى اللهُ إلّا أن يتمَّ نُورَه، إلى أن عزّ اللهُ الإسلامَ بوجود السيد الإمام الشريف الرضيّ (8) محمدٍ بن ع.

ص: 21

1- الزاهرة في أ. - علي بن أبي طالب ابن عم النبي صـلى الله عليه و آله و سـلم، ولـد الاثنتين وثلاثين سـنة من ميلاده، تزوج فاطمـة بنت الرسول، وأنجب منهـا الحسن والحسـين وزينب وام كلثوم رضـي الله عنهم، بايعه المسـلمون بعـد مقتل عثمان، ومات شـهيداً بطعنـة أخذ الخوارج وهو يهم بصـلاة الفجر عن ثلاث وستين سنة، ودفن بالكوفة، وإليه ينتسب الشيعة العلويون. الموسوعة العربية الميسرة ص 123 ط 1965.

2- الأعراض في أ.

3- عن قليل في أ، ب.

4- لا جرم، أي: لا محالة.

5- المسح: القول الحسن اللسان مادة مسح.

6- ربـح عبِق: لاـصق ورجـل عبِق، إذا تطيّب وتعلق به الطيب فلا يـذهب عنه ريحه، وأصل ذلك من عبق به الشـيءَ يَعْبَق عَبَقاً، إذا لزق به. اللسان مادة عبق.

7- مبدداً: مفرقاً.

8- ولد سنة 359 ه وتوفي سنة 406 ه، وله عـدة كتب مطبوعـة أهمها كتاب «نهج البلاغة» وقد جمعه من كلام الامام علي بن أبي طالب، الذي اتهمه بعض الدارسـين بوضـعه، وبعضـهم بالتساهل في الرواية وعدم التدقيق فيما نسبه إلى الإمام علي، وقال بعضهم: إنه زيد فيه بعد الرضيّ. الموسوعة 1083، وله «المجازات النبوية». وتلخيص البيان في مجازات القرآن» وله أيضاً ديوان شعر مطبوع.

عليّ بن الحُسين الموسَوِيُّ قدّس الله روحه، ونوّر ضريحه، فأحيى من كلام جدّه (1) الرّفات، منه ما كان في حيّز الشّتات، وبالغ في تدوين محاسنه بقدر الاستطاعة، وسمّى مجموعَه «بنهج البلاغة» (2) فجاء الاسم وَفْق المسمى، واللفظُ طِبق المعنى، فجزاه اللهُ عن العلماء خيرَ الجزاء، وحَبَاه من وظائف الفضل أجزل الحباء (3).

ثم أني لما كنت عبداً من عباد الله أتاني رحمة من عنده، وملّكني قوّةً أسلُك بها سبيلَ قصْدِه، وكنتُ قد جَعلتُ هذا الكتابَ بعد كتابِ الله وكلامِ رسوله مصباحاً استضيء به في الظُّلُمات، وسُلّماً أعرُجُ به (4) إلى أطباق السموات (7 ب)، كنتُ في أثناء وقوفي على شيء من أسراره، واكتحالي (5) بسواطع أنواره، أتأسّف علَى مَن يعرضُ عنه جهْلاً، وأتلهّف لو أجدُ له أهْلاً، إلى أن قضتْ صروفُ الزمن (6)بمفارقة الأهل والوطن، وأوجبت تقلّباتُ الأيام دخولَ دار السلام، فوجدتها نزهة للناظر، وآية للحكيم القادر بانتهاء [أحوال (7) تدبيرها، وإلقاء] (8).

1- يقصد بذلك الإمام عليّ كرم الله وجهه، والمراد: أنه جمع ما اندثر من كلام أو تفرق.

2- طبع هذا الكتاب عدة طبعات، وتناوله كثيرون بالشرح حتى بلغت شروحه اكثر من سبعين شرحاً، أشهرها وأوسعها شرح ابن أبي الحديد المتوفي 655، ولنهج البلاغة شروح باللغة الفارسية، ولكمال الدين ميثم البحراني شرح كبير لهذا الكتاب الذي نقوم بتحقيق مقدمته، وقد نحا فيه ميثم البحرانيّ منحى بلاغياً

3- حباه الله: أعطاه، والحباء: ما يحبوبه الرجل صاحبه ويكرمه به، وحابى الرجل حباء: نصره واختصه، ومال إليه. اللسان مادة حبا.

4- اعرج به: أصعد به.

5- يقال: اكتحلت الأرض بالخضرة وذلك حين ترى أول خضرة النبات فتبدو حسنة المنظر.

6- صروف الزمن: حدثانه ونوائبه؛ لأنه يصرف الأشياء عن وجوهها.

7- أحال في أ.

8- وألقى في أ.

مقاليد أمورها إلى من خصّه الله تعالى بأشرف الكمالات الإنسانية، وملّكه ملكات الفضائل النفسانية، فهو امرؤ (1) مَثُلتْ طبيعته من طينة الفضل حين ينتسب؛ فالعلم، والجود، والشجاعة، والعفة، والعدل، منه يُكتَسب، نعم هو من رشّحه الله لاستكفاء أمور عباده وبلاده، وجعلها مطاوعة لأزمّة قياده (2)، فأوامره العالية تسري فيها مسرى الأرواح في الأجسام، وآراؤه الصائبة تجري فيها مَجرى الصحة بعد السقام، الذي حاز على المناقب ففاز بأسنى المطالب، وسما بهممه الثواقب (3)، فأمن من غوائل (4) العواقب، الذي بدرت (5) أقمار العلوم بدولته السعيدة بعد الأفول في غيابة الجهالة، وسطع صبح الحق بطلعته الحميدة من أفق الضلالة، ورفع ذيولَ ظلام الظلم (6) فجرُ عدله، وأزهرت روضُ الرغائب (7) بفيض سحاب فضله المشيِّدُ لأركان الإسلام بعد التداعي للانهدام، المجدّد من آثارِ الإيمان ما محاه طوفانُ الطغيان. صاحب ديوان الممالك، السالك إلى الله أفضل (8) المسالك، علاء الحق والدين، عطاء المُلْكُ (9) بن الصاحِب المعظّم والمولى المكرَّم الفائز بلقاء رب .

1- المقصود بذلك هو محمد الجويني، وسيرد ذكر اسمه بعد صفحة واحدة.

2- اي تتبعه راضية مختارة غير مكرهة ولا عاصية.

3- الثاقب: المضيء، قال تعالى: «فاتبعه شهاب ثاقب»، وقال تعالى: وما أدراك ما الطارق، النجم الثاقب، أي المضيء، والمراد بالهمم الثواقب، النافذة التي ترتفع على غيرها.

4- غوائل: جمع غائلة وهي الداهية، والغيلة بالكسر: الخديعة، يقال: قتل فلان غيلة، أي: خدعه.

5- بدرت أقمار العلوم، أي تمت وكملت، تشبيهاً بالبدر في تمامه وكماله

6- ذيول الظلم في ب.

7- الرغائب: واحدتها رغيبة، والرغيبة: الأمر المرغوب فيه.

8- أقرب في ب.

9- عطا ملك في ب.

(8 أ) العالمين، ومجاورة ملائكته (1) المقرّبين، بهاء الـدنيا والدين: محمد الجوينيّ، ضاعف اللهُ جلاله، وخلّد إقباله، وحرس عِزَّهُ وكمالَه، وأيّد فضلَه وإفضالَه، وفسحَ في مدّ عُمْرِه، وأمدّه بتوفيقه، وشدَّ أزرَه بدوام عِزّ صِنْوه (2)، وشقيقه الذي فاق ملوك الآفاق بعلوّ القدر، وكمال العزّ والفخر، ورصانة العلم والأدب، ورزانة العقل والحبّ الذي ملأ الأسماع بجميل أوصافه، وأفاض أوعية الأطماع بجزيل ألطافه، وأنس بها طَلّ وابل (3) بذله ما قيل من قبله في الكرم وأهله:

هُوَ البَحْرُ مِنْ أيِّ النَّواحِي أتيته *** فَلُجّته المعروفُ والجودُ ساحلُه

تعوّد بذلَ الكفِّ حتى لو أنّه *** ثناها لقبْضٍ لمْ تُطِعْهُ أنامِلُه

ولوْ لمْ يكن في كفِّهِ غيرُ نفسه *** لجادَ بها فليتق اللهَ سائلُه (4)

نعمْ هو من جمعَ اللهُ له بيْن الحكمةِ والسـلطان، وزاده بسْطةً في المرتَبةِ وعُلُوِّ الشأن، ذو النفسِ القُدْسِيّة، والخلافةِ الإنْسِيّة، والأعراقّ الزكيّة، والأخلاق الرضـيّة، والهمم الأبيّة، والمقاصد السّنية، مولى ملوك العرب والعجم، صاحبُ ديوان ممالك العالم، شمسُ الحق والدين، غياثُ الإسـلام والمسلمين، محمد بلّغه الله أقصى مراتب الكمال، ورزقه بلوغ الآمال في الحال والمآل، فإنهما لهذه الأمة بدران مشرقان، يُستضاءُ ف.

1- الملائكة في ب.

2- صنوه: الصنو الأخ الشقيق والعم والابن، وفي الحديث: عمّ الرجل صنو أبيه قال أبو عبيد: معناه أن أصلهما واحد اللسان مادة صنا.

3- الطلّ: أخف المطر، وقيل: هو الندى، والوابل: هو المطر الشديد.

4- الأبيات لأبي تمام من قصـيدة يمـدح فيها المعتصم بالله ومطلعها: فحواك عين على نجواك يا مَـنْزِلُ *** حتّام لا يتقضّى قولَك الخَطِلُ وفي الديوان: «هو اليمّ» بدلاً من هو البحر، و «تعوّد بسط الكف» بدلاً من تعدد بذل الكف، «ولو لم يكن في كفه غير روحه» بدلاً من «غير نفسه». الديوان شرح التبريزي 3 / 29 ط دار المعارف.

بأنوارهمـا، وبحران زاخران يُغترف من تيارهما، وطَوْدان (1) شامخـان يُسـتعاذ بأقطارهما، وعمادان يقوم بهما في الوجود أركان الإيمان، و صارمان (2) يصول بهمـا الـدين القيّم على سائر الأديان، فجزاهما اللهُ عن الإسـلام وأهله أفضلَ جزاءِ المحسـنين، وخصّـهما من وظائف فضـله بأكمل ما أعدّه لعباده الصالحين، وقرن سعادتَهما بالدوام والاستمرار، وعضّد [آراء هما] (3) بمطاوعة الأقضية والأقدار (4)، وصان دولتهما عن (8 ب) حوادث الأيام وآفاتها، وجعل نتائجَ أفعالِ أعدائهما تابعةً لأخسّ مقدماتها.

هـذا، ولمّـا اتفق اتصالي بخـدْمته، وانتهيتُ إلى شـريف حضْـرته، أحلّني من أُنْسِه محلاً ألْهَى النفسَ عن أشـهى مآربها (5)، وأمطرني من سحـائب جوده نِعَمـاً تشـبه الصورَ الفائضـة من واهبها، فأجرى في بعض محاوراته الكريمـة من مـدح هـذا الكتاب (6) وتعظيمه وتفضيله وتفخيمه ما علمتُ معه معه أنّه أهله الذي كنت أطلب، والعالِم بقدْره ومحلّه من بين الكتب، وتوسّمت في تضاعيف (7) ذلك تشوّق خاطرِه المحروس إلى كشف حقائقه، والوقوف على أسـراره ودقائقه، فأحببْتُ أن أجعل شـكري لبعض نعمه السابقـة، ومِنَنِه المتوالية المتلاحقة، أن أخْدُمَ سامي مجلسه بتهذيب شـرح مرتب على القواعد الحقيقية، مشحونٍ بالمباحث اليقينية، أنبّه فيه على ما لاح لي من رموزه، وأكشف ما ظهر لي من دفائنه وكنوزه، .

1- الطود: الجبل.

2- الصارم: السيف.

3- رأيهما في أ.

4- الأقضية والاقدار: القضاء والقدر.

5- مآربها: مطالبها واغراضها ومقاصدها.

6- كتاب نهج البلاغة.

7- تضاعيف الشيء: ثناياه.

وقد سبق إلى شرح هذا الكتاب جماعةٌ من أولى الألباب (1)، والناقدُ المسدّد للصواب يميّز القشر من اللباب، والسّراب من الشّراب، وشرعت في ذلك بعد أن عاهدتُ الله سبحانه أني لا أنصر فيه مذهباً غير الحق، ولا أرتكب هوى المراعاة أحد من الخلْق، فإن وافق الرأي الأعلى، فذلك هو المقصد (2) الأقصى، وإلا فالعذرُ ملتَمس مسئول، والعفوُ مَرْجُوٌّ مأمول، والرغبة إلى أهلِ الفضل في سدّ ما يجدونه من خَلَل (3)، وسترِ ما يقفون عليه من زلَلَ، فاني - مع ضعف جناحي عن (4) سلوك هذا المطار الذي هو مسْرحُ نفوس الأولياء الأبرار (9 أ) ومحلُّ أنظار الحكماء الكبار (5)، مقسَّمُ الأفكار، راكبٌ لمطايا (6) الأسفار، وعلى الله قصْد السبيل، وهو حسْبي ونِعْمَ الوكيل.

وقبل الخوْض في المطلوب لا بد من تقديم مقدمة يُستعان بها على ما عسى أن أذكره من المباحث في هذا الشرح إن شاء الله تعالى.

أما المقدمة: فاعلم أن كلامه عليه السلام يشتمل على مباحثَ عظيمة تتشعّب عن علوم جليلة، يحتاج المتصدّي للخوْض فيه، وفهْمِ ما يُشْرَح منه بعد جَودة ذهنه، وصفاء قريحته إلى تقديم أبحاث تُعينه على الوصول إلى تلك المقاصد .

1- بلغ عدد شروح نهج البلاغة بالعربية والفارسية ما ينيف على أربعين شرحاً ومن اصحاب هذه الشروح أبى الحسن البيهقي ت 588، وأبى الحسين الراوندي ت 573 وأهم هذه الشروح شرح ابن أبي الحديد.

2- المقصد الأقصى: الهدف البعيد المقصود، وفي التنزيل: وعلى الله قصد السبيل. أي تبيين الطريق المستقيم.

3- الخلل: الفساد والوهْن في الأمر، وفي رأيه خلل، اي انتشار وتفرق، والزلل: الخطأ والذنب، والمراد ما يقفون عليه من قلق واضطراب.

4- من سلوك بدلاً من «عن» في النسخة ب.

5- ومحال أنظار الحكماء الأبرار في النسخة ب.

6- راكب المطايا الأسفار. في النسخة ب.

ولمّا أبرز عليه السلام مقاصده في ألفاظ خطابيّة؛ إما منطوق بها، أو مكتوبة، تعيّن أن أذكرَ من مباحث الألفاظ قدْراً تمسُّ الحاجة إليه.

ثم أشير إلى بيان معنى الخطابة وما يتعلق بها؛ ليكون ذلك مُعيناً للناظر في كلامه على ملاحظة دقائقه، ومطالعة أسراره وحقائقه.

ثم أُلحق ذلك بالإشارة إلى ما يتعلق به عليه السلام من الفضائل.

فلا جرم (1) رتّبتُ هذه المقدمة على ثلاث قواعد..

1- لا جرم: لا محالة.

القاعدة الأولى

في مباحث الألفاظ، وهي مرتّبةٌ على قسمين:

القسم الأول: في دلالة الألفاظ، وأقسامها، وأحكامها.

وفيه فصول:

الفصل الأول:

في دلالة اللفظ على المعنى.

وفيه أبحاث:

البحث الأول: دلالة اللفظ الموضوع (1) إمّا على تمام مسـمّاه. أو على جزء مسـمّاه من حيث هو جزؤه. أو على الأمر الخارج عن مسمّاه اللازم له في الذهن من حيث هو لازم له.

والدلالة الأولى: هي دلالة المطابقة؛ كدلالة لفظ الانسان على الحيوان الناطق.

والثانية: دلالة التضمّن (2)؛ كدلالته على الحيوان وحده، أو على الناطق وحده. (9 ب).

والثالثة: دلالة الالتزام (3)؛ كدلالته على الضاحك.

واحترزنا في الدلالتين الأخيرتين بقولنا: من حيث هو جزؤه؛ (2) ومن حيث هو لازمه، (3) عن دلالة اللفظ بالمطابقة على جزء المسمى، أو

1- دلالة اللفظ إما على تمام مسماه، وكلمة «الموضوع ساقطة في النسخة ب.

2- في دلالة التضمّن.

3- في دلالة الالتزام.

على لازمه بحسب الاشتراك اللفظي.

بيانه: إنه إذا جاز أن يوضع اللفظ الواحد للمعنى ولجزئه، كلفظ الممكن مثلاً للمكن الخاص والعام.

وللمعنى ولازمه كلفظ الشمس على جِرْم الشمس، والنور اللازم عنه.

فلو اقتصرنا في تعريف دلالتي التضمّن والالتزام على التعريفين المذكورين دون هذين القيدين، لشمل ذلك دلالة المطابقة على تقدير وضع اللفظ لجزء المعنى أو لازمه، كما هو موضوع له؛ إذ كانت أيضاً دلالة اللفظ على جزء مسمّاه وعلى لازم مسمّاه.

البحث الثاني: الدلالة الأولى هي التي بحسب الوضع الصِّرف وأما الباقيتان (1)، فزعم الإمام فخر الدين (2) وجماعة من الفضلاء أنهما عقليّتان.

وفيه نظر (3)؛ لأنهم إن أرادوا أنهما حاصلتان عن صَرْف العقل من .

1- وأما «العقليان) بدلاً من الباقيتان في ب وهو واضح الفساد.

2- الامام فخر الدين هو محمد بن عمر بن الحسين الرازي، وقد كان أفضل علماء عصره في الفقه وعلوم اللغة والمنطق والمذاهب الكلامية، يقول ابن خلكان: إن كتبه ممتعة، وقد انتشرت تصانيفه في البلاد، واشتغل بها الناس، ورفضوا كتب المتقدمين، وأشهر كتبه: التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، ونهاية الايجاز في دراية الإعجاز، وله سبعة وستون كتاباً عدا الكتب التي بدأها ولم يتمّها. وتوفي سنة 606 ه- . وفيات الأعيان لابن خلكان 474/1. المطبعة الميمنية 1310 ه- .

3- قسم الإمام فخر الدين الرازي الدلالة إلى قسمين: وضعية وعقلية. فدلالة المطابقة دلالة وضعية؛ لدلالة اللفظ على معناه الذي وضع بإزائه كدلالة لفظ السماء والأرض على ما سمي به. أما دلالة التضمن ودلالة الالتزام فهما عقليتان. فالأولى، كدلالة لفظ البيت على السقف الذي هو جزء من البيت؛ لأن لفظ البيت يشمل جميع أجزائه عقلاً ومنه السقف. والثانية، كدلالة لفظ السقف على الحائط، لامتناع أن يقوم سقف دون حائط فيلزم عقلاً من وجود السقف وجود الحائط. ومن ثم كانت الدلالتان: التضمنية والالتزامية عقليتين. انظر نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز - الفخر الرازي - ص 8 ط 1317 ه.

دون مشاركة الوضع فهو باطل؛ لأنه لولا ارتسام المعنى في الذهن عن اللفظ لما حصلت هاتان الدلالتان. وأيضاً فإنهم صرّحوا بأنهما من دلالات الألفاظ، فلا يمكن مع ذلك دعوى حصولهما عن مجرد العقل.

وإن أرادوا بذلك أن الذهن عند تصوّر المعنى من لفظه ينتقل منه إلى جزئه أو إلى لازمه فهو حق، وحينئذٍ تكون هاتان الدلالتان بشركة من الوضع والعقل، ثم أنهما مستلزمتان للدلالة الوضعيّة من غير عكس؛ لجواز خلوّ الماهيّة (1) عن / (10 أ) التركيب، وعن اللازم البيّن، ولا يجب أيضاً أن تَلْزَم إحداهما الأخرى، وهو ظاهر مما مرّ.

البحث الثالث: ظهر مما ذكرنا أنه يُعتبر في الدلالة التضمّنيّة كون المعنى المدلول عليه بالمطابقة مركّباً.

وأما في الالتزامية، فالمعتبر فيه كونه ملزوماً في الذهن لأمر بيّن الثبوت له؛ إذ لولا اللزوم الذهني لم يُفِد إطلاقَ اللفظ في المعنى الخارج عن الماهية؛ لعدم الوضع بإزائه، وعدم انتقال الذهن عن موضوعه إليه فلم يكن دالًّا عليه؛ إذ المراد بدلالة اللفظ على المعنى، فَهْمه عند إطلاقه بالنسبة إلى من يعْلم الوضع، ولا يعتبر اللزوم الخارجي؛ لجواز دلالة اللفظ على ما يلزم مسمّاه في الخارج إذا لزم من تصوّره تصوّرَ مسمّاه كدلالة لفظ عدم الملكة عليها؛ كلفظ العمى على البصر، ثم اللزوم الذهْنيّ ليس مُوجِباً لانتقال الذهن من الملزوم إلى لازمه؛ إذ ليس هو تمام ما يتوقف عليه الدلالة الالتزامية (2)؛ بل لا بد من تصور الملزوم أولاً، وذلك متوقف .

1- ماهية الشيء: حقيقته وجوهره.

2- دلالة الالتزامية في ب.

على ما وضع اللفظ بإزائه (1)، والعلم بالوضع، وسماع اللفظ، أو حضوره بالبال، فهو إذن أحد الشروط المعدّة لتصوّر اللازم.

البحث الرابع: الدلالة الحقيقيّة (2) هي الدلالة الوضْعيّة الصّرفيّة، وأما الباقيتان فليستا بحقيقيّتيْن وهو ظاهر.

ولا مجازيّتين أيضاً؛ لأن من شرط المجاز استعمال اللفظ في في غير ما وضع له استعمالاً مقصوداً بالذات.

وهاتان الدلالتان قد يحصلان من استعمال اللفظ في مسمّاه حصولاً عرضيّاً؛ لأن الذهن قد ينتقل عند إطلاق اللفظ لإرادة مسمّاه إلى جزئه، أو إلى لازمه انتقالا / (10 ب) عرَضيّا، وكذلك إلى جزء جزئه، وإلى لازم لازمه في مراتب كثيرة، ومعلوم أن اللفظ أُطلق لإرادة مسمّاه واستعمل فيه بالذات لا فيما انتقل الذهن إليه من الأجزاء، واللوازم وإن كانت (لها) (3) سببيّة في ذلك الانتقال، فلم تكن الدلالة بواسطة اللفظ محصورةً في الحقيقيّة والمجازيّة. نعم استعمال اللفظ الموضوع، وإطلاقه بالذات لإرادة المعنى، لا يخلو من أن يكون حقيقيّاً أو مجازيّاً. .

1- على وضع اللفظ بإزائه. في ب.
2- دلالة الحقيقة في ب.
3- في جميع النسخ: واللوازم وإن كانت له سببيّة في ذلك الانتقال.

الفصل الثاني

في تقسيم الألفاظ

وفيه أبحاث:

البحث الأول: اللفظ إما أن لا يراد بالجزء منه دلالة أصلاً على شيء، وهو المفرد.

أو يراد بالجزء منه دلالة على شيء، وهو المركب.

لا ـ يقال هـذا منقوص بعبـد الله، وما يجري مجراه فإنه مفرد مع أن كل واحـد من أجزائه دالٌّ؛ لأنّا نقول: قـد يُراد بالجزء من عبـد الله وأمثاله دلالـةٌ، ولا نسـلّم أنه بـذلك الاعتبار قد يكون مفرداً بل مركّب. وقد لا يراد به الدلالة فيكون مفرداً، فإذا قلنا في رسـمه (1): إنه الذي لا يُراد بالجزء منه دلالـةٌ أصـلاً، كان ذلك معياراً لكل لفظ بالنسـبة إلى مراد اللافظ به فكل لفظ لا يُقصد بجزئه دلالةً كان مفرداً، وهذا هو الرسـم القديم للمفرد والمركّب، وقد تبيّن أنه لا حاجة فيه إلى القيد الذي زاده المتأخرون، وهو قولهم من حيث هو جزؤه، فإن الرسمين متساويان.

البحث الثاني: اللفظ المفرد، إما أن يكونَ نفسُ تصوّر معناه مانعاً من وقوع الشركة فيه، وهو الجزئي، أو غير مانع،، / (11 أ) وهو الكلّي.

1- التعريف بـالرسم ينقسم إلى قسـمين: إمـا بـالرسم التـام، أو بـالرسم النـاقص. فالرسم التام يكون بالخاصـة والجنس القريب؛ كتعريف الإنسـان بـأنه حيوان ضاحـك. والرسم الناقص يكون بالخاصـة وحـدها؛ كتعريف الإنسان بأنه ضاحك، أو بالخاصـة والجنس البعيـد معاً؛ كتعريف الإنسان بأنه جسم ضاحك. شرح الخبيصي 52 ط 5

أما الجزئي، فيقال بمعنيين:

أحدهما: ما ذكرناه ويُخص باسم الجزئي الحقيقي.

والثاني: أنه كلّ أخص تحت أعم.

والفرق بينهما أن الأول غيرُ مضاف ولا كلّي، والثاني مضاف إلى ما فوقه، وقد يكون كلّيّاً.

فأما الكلي، فإما أن يعنى به نفس الحقيقة التي لا يمنع تصورها وقوع الشركة فيها، ويسمى كلياً طبيعياً.

أو النسبة التي تعقل لها بالقياس إلى جزئياتها المعقولة وتسمى تلك النسبة كلياً منطقياً.

أو المجموع المعقول من الحقيقة والنسبة العارضة لها، ويسمى كلياً عقلياً.

ثم للكلي اعتبارات ستة، وذلك لأنه إما أن يكون ممتنع الوجود، أو مُمْكِنَه.

والأول، كشريك الإله والثاني: إما أن لا يُعرف وجوده أو يُعرف.

فالأول: كجبل من ياقوت، وبحر من زئبق.

والثاني: إما أن يمتنع أن يكون في الوجود منه أكثر من واحد أو يمكن.

والأول: كالإله تعالى.

والثاني: إما أن يكون في الوجود واحد منه فقط، وإن جاز وجود مثله أو أكثر من واحد.

والأول كالشمس عند من يجوّز وجود مثلها.

والثاني: إما أن يكون الموجود منه أشخاصاً كثيرة متناهية أو غير متناهية.

والأول كالكواكب والثاني، كأشخاص الإنسان.

البحث الثالث: إما أن يدل على ماهيّة شيء.

أو على ما يكون داخلاً فيها.

أو على ما يكون خارجاً عنها.

أما الدال على الماهية فإما على ماهية شيء واحد، أو على ماهية أشياء كثيرة.

والأول: إما أن يكون كليّاً أو جزئياً.

والثاني: إما أن تكون تلك الأشياء مختلفة الحقائق، أو متفقة الحقائق.

فهذه أقسام أربعة (1):

الأول / [11 ب]: هو المقول في جواب ما هو بحسب الخصوصية المطلقة كالجواب بالحدّ (2).

والثالث: هو المقول في جواب ما هو بحسب الشركة المطلقة.

والثاني والرابع: هو المقول في جواب ما هو بحسب الشركة والخصوصية معاً.

مثال الأول: قولنا في جواب من يسأل فيقول: 2

1- فهذه أربعة أقسام في أ.

2- الحدّ التام: وهو بالفصل والجنس القريبين كتعريف الإنسان بأنه حيوان ناطق. والحدّ الناقص: وهو بالفصل القريب وحده، كتعريف الإنسان بأنه ناطق أو به وبالجنس البعيد، كتعريف الإنسان بأنه جسم ناطق. شرح الخبيصي 52

ما الإنسان؟ إنه حيوان ناطق، فخصوصية هذا الجواب ليست لغير الإنسان؛ إذ لا يشاركه في حدّه غيره.

والثالث: كقولنا في جواب من يسأل عن جماعة هم إنسان وفرس وثور. ما هم؟ إنها حيوانات؛ إذ كان هذا الجواب كمال الجزء المشترك بينها. فهو إذن مقول بالشركة المطلقة.

والثاني والرابع: كقولنا في جواب من يسأل عن زيد وحده، ما هو؟ إنه إنسان أو عن جماعة هم زيد وعمرو وخالد، ما هم؟ إنهم أناس، فيكون الجواب في الموضعين واحد.

أو هو بحسب الخصوصية والشركة معاً؛ إذ كل ما لكلّ واحد منها من الأجزاء حاصل الآخر، ولأن خصوصية هذا الجواب ليست لغير المسئول عنه.

وأما الدالّ على جزء الماهية، فإما أن يدل على كمال الجزء المشترك بينها وبين غيرها وهو الجنس القريب (1).

أو على كمال الجزء المميّز لها، وهو الفصل القريب (2).

أو على ما يتركب منهما (3)، وهو النوع (4)، أوْ لا على واحد من هذه فيكون ذلك جزءاً للجزء، وهو إمّا جنس الجنس (5)، أو جنس الفصل، أو فصل الجنس، أو فصل الفصل، كما هو مذكور في مظانّه. .

1- كتعريف الإنسان بأنه حيوان.

2- كتعريف الإنسان بأنه ناطق.

3- ما يتركب منها في النسخة ب أي من الجنس القريب والفصل القريب.

4- النوع: هو ما تكون أفراده متفقة الحقيقة، كما إذا قيل: ما زيد وعمرو وبكر؟ كان الجواب: الإنسان.

5- الأجناس تترتب متصاعدة بأن يكون جنس فوقه جنس وهكذا إلى الجنس العالي الذي يسمى جنس الأجناس، فالحيوان جنس فوقه جنس هو الجنس النامي وفوقه الجسم، وفوقه الجوهر، فالجوهر: جنس الأجناس. شرح الخبيصي ص 39 ط النموذجية.

وأما الدالّ على الخارج عن الماهيّة، فيختص باسم العَرَضِي.

واعتباره من وجهين:

أحدهما: أنه إما أن يكون لازماً، أو لا يكون.

والثاني: هو العارض.

والأول: إما أن يكون لازماً للماهيّة أو للوجود.

[والأول] (1): إما أن يكون [12 أ] بيّناً للماهية كالفردية للثلاثة، أو غير بيّن كالتناهي للجسم.

والثاني: كالسواد للغراب.

وأما العارض، فإما سريعُ الزوال، كالقيام والقعود، أو بطيئُه كالشباب.

الوجه الثاني: العَرضيّ (2):

إما أن يختص بنوع واحد لا يوجد لغيره سواء عمّ أفراده أو لم يعُمّ، ويسمى خاصة، كالضاحك للإنسان بالقوة والفعل.

أو لا يختص به بل يعمّه وغيره ويسمى عرَضاً عاماً، كالماشي للإنسان.

البحث الرابع: اللفظ والمعنى، إما أن يتّحدا، أو يتكثّرا، أو يتكثّر اللفظ ويتّحد المعنى، أو بالعكس.

أما الأول (3): فمعناه إما أن يكون كلّيّاً أو جزئيّاً.

فإن كان الأول، فإما أن يكون نسبته إلى أفراده المعقولة بالسّويّة وهو .

1- في النسخة أ. الثاني بدلاً من الأول، وهو خطأ.
2- في النسخة ب وأما العرضي.
3- وهو ما اتحد فيه اللفظ والمعنى.

المتواطىء، (1)، كالإنسان بالنسبة إلى أشخاصه.

أوْ لا بالسّوية؛ بل في بعضها أوّل وأوْلى، وأشدّ وأضعف وهو المشكِّك (2)، كلفظ الوجود.

والثاني (3): هو العلم، كزيد.

والثاني (4): الأسماء المتباينة (5) سواء تفاصلت مفهوماتُها، كالإنسان والفرس، أو تواصلت على أن بعضها اسم للذات، والآخر اسم للصفة؛ كالسيف والصارم، أو على أن بعضها اسم للصفة، والآخر لصفة الصفة؛ كالناطق والفصيح.

والثالث (6): الأسماء المترادفة (7)، سواء كانت من لغة واحدة كالليث والأسد، أو من لغتين كالماء وآب (8).

وأما الرابع (9): فإما أن يكون قد وُضع اللفظ أوّلاً لأحد المعنيين، ثم نقل منه إلى الآخر، أو وضع لهما معاً.

أما الأول، فذلك النقل، إن كان لا لمناسبة بين المعنيين فهو ظ

1- المتواطىء: هو ما تساوت أفراده في تحقق معناه فيها كالإنسان فإن معناه بالنسبة لأفراده كافة على حدّ سواء.

2- المشكّك: هو مالم تتساو أفراده في تحقق معناه كلفظ الوجود فإن حصوله في الواجب سابق على حصوله في الممكن وأولى، وكلفظ النور فإنه في الشمس أشد وأقوى منه في القمر والمصباح. مذكرة في علم الأصول 81 محمد حسن الطودي ط 1933.

3- أي الجزئي.

4- وهو ما يتكثر فيه اللفظ و المعنى.

5- المتباين: هو ما تغاير فيه اللفظان، واختلفا في المعنى أو تقاربا.

6- وهو ما يتكثر فيه اللفظ ويتحد المعنى.

7- هي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد المزهر 402/1.

8- آب: كلمة فارسية معناها ماء.

9- وهو ما يتكثّر فيه المعنى ويتحد اللفظ

مرتجل، وإن كان،لمناسبة فإما أن يكون دلالة [12 ب] اللفظ على المنقول إليه بعد النقل أقوى من دلالتها على المنقول عنه، أوْ لا يكون.

فإن كان الأول، سمى اللفظ بالنسبة إلى المنقول إليه منقولاً،

فإن كان الناقل هو الشارع، سمى لفظاً شرعيّاً، كالصلاة والزكاة.

وأهل العرف يسمى عرفيّاً، سواء كان العرف العام؛ كالدابة للفرس بعد وضعها لكلّ ما يدبّ، وكالغائط للفضلة الخارجة من الإنسان بعد وضعها للمكان المطمئن.

والخاص كالاصطلاحات الخاصة بطائفة (طائفة) (1) من أهل العلم، مثلاً كالرفع والنصب والجر عند النّحاة، والجمع والقلب والفرق عند الفقهاء، وكالموضوع والمحول والجنس والفصل عند المنطقيّين وأمثاله.

وأما إن لم يكن دلالته على الثاني أقوى:

فإمّا أن يتساوى بالنسبة إليهما عند الفهْم أو يكون في الأول أقوى.

فإن كان الأول كان ذلك لفظاً مشتركاً.

وإن كان الثاني، كان اللفظ بالنسبة إلى الأول حقيقة، وإلى الثاني مجازاً.

أما إذا كان اللفظ موضوعاً لهما معاً، فإما أن تتساوى دلالته عليهما عند الفهم، أو ترجّح في أحدهما.

فإن كان الأول، سمى اللفظ بالنسبة إليهما مشتركاً، وبالنسبة إلى كل واحد منهما مجملاً؛ لأن كون اللفظ موضوعاً لكل واحد منهما هو الاشتراك، وكونهما بحيث لا يُدرى عين المراد منهما، هو الإجمال. .

1- بطائفة من أهل العلم دون تكرار كلمة طائفة، في النسخة أ.

تذنيب: ظهر من هذا التقسيم (1)، أن الأقسام الثلاثة الأولى (2) مشتركة في أنها ليست بمشتركة، فكانت نصوصاً.

وأما الرابع، فله اعتبارات ثلاثة:

أحدها: اعتبار كوْن إفادته أرجح في بعض مفهوماته / [13 أ]، وبذلك يسمى ظاهرا.

والثاني: اعتبار كونها مرجوحة في المفهوم المقابل للراجح، وبذلك يسمى مؤوّلاً.

والثالث: كونها متساوية بالنسبة إلى المفهومين بحيث لا يُدرى المراد منهما، وبذلك يسمى مجملاً.

فالرجحان إذن قدْر مشترك بين الظاهر (3) والنص (4).

وعدم الرجحان قدر مشترك بين المجمل (5) والمؤوّل (6).

فيسمى المشترك الأول مُحْكماً (7)، والثاني متشابهاً (8). .

1- ما ذكره في البحث الرابع من تقسيم اللفظ والمعنى.

2- وهي اتحاد اللفظ والمعنى، أو تكثيرهما، أو تكثير اللفظ واتحاد المعنى.

3- الظاهر: هو الواضح، ويدل على معناه دلالة ظنية - أي راجحة - لا قطعية، كالأسد راجح في الحيوان المفترس في اللغة، مرجوع في الرجل الشجاع بدون قرينة. ص 122 علم الأصول.

4- النص: كل ما هو ظاهر فهو نص، وكل شيء أظهرته فقد نصصته. اللسان مادة نصص.

5- المجمل، هو المبهم الذي لا تتضح دلالته كالعين للذهب والشمس وغيرهما.

6- المؤول: من آل الشيء إلى كذا ينول إذا صار إليه، وتأويل الكلام: بيان ما ينول معناه إليه ويستقر عليه.

7- المحكم: هو مالم يكن متشابهاً لأنه أحكم بيانه بنفسه ولم يفتقر إلى غيره، لأنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب.

8- المتشابه: هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب لإبراز قوة البيان التي يعجز غيره عن مثلها.

البحث الخامس: اللفظ المفرد؛ إما أن لا يستقلّ معناه بالمفهوميّة أو يستقلّ.

والأول: هو الحرف.

والثاني: فإما أن يستلزم معناه الوقوع في أحد الأزمنة الثلاثة المعيّنة

وهو الفعل، أو لا يستلزم وهو الاسم. وهو إما أن يدل على معنى هو نفس الزمان كالزمان. أو على جزء الزمان كاليوم والغد أو على معنى جزء الزمان، كالصبوح والغبوق (1) أوْ لا على واحد منهما.

وهو إما أن يكون اسماً لجزئي شخصي، فإن كان مضمراً فهو المضمرات، أو مظهراً فهو العلم كما مرّ.

وإن كان اسماً لكلّي، فإما أن يكون لنفس الماهيّة، كلفظ السواد، والمسمى باسم الجنس في اصطلاح النحاة.

أو لأمر ماله صفة كذا وهو الاسم المشتق، كلفظ الضارب، فإن مفهومه أنه أمر ماله صفة الضرب.

البحث السادس: اللفظ المركّب؛ إما أن يكون قابلاً للتصديق والتكذيب لذاته، وهو الخبر.

أو لا لذاته، وهو إما أن يكون مفيداً لطلب شيء إفادةً أوليّةً أو ليس كذلك.

والأول: إن كان على طريقة الاستعلاء، فهو الأمر.

وإن كان على طريق التساوي، فهو الالتماس.

1- الصبوح: كل ما أكل أو شرب غدوة وهو خلاف الغبوق والصبوح ما أصبح عندهم من شرابهم، فشربوه وحكى الأزهري الصبوح: الخمر، - والغبوق: الشرب بالعشى، وخص بعضهم اللبن المشروب في ذلك الوقت. اللسان مادة صبح،، وغبق.

وإن كان على طريق الخشوع والتضرع، فهو السؤال.

والثاني: هو التنبيه، ويدخل فيه التمني والترجي والقَسَم والنداء.

البحث السابع: اللفظ قد يكون/ [13 ب] مدلوله لفظاً مفرداً أوْ مركّباً، وعلى التقديرين فإما أن يدل على معنى، أو لا يدل، فهذه أقسام أربعة:

الأول: لفظ مفرد دالّ على معنى مفرد كلفظ الكلمة، والاسم والفعل والحرف.

والثاني: لفظ مفرد دال على لفظ مركب دال على معنى مركب كلفظ الخبر، والكلام، والقول الدالّ على قولنا: زيد كاتب، الدال على معانيه.

الثالث: لفظ مفرد دالّ على لفظ مفرد غير دالّ على معنى كقولنا: أ – ب، وسائر حروف المعجم.

الرابع: لفظ مفرد دالّ على لفظ مركب غير دالّ؛ كلفظ الهذَيان والهَذَر (1).

البحث الثامن: اللفظ المفرد إذا دلّ بالالتزام على معنًى، فذلك المعنى؛ إما أن يكون شرطاً للمدلول عليه بالمطابقة، أو تابعاً له، والأول تسمى دلالة الاقتضاء، وتلك الشرطية؛ إما عقلية كشَرْطيّة نصب السلّم لصعود السطح عند الأمر به أو شرعية كشرطية الوضوء للصلاة عند الأمر بها.

وأما التابع، فكنفْي الحكم المذكور لشيء حال تخصيصه بذكره .

1– الهدر: الكلام الذي لا يعبأ به والهذر: الكثير الرديء، وقيل هو سَقَطُ الكلام هذر الرجل في منطقه يهذِر ويهذُر هذْراً، والهذر هو الهذيان. اللسان مادة هذر.

عن (1) غيره عند من يقول به فإن معنى التخصيص مستلزم للنفي المذكور. وكذلك اللفظ المركب إذا استلزم تركيبه معنى.

فإما أن يكون من متمّمات المعاني المذكورة بالمطابقة أو من توابعها.

والأول: كدلالة تحريم التأفيف على تحريم الضرب.

وأما الثاني: فكاستلزام قوله تعالى: (فالآنَ بَاشِرُوهُنَّ ... إلى قوله تعالى: حتّى يتبيّن لكُم الخَيْطُ الأبيضُ) (2) لعدم فساد صوم من أصبح جنباً، وإلا لحرم الوطء في آخر جزء من الليل يتسع للغسل، وبالله التوفيق. .

1- من غيره في النسخة ب، م.

2- وتمام الآية: (فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتمّوا الصيام إلى الليل ...) البقرة 187.

الفصل الثالث

في الاشتقاق (1)

وفيه أبحاث:

البحث الأوّل: في حقيقة الاشتقاق (2):

والاشتقاق: أخذ أحد اللفظين من الآخر لمشاركة بينهما في / [14 أ] الاشتمال على المعنى والحروف الأصليّة.

وأركان الاشتقاق أربعة:

الأول: اسم موضوع لمعنى.

الثاني: مسمّىً آخر له نسبة إلى ذلك المعنى.

الثالث: مشاركة بين الاسمين في الحروف الأصلية.

الرابع: تغيير يَلْحَق الاسم الثاني؛ إما في حروف فقط، أو في حركة فقط، أو فيهما معاً.

وكل واحد من هذه الأقسام؛ فإما بالزيادة وحدها، أو بالنقصان وحده، أو بهما.

1- أفرد الاشتقاق بالتأليف جماعة من المتقدمين، منهم الأصمعي، وقُطْرب، وأبو الحسن الأخفش، وأبو نصر الباهلي، والمفضّل بن سلمة، والمبرد وابن دريد، والزجاج، وابن السراج، والرماني، والنحاس، وابن خالويه. المزهر 351/1.

2- في شرح التسهيل: الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى، مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة؛ كضارب من ضرب وحَذِرٌ من حَذِرٌ. المزهر 346/1

وظن الإمام (1) أن الحاصل من هذه القسمة تسعة أقسام فقط، وهو نتحقّقه عند الاعتبار بأن الحاصل منها خمسة عشر قسماً (2):

أ – زيادة الحرف (3).

ب – زيادة الحركة (4).

ج – – زيادتهما معاً (5).

د – نقصان الحرف (6).

ه – – نقصان الحركة (7).

و – نقصانهما معاً (8).

ز – زيادة الحرف مع نقصانه (9).

ح – زيادة الحرف مع نقصان الحركة (10).

ط – زيادة الحرف مع نقصانهما (11).

ي – زيادة الحركة مع نقصانها (12)

ك – زيادة الحركة مع نقصان الحرف (13). .

1– الإمام الفخر الرازي، وقد سبقت ترجمته ص 10.

2– ذكر السيوطي التغييرات التي تحدث بين الأصل المشتق منه والفرع المشتق وعددها خمسة عشر. المزهر: /348.

3– كطالب وطلَبْ.

4– كعَلِم وعلْم.

5– كضارب وضرْب.

6– كثبت وثبات.

7– كالفرس من الفرس.

8– كنَزَا ونزوان.

9– كواضع من الرضاعة.

10– كغضبى وغضب.

11– كفاخَر من الفخار نقصت ألف، وزادت ألف وفتحة.

12– كبَطِر بَطَرا.

13- کحرم وحرمان.

ل – زيادة الحركة مع نقصانهما (1).

م – زيادتهما معاً مع نقصان الحرف (2).

ن – زيادتهما معاً مع نقصان الحركة (3).

س – زيادتهما معاً مع نقصانهما معاً (4)

فهذه هي الأقسام الممكنة وعلى اللغوي طلب الأمثلة.

البحث الثاني: اختلف الناس في أنه هل يجوز صِدْق المشتقّ منفكّاً عن صدق المشتق منه، أم لا؟

والحق أنه يجوز. لنا أن الاشتقاق يكفي فيه أدنى ملابسة بين المشتقّ والمشتقّ منه فلا يشترط صدقه على ما يصْدق عليه المشتقّ، فإن المهْلك، والمميت والضارّ والمذِلّ، مما يصْدُق على ذات الله تعالى مع أن الأمور المشتقّ منها وهي: الهلاك، والموت / [14 ب]، والضرر، والذلّ غير صادقة ولا جائزة عليه، ومتى صَدُق المركّب صدُق كلُّ واحدٍ من أجزائه.

لأنّا نقول: لا نسلّم أن المشتق منه من حيث هو مشتقٌ منه جزء من المشتق، وحاصلٌ فيه بل الحاصل فيه شيء من أجزائه، وهي الحروف الأصلية، وبعض الحركات، فإنّا بيّنا أن المشتقّ لا بد (5) أن يلحقه تغيير بأحد الوجوه المذكورة، والقدْر المتغيِّر منه لا شك أنه كان معتبراً في حقيقة (6) المشتق منه، فبعد التغيير لم تبق تلك الحقيقة، فلمْ يلزم صدقها حال صدق المشتق. .

1- كعِدْ من الوعْد فيه نقصان الواو وحركتها، وزيادة كسرة.

2- كخاف من الخوف؛ لأن الفاء ساكنة في خوف لعدم التركيب.

3- كاضْرب من الضرب.

4- كاستْوق من الناقة.

5- لا بد وأن ب، م.

6- في حقيقته ب.

البحث الثالث: اختلفوا أيضاً في أنه هل يشترط في صدق المشتق بقاء صدق المعنى المشتق منه من لفظه أم لا؟

والحق أنه لا يشترط لوجوه:

أحدها: أنا نعلم بالضرورة وإطلاق أهل اللغة لفظَ المشتقِّ على الشيء حال مالا يكون وجه الاشتقاق باقياً، كإطلاقهم لفظ القاتل في الحال على من فعَل القتل فيما قبل.

الثاني: أن الضارب مثلاً هو من حصل منه الضـرب ولابسَه ملابسة فعلية، وهو أعم من حصوله له في الحال أو في الماضي؛ لإمكان تقسيمه إليهمـا، ولاـ يلزم من نفي الخاص نفي العام فلا يلزم من نفي الضـرب في الحال نفي مطلق الضـرب فلا يلزم من صـدق المشـتق بقاء وجه الاشتقاق.

الثالث: المشتقات من المصادر السّيالة كالمتكلم والمخبر لا يمكن بقاء وجه الاشتقاق فيها، فإن الإنسان حال ما يتكلّم بالحرف الثاني فات الحرف الأول، فلا يمكن تحقّق ماهية الكلمة في الخارج، فضلاً أن يقال إنها تبقى، مع أنها صادقة بالاتفاق.

لا يقال: الضارب مثلاً بعد انقضاء الضرب يصدق عليه أنه ليس بضارب في الحال وقولنا: ليس/ [15 أ] بضارب جزء من قولنا ليس بضارب في الحـال، ومتى صَدُق المركّب، صـدق كـلّ واحـد من أجزائه، فإذن صـدق عليه أنه ليس بضارب، فوجب أن لا يصـدق عليه أنه ضارب؛ لتناقضهما في العرف.

لأنّا نقول: إن كانت القضـيتان مؤقتتين (1)، منعنا التناقض في العرف والحقيقـة؛ لأن المكـذِّب لقولنا: إنه ليس بضارب في الحال، قولنا: إنه ضارب في الحال، ونحن ما ادّعينا صدق قولنا: إنه ضارب في الحال؛ بل .

1- أي مقيدة بوقت وزمن معين.

إنه في الحال يصدق عليه أنه ضارب ولا تناقض لعدم اتحاد الوقت.

وإن كانتا مطلقتين (1)، فدعوى التناقض إما حقيقة وهو ظاهر الفساد؛ لأن المطلقتين لا تتناقضان.

أو عرفاً، وهو أيضاً ممنوع، وبتقدير تسليمه نمنع صدق قولنا بعد

انقضاء الضرب إنه ليس بضارب؛ لصدق قولنا في تلك الحال إنه ضارب وتناقضهما عرفاً وبالله التوفيق.

البحث الرابع: اختلفوا أيضاً في أن المعنى القائم بالمحلّ، هل يجب أن يشتق منه اسم أوْ (2) لا؟

والحق أن يقال: المعاني إن لم يكن لها أسماء كأنواع الروائح، لم يجب ذلك فيها.

وإن كان لها أسماء، لم يجب أيضاً أن يشتق لمحالّها منها أسماء.

وهل يجوز أن يشتق لغير محالّها منها أسماء أوْ لا؟

والحق جوازه في الموضعين خلافاً لقوم من الأشعرية (3)، فإنهم قالوا: يجب الاشتقاق منها لمحالّها، ولا يجوز لغيرها.

لنا أن الجواز متفق عليه، وأما الجواب وتخصيصه بالمحلّ، فلم يذكر الخصم فيه دليلاً.

وأما جواز الثاني، فلأن الاشتقاق يكفي فيه أدنى ملابسة، فإن 6.

1- أي غير مقيدة بوقت معين.

2- هل يجب أن يشتق منه اسم أم لا؟ في النسخة ب.

3- الأشـعرية: مذهي كلامي إسـلامي وهو الذي يعرف بمذهب أهل السنة وزعيم هذا المذهب هو أبو الحسن الأشعري الذي خرج على مذهب المعتزلة. 873 - 941م. الموسوعة العربية الميسرة 166.

المشتق هو شيء (1) ذو المشـتق منه. ولفظة ذو لا يقتضـي الحلول. ومن الأمثلة المشـهورة: اللّابِن والتّامِر (2)، فإنهما مشتقان من اللبن والتمر، وهما غير قائمين بذات المشتق له.

البحث الخامس: مفهوم المشـتق، كالماشـي مثلاً، إنه شـيء ذو مشـي، فأما ذلك الشيء فغير داخل في مفهومه، وإن عُلِم فإنما يُعلم بطريق الالتزام.

برهانه أنك / [15 ب] تقول: الماشي حيوان، فلو كان مفهوم الماشي أنه حيوان ذو مشي، لكان ذلك بمنزلة قولك: الحيوان ذو المشي حيوان، وهو هذر (3)؛ بل إنما يعلم كونه حيواناً بدليل من خارج، وبالله التوفيق. .

1- فإن المشتق هو شيء ما ذو المشتق منه في النسخة أ.

2- أي ذو لبن وذو تمر.

3- الهذر: الكلام الذي لا يُعبأ به، والهذر الكثير الرديء. اللسان مادة هذر.

الفصل الرابع

في الترادف والتوكيد (1)

وفيه أبحاث:

البحث الأول: في ماهيّتهما:

أما الترادف: فهو كون لفظين مفردين، أو ما زاد عليهما (2) دالّين بالوضع على معنى واحد باعتبار واحد.

و «بالأفراد» احترزنا عن الاسم والحدّ (3).

وباعتبار واحد، عن اللفظين إذا دلّا على شيء واحد باعتبارين (4)، كالصارم والسيف، وباعتبار الصفة وصفة الصفة كالناطق والفصيح، فإن تلك متباينة.

وأما التوكيد فهو تقوية ما يفهم من اللفظ بلفظ آخر (5).

1- الترادف يرى فيه علماء اللغة إثراء للمفردات العربية ونموّها وتنويعاً قد تستدعيه أساليب البلاغة في النظم والنثر فيستعان به على إقامة قافية أو تحقيق سجع أو تجنيس أو غيرهما من ألوان البديع. والتوكيد يزيد المعنى تثبيتاً ويقيناً، كما ينفي احتمال المجاز.

2- كالأسد والضرغام والهزبر التي تستعمل في الحيوان المفترس.

3- الحدّ الناقص: هو التعريف بالفصل القريب كتعريف الإنسان بأنه ناطق، أو بالفصل القريب وبالجنس البعيد كتعريف الإنسان بأنه جسم ناطق. والحد التام: هو التعريف بالجنس والفصل القريبين كتعريف الإنسان بأنه حيوان ناطق. شرح الخبيصي 52.

4- أحدهما على الذات والآخر على الصفة.

5- الفرق بين الترادف والتوكيد: أن أحد المترادفين يفيد ما أفاده الآخر، كالإنسان والبشر، وفي التوكيد، يفيد الثاني تقوية الأول.

وللإمام فخر الدين (1) – رحمه الله – تساهل في هـذا المقام؛ إذ يحـدّ التأكيد بأنه اللفظ الموضوع لتقوية ما يفهم من لفظ آخر، ولم يفرّق بين التوكيد وبين نفس المؤكد وهو ظاهر.

البحث الثاني: في أسباب الترادف:

إنه يجوز وقوع الألفاظ المترادفة من واضع واحد، ويجوز وقوعها من واضعين، ويشبه أن يكون الأول أقل وجوداً، وله سببان:

الأول: التسـهيل والإقدار على الفصاحة؛ لأنه ربما يمتنع وزن البيت وقافيته مع بعض أسـماء الشيء دون اسمه الآخر، وربما حصلت رعاية السجع والمقلوب والجنس، وسائر أصناف البديع مع بعض أسماء للشيء ولا يحصل مع الآخر (2).

الثاني: التمكن من تأدية المقصود بإحدى العبارتين عند الغفلة عن الأخرى.

وأما الثاني: وهو السـبب الأكثريّ، فيجوز أن تصـطلح أحدى القبيلتين على اسم للشـيء غير الاسم الذي اصـطلحت عليه / [16 أ] القبيلة الأخرى، ثم يشتهر الوضعان بعد ذلك معاً.

البحث الثالث: إنه هل يصح إقامة كل واحد من المترادفين مقام الآخر دائماً أو لا؟

الظاهر في بادىء الرأي ذلك؛ لأن المترادفين هما اللـذان يفيد كل واحد منهما عين فائدة الآخر، فلما صحّ أن [يُضمّ] (3) المعنى المدلول عليه بأحد اللفظين إلى معنى آخر، فلا بد (4) أن تبقى الصحة حال ما يدل عليه .

1- الإمام فخر الدين سبقت ترجمته ص 10.

2- السيوطي اعتبر ذلك من فوائد الترادف. المزهر – 406/1 السيوطي طعيسى الحلبي.

3- يقسم في

4- فلا بد وأن تبقى ب.

باللفظ الثاني؛ لأن صحة الاقتران من عوارض المعاني.

وفيه نظر؛ لأن صحة الاقتران كما يكون من عوارض المعاني، كذلك يكون من عوارض الألفاظ؛ فإنك لو أبدلت لفظ «من» بمرادفه من الفارسية لم يصح، فكان هذا الامتناع من قِبل الألفاظ أيضاً.

قال الإمام فخر الدين: وإذا عقل ذلك في لغتين، فلم لا يجوز مثله في لغة واحدة؟.

والحق أنه يصح إقامة أحد المترادفين مقام الآخر بشرطين:

أحدهما أن يكونا من لغة واحدة.

والثاني: أن يتساويا في فهم المعنى منهما حال التخاطب بهما، أو يَقْرُبا من التساوي.

[تذنيب] (1): إذا كان أحد المترادفين أظهر في الاستعمال عند قوم كان الجليّ بالنسبة إلى الخفيّ شرحاً له، وربما انعكس الأمر بالنسبة إلى قوم آخرين.

البحث الرابع: في أقسام التوكيد:

المؤكِّدِ إما أن يكون متقدماً على المؤكَّد، أو مؤخّراً عنه.

والأول؛ كصيغة إنّ وما في حكمها مما يدخل على الجمل.

وأما الثاني؛ فإما أن يؤكَّد الشيء بنفسه أو بغيره.

والأول، كقوله عليه السلام: «والله لأغزونَّ قريشاً ثلاثاً (2). .

1- كلمة تذنيب لا وجود لها في النسخة أ. وذكر بدلاً منها كلمة البحث الرابع. ذكر ذلك السيوطي في المزهر 406/1. قال الإمام: قد يكون أحد المترادفين أجلى من الآخر؛ فيكون شرحاً للآخر الخفي، وقد ينعكس الحال بالنسبة إلى قوم دون آخرين.
2- أي أن علياً كرم الله وجهه كرر هذه العبارة ثلاث مرات.

والثـاني؛ إمـا أن يختص بالمفرد كلفظ النفس والعين أو المثنى ككلا وكلتا، أو الجمع كأجمعون وأكتعون أبتعون أبصـعون (1)، وكلّ هي أمّ الباب.

البحث الخامس: في حسن استعماله والخلاف فيه مع الملحدة الطاعنين في الوحي.

والنزاع إما في الجواز وهو معلوم / [16 ب] بالضرورة؛ لأن شدة اهتمام القائل بالكلام يدعوه إلى التأكيد (2).

وإما في الوقوع، وهو أيضاً معلوم من اللغات بعد تصفّحها، وهو وإن كان حسناً إلا أنه إذا تعارض حمل الكلام على التأكيد، أو على فائدة

زائدة، وجب صرفه إلى الفائدة الزائدة. .

1- تقول: رأيت القوم أجمعين أكتعين أبتعين أبصعين تؤكد الكلمة بهذه التواكيد كلها ولا يقدم كتع على جُمع في التأكيد ولا يفرد لأنه إتباع له. وفي الحديث: لتدخلنّ الجنة أجمعون اكتعون إلا من شرد على الله. اللسان مادة كتع.
2- تأكيده في النسخة ب.

الفصل الخامس

في المشترك

وفيه أبحاث:

البحث الأول: في حقيقته، وإمكانه، ووجوده.

أما حقيقته (1): فهو اللفظ الواحد الموضوع الحقيقتين مختلفتين أو أكثر، وضعاً أوّلاً من حيث هو كذلك.

وقولنا موضوع لحقيقتين مختلفتين، احتراز عن الأسماء المفردة.

وقولنا وضْعاً أوّلاً، احتراز عما يدل على الشيء بالحقيقة، وعلى غيره بالمجاز.

وقولنا (2) من حيث هو كـذلك احتراز عن اللفظ المتواطىء، فإنه يتناول الماهيات المختلفـة، لكن لا من حيث هي محتلفة؛ بل من حيث إنها مشتركة في معنى واحد وأما إمكانه فمن وجوه:

أحدها: أن الوضع تابع لغرض المتكلم، وقد يكون للإنسان غرض في [تعريفه] (3) شيئاً على التفصيل، وقد يكون غرضه تعريفه على سبيل الإجمال، بحيث يكون ذكره بالتفصيل سبباً للمفسدة.

1- وقـد حـدّه أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة. وقد تطلق الكلمة الواحدة على عـدة معان كلفظة (العين) فمن معانيها: السـحابة والمطر والطائر، وعين الشـمس وعين الماء وعين كل شـيء ذاته والجاسوس، وخيار الشيء، والسيد. المزهر 369/1، 375.

2- وقوله في ب.

3- في تعريف غيره شيئاً على التفصيل في النسخة أ.

والثاني: إنه ربما لا يكون المتكلم واثقاً بصحة الشيء على التعيين، إلا أنه يكون واثقاً بصحة أحد المعنيين لا محالة، فحينئذ يطلق اللفظ المشترك؛ كيلا يُعَدُّ بتصريحه بأحد المعنيين كاذباً، وبسكوته جاهلاً.

الثالث: إنه يجوز أن يضع أحد قبيلتين ذلك اللفظ لمعنى ثم تضعه قبيلة أخرى لمعنى (1) آخر، ثم يُشبّه الوضعان، ويخفى كونه موضوعاً منهما.

وأما وجوده؛ فهو معلوم بالضرورة؛ إذ من خواص اللفظ المشترك أنه إذا أطلق لم يتبادر الذهن إلى أحد مفهوميه دون الآخر؛ بل يبقى الذهن عند سماعه متردداً في تعيين المراد منه إلى ظهور القرينة المعينة له، وذلك ظاهر كلفظ / [17 أ] «القُرْء» للحيض والطهر (2)، وإن كان ذلك أيضاً قد يختلف بحسب كثرة الاستعمال في أحد المعنيين وقلّته، إلا أنه يكفينا في ذلك تردّد بعض الأذهان فيه.

البحث الثاني: في أقسامه:

مفهوما اللفظ المشترك، إما أن يكونا متباينين، أو متواصلين.

والأول، كالطهر والحيض.

والثاني، إما أن يكون أحدهما جزءاً من الآخر، أو لا يكون:

والأول، كالممكن لغير الممتنع ولغير الضروري.

والثاني، إما أن يكون أحدهما علّة للآخر، أو صفة له.

والأول، كلفظ الواجب بالذات، والواجب بالغير. .

1- للمعنى آخر في النسخة ب.

2- قال تعالى: (والمطلّقاتُ يتربّصْن بأنفسهنّ ثلاثةَ قُروء) البقرة 228. جمع قرء - بالفتح والضم - وهو الحيض، أو الطهر الفاصل بين الحيضتين وإلى الأول ذهب أبو حنيفة وأحمد وإلى الثاني ذهب مالك والشافعي.

والثاني، كلفظ الأسود لذي السواد المسمى أسود.

تنبيهان:

[أحدهما] (1): إذا نسبتَ ذا السواد المسمى: أسْود إلى ما يشاركه في لونه كالقار، كان إطلاق لفظ الأسْود عليهما من تلك الجهة بالتشكيك. وإن اعتبرته من جهة اسمه كان مقولاً عليهما بالاشتراك.

الثاني: قال فخر الدين (2) – رحمه الله – :

النقيضان لا يجوز أن يوضع لهما لفظ واحد؛ لأن المشترك لا يفيد إلا الترديد؛ وهو بين النفي والإثبات أمر حاصل معلوم لكل أحد،

وفيه نظر؛ لأن الأسباب التي ذكرنا أنه يجوز أن تكون أسباباً لوضع اللفظ المشترك، عامة لا تخصّ بعض (3) المعاني دون البعض، ولأنه إذا جاز وضع اللفظ الواحد للمعنى وضده الذي هو من قوة نقيضه كالقُرء للحيض والطهر إذا كان المحلّ لا يخلو عن أحدهما، والترديد بينهما معلوم لكل أحد فلم لا يجوز مثله في النقيضين؟ والله أعلم.

البحث الثالث: في أسبابه:

أما أسباب وجوده (4)، فيشبه أن يكون السبب الأكثري فيه هو أن .

1- أحديهما في النسخة أ.

2- سبقت ترجمته.

3- ببعض ب.

4- اختلف الناس في المشترك؛ فالأكثرون على أنه ممكن الوقوع لجواز أن يقع إما من واضعين؛ بأن يضع أحدهما لفظاً لمعنى، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر. ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادته المعنى. وإما من واضع واحد لفرض الإبهام على السامع. ومن الناس من أوجب وقوعه؛ لأن المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية، فإذا وزّع لزم الاشتراك. المزهر 369/1.

تضعه كل واحدة من قبيلتين لمعنى، ثم يشبه الوضعان ولا يتميزان.

وأما السبب الأقلّي؛ فإن يضعه واحد لمعنيين لغرض التكلم باللفظ المجمل، وقد مر أن التكلم باللفظ المجمل / [17 ب] من مقاصد العقلاء.

وأما السبب الذي يعرف به وجوده فإما تصريح أهل اللغة بذلك، أو تساوي المفهومين بالنسبة إلى السامع عند إطلاق اللفظ وتردد ذهنه في أيهما المراد بعد العلم بالوضع لهما.

البحث الرابع: في أنه هل يجوز استعمال اللفظ المشترك في معانيه على الجمع أو لا؟

جوز ذلك الشافعي (1)، وأبو بكر الباقلاني (2)، وأبو علي الجبّائي (3)، والقاضي عبد الجبار (4). ومنع منه أبو هاشم (5)، والحسن .

1- الإمام الشافعي هو محمد بن إدريس، ينتهي نسبة إلى المطلب أخي هاشم جد النبي صلى الله عليه و آله و سلم، ولد سنة 150 ه وتوفي بمصر سنة 204 ه. أشهر كتبه الأم والرسالة، ومنهاجه في الاستنباط: الكتاب والسنة والقياس والإجماع وهو واضع أصول الفقه الموسوعة 1068.

2- هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم المشهور، صاحب كتاب إعجاز القرآن توفي 403 ه. ابن خلكان 481/1، شذرات الذهب 57/2 - ابن العماد الحنبلي - القدسي 1351 ه.

3- الجبائي هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب 849 - 915 م ولد بخوزستان وانتقل إلى البصرة، ومن أشهر تلاميذه ابنه أبو هاشم والأشعري وإليه تنسب فرقة الجبّائية، رئيس معتزلة البصرة له جدل طويل مع الراوندي والاشعري كتب كثيراً في علم الكلام وتفسيراً للقرآن لم يصلنا منه شيء. الموسوعة 611.

4- هو القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي صاحب كتاب المغنى في أبواب التوحيد والعدل والجزء السادس عشر منه في إعجاز القرآن، وتوفي سنة 415 ه.

5- أبو هاشم ولد بالبصرة وعاش في بغداد تتلمذ له كثيرون أخصهم الصاحب بن عباد، وربما كان أبو هاشم أشهر من أبيه الجبائي وهو أحد أصول المعتزلة ويقف موقفاً وسطاً بين منكري الصفات ومثبتيها، فقدت كتبه الكثيرة في علم الكلام والجدل. الموسوعة 611.

البصري (1)، والكرخيّ (2)

ثم منهم من منع منه لأمر يرجع إلى القصد.

ومنهم من منع منه لأمر يرجع إلى الوضع. وهو اختيار الإمام فخر

الدين – رحمه الله – .

حجة المجّوزين من وجهين:

أحدهما: أن الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار، ثم إن الله تعالى أراد بهذه اللفظة كلا معنيهما في قوله:

(إنَّ الله وملائكتَه يُصَلُّونَ على النّبيّ) (3).

الثاني: قوله تعالى: (ألمْ ترَ أنّ اللهَ يَسْجُدُ لهُ مَنْ في السمواتِ ومَنْ في الأرضِ والشمسُ والقمرُ والنجومُ) (4) الآية والسجود هاهنا مشترك بين الخشوع؛ لأنه هو المتصوّر من الملائكة، وبين وضع الجبهة على الأرض في حقّ الناس وبين شهادة الحال بالحاجة إلى الصانع؛ لأنه هو المتصوّر من الجمادات، ثم إن الله تعالى أراد به كل معانيه في هذه الآية.

حجّة المانعين: أن المجموعَ غيرُ كلّ واحد واحد، فالواضع إذا وضع لفظ المعنيين على الانفراد، فإما أن يضعه مع ذلك لمجموعهما، أو لا يضعه، فإن لم يضعه له، كان استعماله فيه استعمالاً للفظ في غير ما وضع له، وإنه غير جائز، وإن وضعه له، فإذا استعمله فيه، فإما أن يستعمله فيه لإفادته بانفراده، فيكون ذلك استعمالاً للفظ في أحد مفهوماته لا في كلها..

1- هو الحسن بن أبي الحسن البصري، أحد سادات التابعين وكبرائهم توفي سنة 110 ه ابن خلكان 128/1 المطبعة الميمنية 1310 ه.

2- الكرخي هو عبيد الله بن الحسين توفي 340 ه.

3- سورة الأحزاب آية 56.

4- سورة الحج آية 18 وبقية الآية (... والجباب والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يُهن الله فما له من مُكرِم إن الله يفعل ما يشاء).

وإن استعمله مع إفادة الأفراد، فهو محال؛ لأن استعماله / [18 أ] لإفادة المجموع يستلزم عدم الاكتفاء بكل واحد من الأفراد، واستعماله لإفادة الأفراد يستلزم الاكتفاء بكل واحد من الأفراد والاكتفاء بكل واحد من الأفراد مع عدم الاكتفاء بكل واحد منها مما لا يجتمعان.

وأقول: إن محلّ النزاع في هذا البحث غير ملخّص:

فإنه إن أريد أن يجوز استعماله في مدلولاته على الجميع مطابقة، فليس يحق؛ لما يلزم المستعمل له كذلك من التناقض في القصد إلى المجموع وإلى الأفراد.

وإن أريد أنه يجوز استعماله فيها على الجميع لإفادتها كيف اتفق، فذلك جائز؛ إذ يصح استعماله في المجموع مطابقة مع دلالتها على الأفراد تضمّناً.

وقول المانع: إنه إذا لم يكن الواضع وضع اللفظ للمجموع كما وضعه للأفراد امتنع استعماله فيه.

إن أراد به حقيقة فهو حقّ، وإن أراد أنه يمتنع استعماله فيه مجازاً، فهذا ممّا لا تقتضيه [حجته] (1).

وأما حجج المجوّزين فضعيفة:

أما الأولى: فلأن ضمير الجمع في قوله تعالى: (يصلّون) (2) بمنزلة الضمائر المتعددة المقتضية للأفعال المتعددة التي يراد بكل واحد منها معنى غير ما يراد بالآخر، والتقدير: إن الله يصلّي وملائكته تصلّي.

وأما الثانية: فلأن المعطوفات المتعددة تستدعي (3) تعدّد الأفعال؛ .

1- حجة أ.

2- (إن الله وملائكته يصلون على النبي) سورة الأحزاب آية 56.

3- يستدعي ب.

فتقدير قوله (ولله يسْجدُ مَن في السموات ومَن في الأرضِ) (1) وكذا الباقي والمراد بكل منها المعنى الذي تقتضيه القرينة.

ثم لو سلمنا أنها استعملت في كل مفهوماتها؛ لكنه يكون مجازاً وإلّا

لزم (2) لتناقض، كما هو مذكور في حجّة المانعين، وبالله التوفيق. البحث الخامس: فيما يتعين به مراد اللّافظ باللفظ المشترك:

اللفظ المشترك إن لم تقترن (33) به قرينة تخصص أحد معنييه بالمراد به بقي مجملاً.

وإن وجدت قرينة كذلك، فإما أن تقتضي الاعتبار أو الإلغاء، وعلى التقديرين؛ فإما لكل المسمّيات أو لبعضها، فهذه أقسام أربعة.

فالأول: أن تفيد اعتبار كلِّ واحد / [18]، فتلك المسمّيات؛ إما أن تكون متنافية بحيث لا يمكن الجمع (3) بينها، فيبقى اللفظ مجملاً إلى ظهور المرجّح،

وإن لم تكن متنافية، حُمل اللفظ على مجموعها مجازاً.

الثاني: أن تفيد إلغاءَ كلِّ واحد فحينئذ يجب حمْلَ اللفظ على مجازات تلك الحقائق المُلْغاة، ثم أن تكون بعض تلك الحقائق أرجح من بعض لو لم يقع الدليل على عدم إرادتها، أوْ لا تكون.

فإن كان الأول، فمجازاتها إما أن تتساوى في القرب من الحقائق، فيتعيّن حملُ اللفظ على مجاز الحقيقة الراجحة. (4)

أو تتفاوت المجازات، فإن كان الراجح منها هو مجاز الحقيقة .

1- (والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها) الرعد آية 15.

2- ولازم في النسخة ب.

3- تقرن في النسخة ب، م.

4- أن يجمع ب.

الراجحـة، تعيّن الحمـل عليه، أو مجاز الحقيقـة المرجوحـة، فيقع التعارض بينه وبين مجاز الحقيقـة الراجحـة؛ لاختصاص كل منهما بنوع ترجيح إلى أن يظهر مرجّح آخر.

وأما إن تساوت الحقائق؛ فإن اختلفت مجازاتها بالقرب والبعد منها، حُمل اللفظ على المجاز الأقرب.

وإن لم تختلف بقي التعارض بين مجازات تلك الحقائق؛ لتساويها وتساوي حقائقها إلى أن يظهر الترجيح.

الثالث: أن تفيد إلغاء البعض، فإن كانت اللفظة مشتركة بين معنيين فقط تعين الحمل على الثاني.

وإن كانت لأكثر من معنيين، فعند إلغاء بعضها، إن كان الباقي واحداً

تعين الحمل عليه أو أكثر من واحد فيبقى اللفظ مجملاً فيها.

الرابع: أن تفيد اعتبار البعض، فيتعين الحمل عليه سواء كانت اللفظة لمعنيين أو أكثر.

القسم الثاني

في كيفيات تُلحق الألفاظَ بالنسبة إلى معانيها فتوجب لها الحسْن

والمزيّة (1) وتُعدّها أتمّ الإعداد لأداء المعاني، وتهيّء الذهن للقبول.

وهو مرتب على مقدمة وجملتين:

أما المقدمة ففيها بحثان:

البحث الأول: في حدّ البلاغة والفصاحة.

أما البلاغة [فهي] (2) مصدر قولك (19 أ). بُلغ الرجل بالضم إذا صار بليغاً؛ وهو أن يبلغ بعبارته أقصى مراده باللفظ من غير إيجاز مخلّ ولا تطويل مملّ.

وأما الفصاحة: فهي (3) خلوص الكلام من التعقيد.

وأصله من الفصيح وهو اللّبن إذا أخذْتَ رَغْوَتَه وذهب لِبَاؤُه (4)

وقد فصح وأفصح إذا صار كذلك، وأفصحت الشاة: فصُح لبنها،

ثم قالوا: أفصح العجميّ فصاحة فهو فصيح، إذا خَلُصت لغته اللّكنة واللحن، ثم إن الفصاحة عند أربابها ليست باستعمال الشوارد التي لا تُفهم، وإنما هي باستعمال ما يقرب فهمه، ويَعْذُب استماعه، ويُعْجِب ابتداعه، وتدلّ مطالعه على مقاطعه وتنمّ مباديه على تواليه (5). وأكثر

1- الزينة في النسخة ب.

2- ساقطة من النسخة أ.

3- فهو في النسخة ب.

4- اللباء: أول اللبن، أو هو أول ما يحلب عند الولادة، اللسان مادة لبأ.

5- أي تشير بدايته إلى نهايته.

البلغاء لا يكادون يميّزون بين البلاغة والفصاحة؛ بل يستعملونهما استع اللفظين المترادفين على معنى واحد (1)، ومنهم من يجعل البلاغة المعاني، والفصاحة في الألفاظ (2). والأقرب أن الفصاحة سبب للبلاغ والبلاغة أعمّ منها لغة؛ إذ قد يبلغ غير الفصيح بعبارته أقصى مراده، كانت) (3) مساوية لها في عرف العلماء.

وتلخيص مفهوميهما: أن الفصاحة هي خلوص الكلام في دلا على معناه من التعقيد الموجب لقرب فهمه ولذاذة استماعه.

والبلاغة: هي كَون الكلام الفصيح مُوَصِّلاً للمتكلم إلى أق مُراده. وبالله التوفيق.

البحث الثاني: في موضوع علم الفصاحة والبلاغة.

لما كان المقصود من الكلام هو إفادة المعنى، وكانت هـذه الإ كما علمت قـد تكون وضـعيّة صِرْفة، وقـد تكون بمشاركـة من الوضع والع فنقول:

موضوع علم الفصاحة: هو الكلام الدال على معناه بإحدى الدلا

الثلاث من حيثُ هو على حالةٍ موجبةٍ لقرب فَهمه ولذاذة استماعه.

وموضوعُ البلاغة: هو الكلام الفصيح.

وقال الإمام: [أن الفصاحة والبلاغة إنما يكون موضوعهما الكلام من – دلالته بالالتزام؛ وذلك لأن الافادة الوضعية يستحيل تطرق (19 ب) الز

1– لأن البلاغة والفصاحة ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصلاهما؛ لأن كل منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له.

2– لأن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ؛ لأن الآلة تتعلق باللفة المعنى، والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب، فكأنها مقصورة على الم الصناعتين 8 ط عيسى الحلبي

3– هذه العبارة ساقطة من أ، ب، فأثبتناها؛ لأن السياق يقتضيها.

والنقصان اليها (1)؛ فإن السامع للفظ الموضوع إن كان عالماً بكونه موضوعاً لمعناه، علم مفهومه بتمامه. وإن لم يكن عالماً بالوضع، لم يتصور منه شيئاً]؛ [مثاله (2): أنك إذا أردت تشبيه زيد بالأسد في الشجاعة وقصدت التعبير عن هذا المعنى بالدلالة الوضعية فقلت: زيد يشبه الأسد في شجاعته، فالزيادة والنقصان في هذه الإفادة بما يعود إلى مفردات هذه الألفاظ، غير متصوّرين. ولو أقمت مقام هذه الألفاظ ما يرادفها، فالحال كذلك؛ للدليل المذكور.

وتبين من هذا (3) [أن الإيجاز والاختصار، والحذف والأضمار، يستحيل تطرقها إلى الدلالات الوضعية؛ ولهذا كان أكثر ما يستعمل في العلوم العقلية الدلالات الوضعية؛ لعدم احتمالها الزيادة والنقصان الموجبين للغلط [والشبهة] (4).

وأما الإفادة الأخرى فلأجل أن حاصلها يعود إلى انتقال الذهن من مفهوم اللفظ إلى ما يلازمه، ثم إن اللوازم كثيرة، وهي تارة تكون قريبة، وتارة تكون بعيدة، فلا جرم صح تأدية المعنى الواحد بطرق كثيرة، وصحّ في تلك الطرق أن يكون بعضها أكمل في إفادة المعنى، وبعضها أنقص. فهذا ما يتعلق بالفصاحة من جهة المفردات.

وأقول: إن التحقيق يقتضى أن الزيادة والنقصان مما يتطرقان إلى الإفادة الوضعية أيضاً. فإن الإمام سلّم أن بعض الحروف أفصح جرساً والذّ سماعاً كالعين، وبعضها أسهل على اللسان كحروف أ.

1- قال الامام فخر الدين الرازي: لا يخلو السامع من ان يكون عالماً بمعاني الألفاظ فحينئذ لا يمكن دخول التفاوت في فهمه لمعانيها، أو يكون جاهلاً بها، فيكون ذلك أبعد نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ص 14 ط 1317 ه.

2- البحراني هنا ينقل مضمون كلام الرازي انظر ص 1029 من نهاية الإيجاز.

3- ذكر هذه العبارات بنصها الامام الرازي في كتابه نهاية الايجاز ص 10.

4- و«الشبه» من النسخة أ.

الزلاقة (1)، وبعضـها أثقل. ولا شك أن الكلام المركّب من أسـهل الحروف والدّها سـماعاً، أفصح والذّ سماعاً (20 أ) عنـد النفس مما لا يكون كذلك، وسلّم أيضاً أن الأفصح أدل على المعنى وأسرع إلى قبول النفس له مما لا يكون كذلك.

وليس سـبق العلم بالوضع قادحاً فيما ذكرناه؛ لأن الانسان قـد يسـبق علمه بوضع اللفظ ثم يـذهل عنه، فعنـد سـماعه يجـد (في) (2) نفسه مسارَعـة إلى قبول المعنى من الأفصح دون غيره، وملتذّة بسـماعه بسـبب فصاحته، ولا معنى لزيادة الافادة ورجحانها إلا ما يحصل للنفس من اللّذة بالمعنى، والمسارعة إلى قبوله بتمامه من اللفظ الأسهل، والله أعلم.

وأما البلاغة العائدة إلى النظم والتركيب، فتحقيق القول فيها: (3).

أن الكلام المنظوم لا محالة مركب من المفردات، والمفردات يمكن تركيبها على وجه لا يفيد المقصود، وقد يمكن تركيبها على وجه يفيده. ثم للتركيب المفيد مراتب كثيرة، ولها طرفان، ووسط:

فالطرف الأعلى: هو أن يقع ذلك التركيب على وجه يمتنع أن يوجد ما هو أشد تناسباً واعتدالاً منه في افادة ذلك المعنى.

والطرف الأدنى: هو أن يقع على وجه لو صار أقل تناسباً منه لخرج .

1- معنى الذلاقـة أن يعتمـد عليها بـذلق اللسان وهو طرفه، قال ابن سـنان: حروف الذلاقة سـتة أحرف، وهي: اللام، والراء، والنون، والفاء، والباء، والميم. وعند البحراني حروف الذلاقة ثلاثة وهي: الراء، واللام، والنون، ويلحق بها الحروف الشفهية وهي: الفاء، والباء، والميم. انظر أصول البلاغة ص 40 ط دار الشروق، وسر الفصاحة ص 24 ط صبيح.

2- كلمة «في» ساقطة من النسخة أ.

3- الكلام الـذي وضـعناه بين قوسـين مربعين نقله ميثم البحراني عن الفخر الرازي، دون تصـرف تقريباً. انظر نهاية الايجاز ص 10 - 11. وواضح أن البحراني يأخذ برأي الرازي في مفهوم البلاغة التي تعود إلى النظم والتركيب.

عن كونه مفيداً لذلك المعنى.

وبين هذين الطرفين مراتب: واختيار أحسنها يقتضي الفصاحة في النظم، وهذا معنى قول عبد القاهر الجرجاني (1) - رحمه الله - :

[النظم عبارة عن توخي معاني النحو فيما بين الكلم] (2).

إذا ثبت هذا فنقول:

أما الطرف الأدنى، فليس من البلاغة في شيء، وأما سائر المراتب فإن كل واحد منها إذا اعتبرته بالنسبة إلى ما تحته يكون مستلزماً للبلاغة

والفصاحة.

واما الطرف الأعلى وما يليه، فهو المعجز. فهذا هو التحقيق في البلاغة والفصاحة في المفردات والمركبات. .

1- هو الامام المشهور أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، وكان إماماً في النحو والبلاغة، وأشهر كتبه دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة، والعوامل المائة، وله في النحو كتاب المغنى في شرح الايضاح لأبي علي الفارس، ويبلغ ثلاثين مجلداً. انظر في ترجمته: بغية الوعاة 2 / 106، انباه الرواة 2 / 188، نزهة الألبا 236، فوات الوفيات 378/1.

2- النظم هو توخي معاني النحو في معاني الكلم، وأن توخيها في متون الألفاظ محال هذه عبارة عبد القاهر في الدلائل ص 276 ط المنار.

الجملة الأولى في المفردات

وفيها مقدمة وأبواب:

(20 ب) أما المقدمة: فاعلم أن للأشياء في الوجود أربعَ مراتب: (1)

الأول: وجودها وتحققها في الأعيان.

الثاني: وجودها في الذهن.

الثالث: وجودها في اللفظ الدال على ما في الذهن.

الرابع: وجودها في الكتابة الدالّة على ما في اللفظة.

ومزية الكلام في الحسن تارة تكون بسبب الكتابة،

وتارة تكون بسبب اللفظ من حيث هو لفظ.

وتارة بحسب اللفظ من حيث له الدلالة الوضعية.

وتارة بحسبه من حيث له الدلالة الالتزامية.

1- قال الفخر الرازي في نهاية الايجاز: أعلم أن للأشياء اربع مراتب في التحقيق. الأولى: حصولها وتحققها في أنفسها. الثانية: حصول تصوراتها والعلم بها عند العقل. الثالثة: الألفاظ الدالة على تلك الصور. الرابعة: الكتابات الدالة على تلك الألفاظ. ومزية الكلام في الحسن والجمال؛ تارة تكون بسبب الكتابة، وتارة تكون بسبب اللفظ من حيث هو هو، وتارة بسبب اللفظ من حيث له الدلالة الوضعية الأصلية، وتارة بسبب اللفظ من حيث له الدلالة المعنوية الفرعية. وغرضنا في هذا الباب أن نتكلم في الأقسام الثلاثة الأول. ص 21، 22.

ولما كانت المحاسن العائدة إلى الكتابة لا تخلو عن تكلف ما، (1) وكان الكلام الذي نحن بصدد شرحه بريئاً عن التكلف، خالياً عن جهات التعسف، لا جرم كان ذكرنا لها قليل الجدوى، فلذلك تركناه.

الباب الأول: في المحاسن العائدة إلى اللفظ من حيث هو لفظ.

اعلم (2) ان المحاسن العائدة إلى اللفظ، إما أن تعود إلى آحاد الحروف، أو إلى حال تركيبها، أو إلى الكلمة الواحدة، أو إلى الكلمات الكثيرة، فلا جرم اشتمل هذا الباب على فصلين:

الفصل الأول

فيما يتعلق بآحاد الحروف، وتركيبها، وحال الكلمة، وفيه أبحاث:

البحث الأول: في مخارج الحروف، وهي ستة عشر: (3).

أ - أقصى الحلق، وهو مَخرج ثلاثة حروف: الهمزة، والألف، والهاء.

ب - وسَط الحلق، وهو مخرج لحرفين: العَين، والحاء (4).

ح - أدناه إلى الفم، وهو مَخْرج الغَين والخاء.

1- وصف البحراني المحاسن التي تعود إلى الكتابة بأنها لا تخلو عن التكلف؛ لأن النظر فيها يكون من حيث الحروف منقوطة أو غير منقوطة، أو أن كلمة في جملة منقوطة، وفي جملة أخرى غير منقوطة. وهو في هذا يتبع خطا الرازي انظر نهاية الايجاز ص 21 - 23.

2- واعلم في النسخة ب.

3- ذكر علي بن عيسى عن النحاة أن مخارج الحروف ستة عشر. نهاية الايجاز ص 23 ومخارج الحروف بأقسامها الستة عشر ذكرها ابن سنان في سر الفصاحة ص 22، 23. والصواب: أن المخارج خمسة عشر، وهذه النون - اي المخرج التاسع - خيشومية لا عمل للسان فيها.

4- والهاء في النسخة ب وهو خطأ؛ لأن الهاء مخرجها من أقصى الحلق.

د – اللسان فما فوقه من الحنَك، وهو مخرج القاف.

ه – أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا، ومما يليه من الحنَك، وهو مخرجُ الكاف (1)

و – من وسط اللسان بينه وبين وسّط الحنّك، وهو مخرج الجيم والشين والياء (2)

ز – أول حافّة اللسان وما يليها من الأضراس، وهو مخرج الضاد (3) (21 أ).

ح – حافّة اللسان من أدناها (4) إلى مُنتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى فما فُويقَ الضاحِك والنّاب والرباعية والثنيّة (5)، وهو مخرج اللام (6).

ط – من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النُون.

ي – مخرج النون غير أنه أدخلُ من ظهر اللسان قليلاً؛ لانحرافه الى اللام، وهو مخرج الراء.

ك – فيما بين طرْف اللسان وفويق الثنايا: مخرج الطاء، والتاء، والدال (7) ة.

1– القاف والكاف يسميان لهوّيين؛ لملابستهما اللهاة في خروجهما.

2– هذه الحروف تسمى الحروف الشجرية.

3– ويسمى المنفرد المستطيل.

4– ادناه في النسخة ب.

5– الثنية: واحدة الثنايا من السن المحكم، والثنية من الأضراس: أول ما في الفم، وثنايا الانسان في فمه: الأربع التي في مقدم فيه: ثنتان من فوق، وثنتان من أسفل مادة ثنى.

6– ويسمى: المنحرف.

7– وتسمى: النطعية.

ل – فيما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا: مخرج الزاي، والسين، والصاد (1).

م – فيما بين طرْف اللسان والطرف الأدنى من الثنايا: مخرجُ الظاء، والثاء، والذال (2).

ن – من باطن الشفة السفلى واطراف الثنايا العليا: مخرج الفاء.

س – ما بين الشفتين: مخرج الباء، والميم، والواو (3).

ع – من الخياشيم (4): مخرج النون الخفيفة.

قال الخليل (5): [الذلاقَةُ في النطق إنما هي بطرف أسَلة (6) اللسان، وذلَقُ اللسان تحديد طرفه، كذلَقِ السِنان.

قال: ولا ينطق طرف شَباة (7) اللسان إلا بثلاثة أحرف وهي: الراء واللام والنون. فلذلك تسمى هذه حروف الذلاقة (8).ح.

1– وتسمى: الأسلية وحروف الصفير.

2– وتسمى: اللثوية؛ لملابستها اللثة، أو قربها منها.

3– – وتسمى الشفهية.

4– الخياشيم: جمع خيشوم، والخيشوم من الأنف ما فوق نخرته من القصبة وما تحتها، وقيل الخياشيم: غضاريف في أقصى الأنف بينه وبين الدماغ، وقيل: هي عروق في باطن الأنف. وخياشيم الجبال: أنوفها. اللسان مادة خشم.

5– هو ابو عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي صاحب كتاب العين وعلم العروض واستاذ سيبويه توفي سنة 175 ه طبقات النحويين و اللغويين ص 43 ط الخانجي.

6– أسلة اللسان: طرف شباته إلى مستدقه، ومنه قيل للصاد والزاي والسين أسلية؛ لأن مبدأها من أسلة اللسان وهو مستدق طرفه، والأسلة: مستدق اللسان، وأصل الأسل: نبات له أغصان رقاق كثيرة لا ورق لها. اللسان مادة أسل.

7– شباة كل شيء: حد طرفه، وقيل حد كل شيء شباته، والجمع شبوات وشبا. اللسان مادة شبا.

8– – معنى الذلاقة: ان يعتمد عليها بذلق اللسان، وهو طرفه، قال ابن سنان: حروف الذلاقة ستة أحرف وهي: اللام والراء والنون، والفاء والباء والميم، وبذلك ادخل ابن سنان الحروف الشفهية في حروف الذلاقة على خلاف ما ذكره المؤلف. سر الفصاحة ص 24 ط صبيح.

ويلحق بها الحروف الشفهية وهي ثلاثة: الفاء والباء والميم.

قال: ولما ذَلقتْ هذه الحروف وسُهلت على اللسان في المنطق، كثُرتْ في أبنية الكلام، فليس شيءٌ من بناء الخُماسيِّ التام يَعْرَى عنها، فإن وردت عليك كلمةٌ خماسية أو رباعيّة معرَّاة عن حروف الذلّق، أو عن الحروف الشفهية، فاعلم أن تلك الكلمة محدثةٌ مبتدعةٌ ليست من كلام العرب.

وقال أيضاً: العين والقاف لا يدخلان في بناء إلا حسّناه؛ لأنهما أطلق الحروف.

أما العين، فأفصح الحروف جرْساً والذُّها سماعاً.

وأما القاف، فأمتن الحروف وأوضحها جرْساً.

فإذا كانتا أو أحدهما في بناء، حَسُن البناء.

وكذلك السين والدال في البناء إذا كان اسماً؛ لأن الدال لانت عن صلابة (1) الطاء ولَزَازَتِهَا (2)، وارتفعت عن خُفوت التاء، فصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي.

كذلك قال:

والهاء تحتمل في البناء؛ للينها وهشاشتها (3) (4) ب.

1- اطلق الحروف: أسهلها، يقال ليلة طلْق: اي سهلة طيبة لا حر فيها ولا برد يؤذيان. اللسان مادة طلق.

2- الكزازة: اليبس والانقباض. اللسان مادة كزز.

3- الهشّ: ما فيه رخاوة ولين. اللسان مادة هشش.

4- ما بين القوسين العموديين ساقط في النسخة أ وذكرت في النسخة ب.

ولا بد من رعاية هذه الاعتبارات؛ ليكون الكلام سَلِساً على اللسان (1)، وهي كالشروط للفصاحة والبلاغة.

البحث الثاني: في المحاسن بسبب آحاد الحروف وشروط تركيبها.

أما الأول: فمنها الحذف، وهو: أن يحترز عن حرف أو حرفين في الكلام؛ إظهاراً للمهارة في تلك اللغة.

كان واصل (2) ألثغ، وكـان يحترز عن الراء، فجرّب في أنه كيف يعبّر عن معنى قولنـا: اركبْ فرسَك، واطرحْ رمحَك، فقال في الحال: التي. قناتَك، واعلُ جوادَك. والحريري (3) بلغ الغاية حيث ذكر أشعاراً حذف عنها الحروف المنقوطة، وأشعاراً حذف عنها غير المنقوطة.

ومنهـا الإعْنـات، وهو: التزامُ حرف قبـلَ حرف الرَّويّ أو الردْف، من غير أن يجب ذلـك في السـجع، كقوله تعالى: (فأمّا اليتيمَ فلا تَقْهَر وأمّا السائلَ فلا تَنْهَر) (4).

وقول عليّ عليه السلام في مدح النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: «بلّغ عن ربِّهِ مُعْذِراً ونَصَحَ لأمّتِهِ مبذِّراً (5)..

1- هذا المبحث ذكره الطوفي البغدادي كاملاً دون تصرف. الاكسير في علم التفسير ص 72.

2- هو أبو حذيفـة واصل بن عطاء المعتزلي، المعروف بالغزال، ولد سـنة 80 ه وتوفي سنة 181 ه، وكان ألثغ فاحسن اللثغ، وقـد عمد إلى إسـقاط حرف الراء من كلامه، ولم يزل يكابـد ذلك ويغاليه حتى انتظم له ما حاول، واللثغة في الراء تكون بالغين والذال والياء، والغين أقلها قبحاً. لسان الميزان 214/6، البيان والتبيين 14/1.

3- هو القاسم بن علي البصـري الحريري ولد سنة 446 وكان غايـة في الفصاحة والبلاغة وله المقامات المعروفة باسـمه، ودرة الغواص في أوهام الخواص، والملحة وشرحها ورسائله وديوان شعره، مات بالبصرة سنة 516 ه. بغية الوعاة 2 / 257 - 259 ط عيسى الحلبي.

4- سورة الضحى آية 9 - 10.

5- من قوله في زهـد الرسول صـلى الله عليه و آله و سـلم نهـج البلاغة ص 162، ومعـذراً: مبيناً الله حجـة تقوم مقام الغدر في عقابهم إن خالفوا أمره.

وأما الثاني: فالشرط أن يكون التركيب معتدلاً، فإن من التركيب ما يكون متنافراً، كقوله:

وقبْرُ حرْبٍ بمكانٍ قَفْرِ *** وليس قُرْبَ قبْرِ حرْبٍ قَبْرُ (1)

وأن يكون خفيفاً، فإن منها ما يكون ثقيلاً، وإن كان دون الأول، كقول أبي تمام:

كريمٌ متى أمدحْه أمدحْه والورى *** معي ومتى لمْتُه لمتُه وحدي (2)

ومنه ما يكون فيه بعض الكلَفـة إلا أنه لا يبلغ أن يُعاب، والسـبب في هـذا التنافر إما تقارب مخارج الحروف فيحتاج فيها إلى جنس الصوت في زمانين متلاصقين، فلا يظهر الحرف الأول (22 أ).

وإما وجوب العود إلى ما منه الابتداء، كقولهم: الهُعخُع (3) وهذه الدرجات كما تترتب في جانب الثقل، فهي موجودة في جانب السلاسة، حتى إن الكلمة تكون غاية السلاسة.

البحث الثالث: فيما يتعلق بالكلمة الواحدة، وهو من وجهين:

الأول: أن تكون متوسطة في قلة الحروف وكثرتها 7

1- البيت لا يعرف قائله، ولتنافر لفظه نسبوه إلى الجن، وهـذا شـيء قد ذكرته الرواة في أخبارها، والعرب في أشـعارها، انشده الجاحظ في البيان والتبيين 1/ 65 والحيوان 6/ 207.

2- بعض العلماء بالشعر يعيب على أبي تمام هذا البيت لما فيه من تكرار حروف الحلق على ما فيه من سلامة المعنى واختيار الألفاظ. سر الفصاحة ص 113. وهذا البيت لأبي تمام قصيدة يمدح فيها ابا الغيث الرافقي ويعتذر إليه ومطلعها: شهدت لقد أقوتْ مغانيكم بعدي *** ومحت كما محت وشائع من برد ديوانه 2 / 116 والشطرة الثانية من البيت كما وردت في النسخة أ ... جميعاً ومهما لمته لمته وحدي

3- روى ان الخليـل بن أحمـد قـال: سـمعنا كلمـة شـنعاء وهي الهعخع وانكرنـا تأليفها، وقيل إن اعرابياً سـئل عن ناقته فقال: تركتها ترعى الهعخع، وسئل الثقات من العلماء عنه انكروه ودفعوه. سر الفصاحة 57

فأما الحرف الواحد فلا يفيد.

[وأما المركبة (1)] من الحرفين، فليس في غايـة العذوبـة؛ بل البالغ في ذلك الثلاثيات؛ لاشـتمالها على المبـدأ والوسط والنهاية. وعلته: أن الصوت من عوارض الحركة والحركة لا بد لها من هذه الثلاثة، فمتى ظهرت هذه الثلاثة فيها، كان الكلام أسهل جرياناً على اللسان.

وأما الرباعيات والخماسيات، فلا يخفى ثقلها؛ لزيادتها على الدرجات الثلاث التي يتعلق بها كمال الصوت.

الثاني: الاعتدال في حركات الكلمة، فاذا توالتْ خمسُ حركات، كان ذلك في غاية الخروج عن الوزن، ولذلك لا يحتملها الشعر.

وأما أربع حركات، فهي في غاية الثقل أيضاً؛ بل المعتدل توالي حركتين يعقبهما (2) سكون، وإن كان لا بدّ فإلى ثلاثِ حركات (3).4

1- في النسخة أ وأما المركب.

2- يعقبها في النسخة ب.

3- ذكر المؤلف هنا وجهين فقط فيما يتعلق بفصاحـة الكلمـة الواحـدة، وفي أصول البلاغـة ذكر خمسة أوجه، وهي بالاضافة إلى الوجهين المـذكورين: كونها عربيـة غير مولّـدة، ولا صادرة عن خطأ العامة. أن يكون أجري على مقاييس العرب. أن لا تكون غريبة وحشـية، ولذلك كانت في الكتاب العزيز نادرة. أصول البلاغة ص 44

الفصل الثاني

فيما يتعلق بالكلمات المركبة، وفيه نوعان:

النوع الأول: ما يكفي في تحقّقه اعتبار حال كلمتين، وفيه أربعة أبحاث:

البحث الأول: في التّجنيس (1):

المتجانسان إن كانا مفردين، فإن تساويا في نوع الحروف، والحركات وأعـدادها، وهيئاتها، فهو التجنيس التام، كقولهم: حـديثٌ حديث (2)، وكقول الحريري (3): (ولا ملأ الراحة مَن استَوْطأ الراحة».

وإن اختلفا، فإما في هيئة الحركة، كقولهم: جُبّة البُرْد جُنَّةُ البَرْدِ (4). أو في الحركة والسكون، كقولهم: البِدْعةُ شَرّك الشِرْك، أو في التخفيف، كقولهم: الجاهل إما مُفْرط أو (5) مُفَرِّط، ويسمى ذلك: التجنيس الناقص (22 ب).

أو في أعداد الحروف؛ بأن تتساوى الكلمتان في نفس الحروف وهيئاتها، ثم تزيد في أحديهما ما ليس في الأخرى، ويسمى المذيل، فإما في أول الكلمة كقوله تعالى: (و التفت الساقُ بالسّاق، إلى ربك يَومئِذ

1- قـال ابن الأـثير: اعلم أن التجنيس غرّة شادخـة في وجه الكلام ... وإنما سـمي هـذا النوع من الكلام مجانساً؛ لأن حروف الفاظه يكون تركيبها من جنس واحد. المثل السائر 1 / 342.

2- في النسخة ب حديث وحديث.

3- سبقت ترجمته ص 36، الراحة الأولى هي الجارحة، والثانية ضد المشقة.

4- البرد يضم الباء: ثوب مخطط، جُنة: وقاية.

5- اما مفرط واما مفرط في النسخة ب أي إما مبالغ أو مقصّر.

المسَاق: (1).

أو في وسطها كقولهم: كَبِدٌ كَبَيد (2).

أو في آخرها كقول بعضهم: فلان سَالٍ من أحزانه سالمٌ من زمانه (3)، وقول أبي تمام: (4)

يَمُدّون مِن أيدٍ عواصٍ عواصِم *** تصولُ بأسيافٍ قواصٍ قواضبِ

وإما أن يختلفا في أنواع الحروف؛ وقد يكون بحرف واحد، وقد يكون بحرفين، ويسمى المضارع والمطرّف.

وما به الاختلاف قد يكون في أول الكلمة كقولهم: بيني وبينهم ليل دامس، وطريق طامس (5)

أو في وسطها من حرفين متقاربين، كقولهم: ما خَصَصْتَني ولكن خسستني (6)

أو في آخرها، كقول النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: «الخيْر معقودٌ بنواصي الخيْل» (7)..

1- سورة القيامة آية 29، 30.

2- كبد كبيد أي مكبود، وذلك إذا أضرّ الماء بالكبد. اللسان مادة كبد.

3- سأل من أحزانه: خال من الهموم، نهاية الأرب 91/7.

4- البيت لأبي تمام في مدح ابي دلف العجلي من قصيدة مطلعها: على مثلها من أربع وملاعب *** أذيلت مصونات الدموع السواكب وعواض: آبيات، عواصم: حوافظ، قواض: فاصلة، قواضب: قاطعة ديوان ابي تمام 206/1، الصناعتين 334، الأسرار 23، الطراز 2 / 362، المثل السائر 1/ 350.

5- دامس: شديد السواد، طامس: خفي المعالم.

6- ما ميّزتني بشيء ولكن جُرْت عليّ.

7- معقود: مربوط، نواصي الخيل: مقدم رأسها، أراد أن الخير ملازم لها، رواه مسلم 683/2، والحديث في المجازات النبوية ص 49، والصناعتين 332 (الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة).

وقد يكون الاختلاف بحرفين غير متقاربين، وهو إما في آخر الكلمة، كقوله تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ) (1).

أو في وسطها، كقوله تعالى: (وإنّه على ذلك لشهيد، وإنه لحبِّ الخيْرِ لشَدِيد) (2).

أو في أولها، كقول الحريري: «لا أعطي زِمامي من يَخْفِر ذمامي» (3).

ثم المتجانسات إما أن يكون بعضها في مقابلة البعض حال التسجيع، وهو ظاهر أو بضم بعضها إلى بعض في أواخر الأسجاع، ويسمى مزدوجاً ومكرّراً، كقولهم: النّبيذ بغير نَغَم غَمٌ، وبغير دسَم سَمّ، وكقولهم: من طلب شيئاً وجدَّ وجَدَ، ومن قرع باباً ولجَّ وَلجَ.

ومن التجنيس ما يكون بالإشارة دون التصريح، كقولهم:

حُلقتْ لحيةُ موسى باسمه *** وبهارون إذا ما قُلِبا (4)

وقد يكون التجنيس بحيث يتجاذبه أصلان ويسمى المشوّس (5)، كقولهم: [23 أ] «فلان مليحُ البلاغة كاملُ البراعة».

فلو اتحدت عينا الكلمتين كان مصحّفا (6) .

1- وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به النساء 83.

2- العاديات آية 7، 8.

3- لا أثق فيمن يخون عهدي؛ والزمام: القياد، والدمام: العهد.

4- أي حلقت لحية موسى بالموس والمراد بالثانية: الشفرة التي تستعمل في الحلاقة. وهرون إذا قلبت صارت «نوره» وهو ما يستعمل في أزالة الشعر.

5- ومثاله قولهم: فلان مليح البلاغة، لبيق البراعة. الطراز 2 / 368. وفي نهاية الأدب 94/7 صحيح البراعة.

6- الجناس المصحف هو عبارة عن الإتيان بكلمتين متشابهتين خطّاً لا لفظاً، كقوله تعالى: (وَهم يحسبون أنهم يُحسنون صُنعا) الكهف 104.

ولو اتفقت لا ماهما كان مضارعاً (1).

وأما إن كان المتجانسان مركّبين:

فإما أن يكونا متشابهين خطّا فقط دون اللفظ ويسمى المصحّف، كقول عليّ عليه السلام (2): قصّر ثيابَك فإنه أبْقى وأتْقى وكقولهم: غَرّك عِزّكَ، فَصار قُصار ذلك ذُلّك، فاحْسن فاحسَن فِعلِك، فَعلّك تُهَدَا بِهذا.

أو لفظاً فقط، ويُسمى المفروق، كقوله:

كُلّكُمْ قد أخذَ الجامَ ولا جامَ لنا *** ما الذي ضرّ مدير الجام لوْ جاملنا (3)

أو خطّا ولفظاً، ويسمى المقرون، كقولهم:

إذا مَلِكٌ لم يكنْ ذَا هِبَهْ *** فَدعْه فَدَوْلَتُه ذاهِبَهْ

البحث الثاني: في الاشتقاق

وأما الاشتقاق، فهو أن تأتي بألفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة، كقوله تعالى: (فاقمْ وجْهَك للدين القَيّم) (4)

وقول النبي صلى الله عليه و آله و سلم: الظُّلْمُ ظُلُماتٌ يوم القيامة» (5)..

1- الجناس المضارع هو أن يختلفا في أنواع الحروف بحرف أو حرفين، كقوله تعالى: (وإنه على ذلك لشهيد، وإنه لحبّ الخير لشديد) العاديات 7، 8، ويشترط أن يكون ذلك الحرف الواحد يقارب الآخر في المخرج.

2- نهاية الأرب 93/7، والطراز 2/ 366.

3- البيت لأبي الفتح البستي، وقد ذكر في الأكير ص 324، والاشارات والتنبيهات ص 290 والجام: الكأس، ومدير الجام: الساقي.

4- سورة الروم آية 43.

5- رواه عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم، شرح صحيح البخاري لكرماني 20/11 ط 1 وسنن الترمذي 377/4، وقد ورد من حديث في مسلم في باب تحريم الظلم، وفيه: اتقوا الظلم، فان الظلم ظلمات يوم القيامة.

وقول علي عليه السلام: «جاهلٌ خبّاط جَهَلات، عَاسٍ رَكّ

عَشَوات» (1).

وأما ما يشبه المشتق، كقوله تعالى: (وَجَنَى الجنّتيْن دانٍ) (2) وقال: (إنِّي لعمَلكم مِن القَالِين) (3).

البحث الثالث: في رد العجز على الصدر.

ورسمه: أنه كل كلام وجد في نصفه الأخير لفظ يشبه لفظاً موج في نصفه الأول، وله عدة أقسام:

أ – أن يتفق لفظا الصـدر والعجز صورة ومعنى، ويكونان طرفي الأول في أول الكلام والثاني في آخره، كقولهم: «الحِيلَة ترْك الحيلة وقولهم: «القتل أنفى للقتل»، وكقول القائل: (4).

سُكران: سُكرُ هوًى وسكرُ مُدامةٍ *** أنّى يُفيق فتىّ به سُك

ب – أن يتّفقا صورة لا معنى وهما طرفان كقوله: (5)

يَسارٌ من سجيتها المنايا *** ويُمنى من عطيّتها اليس ح

1– من كلام علي رضـي الله عنه في صـفة من يتصـدى للحكم بين الأمـة، وليس لذلك ب نهج البلاغة ص 59. ط بيروت. الخباط الذي يسير على غير هدى، عاس: خابد الظلام، عشوات: ركوب الأمر على غير هدى.

2– سورة الرحمن آية 54.

3– سورة الشعراء آية 168.

4– الهوى: العشق، والمدامـة: الخمر، والبيت للخليع الدمشـقي، وقـد ذكر في التبياد علم البيان ص 179، والاكسـير في علم التفسير ص 328، والاشارات والتنبيهات والطراز 2/ 392. كما ذكر في اليتيمة 1 / 287، وفي دقائق السحر!!

5– البيت للسّـري الرفاء من شعراء الدولة الحمدانية ديوانه 2 / 222، ويتيمه الدهر 1 / وهو من قصـيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها: أغرتك الشهاب أم النهار *** أراحتك السحاب أم البح

ج – بالعكس ويكونان طرفين أيضاً كقول عمر بن أبي ربيعة: [23 ب]

واستبدّت مرةً واحدة *** إنما العاجزُ مَنْ لا يَسْتبدّ (1)

د – أن يلتقيا في الاشتقاق لا في الصورة، وهما طرفان أيضاً كقول السّري:

ضرائبُ أبدعتَها في السماح *** فلسْنا نرى لك فيها ضَريبا (2)

ه – أن يلتقيا صورة ومعنى، ويكون أحدهما حشواً في صدر البيت والآخر طرفاً في عجزه، كقول أبي تمام: (3)

ولم يَحفظ مُضاع المجد شيءٌ *** من الأشياء كالمال المضاعِ

و – أن يقعا كذلك ويتفقا صورة لا معنى، كقول بعضهم: (4)

لا كان إنسان تيّمّم (5) صائداً *** صيد المَها فاصطادَه إنسانُها

ز – أن يقعا كذلك ويلتقيا معنى لا صورة، كقول امريء القيس: 7.

1– البيت لعمر بن ابي ربيعة من قصيدة مطلعها: ليست هنداً انجزتنا ما تعد *** وشفت أنفسنا مما نجد ديوانه ص 76 والبيان والتبيين 1/ 35.

2– البيت اخذه السري الرفاء من قول البحتري: بلونا ضرائب من قد نرى *** فما إن رأينا لفتح ضريباً ديوان البحتري 1 / 151، وديوان الرفاء 49. والبيت السري الرفاء من قصيدة يمدح بها أبا الفوارس سلامة بن فهد أولها: تعنفني إن أطلت النحيبا *** وأسبلت للعين دمعاً سكوبا والبيت في التبيان 179 و الاكسير 328، والطراز 392.

3– البيت من قصيدة يمدح فيها ابو تمام مهدي بن أحرم مطلعها. خذي عبرات عينك عن رفاعي *** وصوني ما أزلت من القناع ديوانه 3402 دار المعارف.

4– لم أعثر على قائله، وفي حسن التوسل: لاكان انسان يتمم قاصداً ص 217.

5– يتمّ في النسخة ب.

إذا المرءُ لم يَخزُن عليه لسانَه *** فليس على شيءٍ سواهُ بخزّان (1)

ح – أن يقعا طرفين في آخر الصدر والعجز، ويتفقا صورة ومعنى، كقول أبي تمام:

ومن كان بالبيض الكواكب مُعْزما *** فما زلتَ بالبيض القواضب مغرمَا (2)

ط – أن يقعا كذلك ويتفقا صورة لا معنى، كقول الحريري: (3)

فمشغوفٌ بآيات المثاني *** ومفتونٌ برنّات المثاني

ي – أن يقعا كذلك ويتفقا في الاشتقاق ويختلفا في الصورة، كقول البحتري:

ففعلُك إن سُئلتَ لنا مطيعٌ *** وقولُك إن سَألت لنا مُطاع (4)

ك – أن يتفقا في شبه الاشتقاق ويختلفا صورة ومعنى، كقول الحريري:

ومُضْطَلعٌ بتلْخيصِ المعاني *** ومُطّلعٌ إلى تَخليص عاني (5)

ل – أن يقع أحدهما في أول العجز، والثاني في آخره، كقول الحماسي: (6) .

1– البيت في الديوان ص 90 والاشارات والتنبيهات 297.

2– البيض القواضب: القواطع، ديوانه 3 / 336، والاشارات 296 وأصول البلاغة 51.

3– البيت مذكور في المقاومة الحرامية من مقامات الحريري ص 521 (المقامة الثامنة والأربعون).

4– ديوانه 2 / 1246 من قصيدة يمدح فيها ابراهيم بن المدبر ونهاية الأرب 111/7 وفي ب ان سئلت لنا مطاع وهو ظاهر الخطأ.

5– مضطلع: قوى على محمله، تلخيص المعاني: اختصارها، تخليص عانى: فك الاسير والبيت في المقامة الحرامية (الثامنة والأربعون) ص 521.

6– والبيت لذي الرمة غيلان بن عقبة، وفي الديوان إلا تعلل ساعة، والتعريج: الوقوف والليث، ديوانه 912/2 ط دمشق.

وان لا يكن إلا مُعَرّجُ ساعةٍ *** قليلاً فانّي نافعٌ لي قَليلُها

م - أن يقعا (كذلك) ويلتقيا في الاشتقاق دون الصورة، كقول أبي تمام: (1)

ثوى بالثرى مَن كان يَحيى به الورى *** ويَغمرُ صَرْف الدهرِ نائلُه الغمْرُ

ووراء هذه الأقسام أقسامٌ أُخَرُ لهذا النوع وفيما ذكرناه كفاية.

البحث الرابع: في القلب (2) / [24 أ].

وهو إما في كلمة أو كلمات:

والأول، فإما أن يتقدم كل واحد من حروفها على ما كان متأخراً عنه، ويسمى مقلوب الكلّ، كالفتح والحتف في قوله:

حسامُك فيه للاحبابِ فتحٌ *** ورمْحك فيه للأعداءِ حَتْف (3)

ثم إن وقع مثل هاتين الكلمتين على طرفي البيت سمي مقلوباً مجنّحاً، كقوله:

ساق هذا الشاعر الحين إلى من قلبه قاسي

سأرضى القوم فالهمّ علينا جبل راسي

أو يكون بعض حروفها كذلك، فيسمى مقلوب البعض، كقوله عليه السلام (4): .

1- ديوان ابي تمام 84/4.

2- إن اختلفت الكلمتان في ترتيب الحروف سمي جناس القلب.

3- الحتف: الهلاك.

4- الحديث رواه ابن عمر وكان الرسول يدعو به حين يمسي وحين يصبح. ومن الحديث: اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن اغتال من تحتي سنن ابن ماجه 1275/2 ط عيسى الحلبي.

«اللهم استرْ عَوْراتِنا، وآمِنْ رَوْعاتِنا.

وإما في الكلمات بحيث تكون قراءتها من أولها كقراءتها من آخرها (1)في النسخة أ س أرملا إذا عرا *** وارع إذا المرء أساء.

أس: أعـط، أرملا: من نفـذ زاده وافتقر عرى: أتى طالباً للعطاء، وارع: احفظ، أسا: بمعنى أساء. والبيت يقرأ طرداً وعكساً. والبيت في المقامة المغربية، مقامات الحريري 157 ط 3 بيروت. (2) كقول الحريري:

أُسْ أرْملاَ إذا عَرا *** وارْعَ إذا المرءُ أسا (42)

* * *

النوع الثاني: ما يحتاج إلى أزيد من كلمتين وفيه أبحاث:

البحث الأول: من السجع (3)، وهو ثلاثة أقسام:

أحـدها، يسـمى المتوازي: وهو أن تتساوى الكلمتان في عدد الحروف، ونوع الحرف الأخير، كقول عليّ عليه السـلام كثرة الوفاق نفاق وكثرة الخلاف شقاق (4) و كقوله عليه السلام في أهل البصرة: «عهدُكُمْ شِقاقٌ، ودينُكُمْ نفاقٌ وماؤكم زُعَاقٌ» (5).

وثانيها المطرّق وهو أن يختلفا في العدد ويتفقا في الحرف ح.

1- في النسخة بحيث يكون قراءتها من أولها كقراءتها من آخر.

2- في النسـخة أ أس أرملا إذا عرا *** وارع إذا المرء أساء. أس: أعط، أرملا: من نفـذ زاده وافتقر عرى: أتى طالباً للعطاء، وارع: احفظ، أسا: بمعنى أساء. والبيت يقرأ طرداً وعكساً. والبيت في المقامة المغربية، مقامات الحريري 157 ط 3 بيروت.

3- قال العلوي: إن السـجع من ارفع مراتب الكلام وأعلاها، وأجلّ علوم البلاغة وأسـناها وؤلهذا اختص به من بين سائر الأساليب البلاغية التنزيل، وأحاط بطويله وقصيره وكان الحسن فيه على أحسن هيئة وتنزيل. الطراز 3، 27، 28.

4- الشقاق: الخلاف.

5- من كلامه رضـي الله عنه في ذم أهل البصـرة بعـد وقعـة الجمل: (أخلاقكم دقاق، وعهـدكم شـقاق ودينكم نفاق، وماؤكم زعاق). نهج البلاغة 55 بيروت دقاق: دنيئة، زعاق: مالح.

الأخير، كقوله عليه السلام: لاحَمَ صُدوعَ انفِراجها، ولاءَم بينها وبين أزْواجِها (1).

وثالثها المتوازن: وهو أن يتفقا في عدد الحروف ولا يتفقا في الحرف الأخير، كقول علي عليه السلام: «الحمدُ لله غيرَ مفْقودِ الإنْعام، ولا مكافأ الإفْضال» (2) ويعرف المتكلف من السجع بأمرين:

أحدهما: أن يكون الحرف الأخير إنما يحتاج إليه للتقفية لا للمعنى / [24 ب].

الثاني: أن يترك معناه الأول لأجل التقفية.

البحث الثاني: في تضمين المزدوج: وهو أن يجمع المتكلم بعد رعاية السجع في أثناء القرائن بين لفظتين متشابهتي الوزن والروي، كقوله تعالى: (وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) (3)

وقوله: «المؤمنون هَيِّنون لَيِّنون» (4).

وكقول علي عليه السلام: كثرة الوفاق نفاق.

البحث الثالث: في الترصيع: وهو أن تتساوى أوزان الألفاظ، وتتفق أعجازها، كقوله تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ) (5).

1- من كلام علي رضي الله عنه في صفة السماء: «ونظم بلا تعليق رهوات فرجها ولاحَمَ صُدّوعَ انفراجها، ووشّج بيْنها وبين أزواجِها» نهج البلاغة، 127، 28 ظ. رهوات: جمع رهوة وهو المكان المرتفع، ويقال للمنخفض أيضاً، فهو من الأضداد، والفرج: جمع فرجة وهو المكان الخالي، لأحم: ألصق والصدع: الشق، وشّج: شبّك، أزواجها: أمثالها.

2- من خطبة لعلي رضي الله عنه عند المسير إلى الشام، نهج البلاغة 87.

3- سورة النمل 22.

4- أخرجه ابن المبارك عن مكحول مرسلاً، والبيهقي عن ابن عمر كما في (الفتح الكبير).

5- الانفطار 13، 14.

وقول علي عليه السلام: «عَلَا بَحَوْلِهِ ودَنَا بِطَوْلِهِ، مَانِح كلِّ غنيمةٍ

وفضْلِ، وكاشفِ كلِّ عظيمةٍ وأزْلي» (1).

وقوله في صفة الدنيا: «أوّلُهَا غَنَاءٌ وآخِرُها فَنَاءٌ، في حَلالِهَا حِسَابٌ،

وفي حَرامِها عِقابٌ» (2).

وقد يجيء مع التجنيس، كقوله عليه السلام في كتاب الله: «بيت لا

تُهدم أركانُه، وعِزٌّ لا تُهزم أعوانُه» (3). .

1- علا بحوله: ارتفع عمن سواه، ودنا بطوله: اقترب من خلقه بإحسانه، وهي الخطبة العجيبة وتسمى: «الغرّاء» وهي أول الخطبة بعد حمد الله. نهج البلاغة ص 107.

2- من قوله في ذم الدنيا: ما أصف من دار أولها عَناء، وآخرها فَناء، في حلالها حساب وفي آخرها عقاب من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن ... نهج البلاغة 106.

3- قول علي رضي الله عنه في ذكر القرآن: وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيا لسانه وبيت لا تهدم أركانه وعز لا تهزم أعوانه. نهج البلاغة 191 ط بيروت.

الباب الثاني

فيما يتعلق بالدلالة الوضعية والمعنوية.

واعلم أن البحث عن حسن الدلالة اللفظية يرجع إلى اشتراط أربعة أمور.

الأول: أن تكون الكلمة عربية غير مولدة، ولا صادرة عن خطأ العامة (1).

الثاني: (أن تكون جارية) (2) على مقاييس العرب وقوانينها (3).

الثالث: المحافظة على قوانين النحو (4).

الرابع: الاحتراز عن الألفاظ الغريبة الوحشية (5)، ولذلك كانت في

1- من الألفاظ العامية التي تخل بالفصاحة قولهم: تفرعن فلان: إذا وصفوه بالتجبّر.

2- أن يكون أجرى فى أ، ب.

3- من الألفاظ التي لم تجر على مقاييس العرب استعمال كلمة (أيّم) بمعنى ثيّب، وإنما هي للمرأة التي لا زوج لها بكراً كانت أو ثيباً، واستعمال كلمة (قسط) بمعنى عدل، وهى بمعنى ظلم.

4- الخروج عن قوانين النحو يؤثر في فصاحة الكلمة ويذهب حسنها وطلاوتها، كإظهار التضعيف في الكلمة، كأن تقول «ضننوا» من ضنّوا، وصرف ما لا ينصرف، ومنع الصرف مما ينصرف وقصر الممدود، ومد المقصور وتذكير المؤنث وتأنيث المذكر، وجزم المضارع دون أن تسبقه علامة جزم كقول امرىء القيس: فاليوم اشربْ غير مستحقب *** إثماً من الله ولا واغل انظر سر الفصاحة 89 - 91.

5- الألفاظ الغريبة الوحشية كقول أبي تمام: قدك اتّئد أربيت في الغلواء. قدك: حسبك، اتئد: استحى، اربيت: زدت، الغلواء: المغالاة في العذل.

الكتاب العزيز نادرة (1).

وأما الكلام في الدلالة المعنوية:

فاعلم أنه لما كانت الألفاظ المفردة لا تستعمل لإفادة مدلولاتها الالتزامية إلا عند التركيب، وكان الأصل في أصناف التراكيب هو الخبر، وهو الذي يتصور بالصور الكثيرة، وتظهر فيه الأسرار العجيبة من علم المعاني والبيان، رأينا أن نشير إلى قدر من مباحثه قبل الخوض في سائر الأقسام. وقد رتبنا هذا الباب على فصول.

الفصل الأول

في أحكام الخبر وفيه / [25 أ] أبحاث:

البحث الأول: في رسم الخبر.

وقد رسّم بأنه القول الذي يقال لقائله إنه صادق فيما قاله أو كاذب (2).

وأورد الإمام فخر الدين عليه شكّا، فقال:

[الصدق والكذب لا يمكن تعريفهما إلا بالخبر؛ إذ يقال في الصدق: إنه الخبر المطابق، وفي الكذب إنه الخبر غير المطابق، وتعريف الخبر بهما دور] (3).

1- أما الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن الكريم مثل (لم يتسنه) البقرة 259 أي: لم يتغير، ومثل (فإذا هم بالساهرة) النازعات 14، أي: وجه الأرض، فليست وحشية.

2- الخبر: ما يحتمل الصدق والكذب لذاته، أي بقطع النظر عن القائل سواء أكان مقطوعاً بصدقه أو كذبه مثل: زيد قائم فهذا خبر لأنه يحتمل الصدق والكذب. والإنشاء: لا يحتمل صدقاً ولا كذباً، كالأمر والنهي؛ فإنه لا يحتمل صدقاً ولا كذباً، فهو لا يفيد حصول شيء أو عدم حصوله، وإنما هو أمر فقط أو نهي فحسب، انظر شرح التلخيص 166/1 وما بعدها.

3- قال الفخر الرازي: الخبر: هو القول المقتضي بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي أو الإثبات، ومن حده بأنه المحتمل للصدق والكذب المحدودين بالخبر لزمه الدور. نهاية الإيجاز ص 37. ثم قال: ومن حده بالمحتمل للتصديق والتكذيب المحدودين بالصدق والكذب واقع من الدور مرتين.

وأجاب أفضل المتأخرين نصير الدين الطّوسي – أبقاه الله – عنه، فقال: الحق أن الصدق والكذب من الأعراض الذاتية للخبر، فتعريفه بهما رسميّ أورد تفسيراً للاسم وتعييناً لمعناه من بين سائر المركبات، ولا يكون ذلك دوراً؛ لأن الشيء الواضح بحسب مهيّته ربما يكون ملتبساً في بعض المواضع بغيره، ويكون ما يشتمل عليه من أعراضه الذاتية الغنية عن التعريف أو غيرها مما يجري مجراها عارياً عن الالتباس فإيراده في الإشارة إلى تعيين ذلك الشيء إنما يلخصه ويجرده عن الالتباس، وإنما يكون دوراً لو كانت تلك الأعراض أيضاً مفتقرة إلى البيان بذلك الشيء، وهاهنا إنما يحتاج إلى تعيين صنف واحد من أصناف المركبات فيه اشتباه؛ لأنه لم يتعين بعد وليس في الصدق والكذب اشتباه، فيمكننا أن نقول: إنا نعني بالخبر التركيب الذي يشتمل حدّ الصدق والكذب عليه كما لو وقع اشتباه في معنى الحيوان فيمكننا أن نقول: إنا نعني به ما يقع في تعريف الإنسان موقع الجنس ولا يكون دوراً.

وقيل في تعريفه أيضاً: إنه القول المقتضي بصريحه إسناد أمر إلى أمر بالنفي أو الإثبات، وأما تسمية النحاة أحد جزء الخبر خبراً فمجاز (1).
البحث الثاني: (إنه ليس الغرض الأول من وضع الألفاظ المفردة إفادتها لمسمياتها المفردة /[25 ب].

بيان ذلك: إن إفادتها لها موقوفة على العلم بكونها موضوعة لها، وهو مستلزم للعلم بها قبل الوضع فلو توقفت إفادتها على الوضع لزم الدور وإنه محال؛ بل الغرض الأول منها تمكّن الإنسان من تفهم ما يتركب من .

1- عبارة الفخر الرازي: واعلم أن تسمية أحد جزءي الخبر بكونه خبراً، مجاز كما يفعله النحويون نفس المرجع السابق والصفحة.

تلك المسميات بواسطة تركيب تلك الألفاظ المفردة) (1).

لا يقال: ما ذكرتموه قائم بعينه في المركبات؛ لأن اللفظ المركب لا يفيد مدلوله إلا عند العلم بكوْن تلك الألفاظ موضوعة لتلك المعاني من تلك الألفاظ لزم الدور.

لأنا نقول: لا نسلم أن الألفاظ المركبة لا تفيد مدلولها إلا عند العلم بكون الألفاظ المركبة موضوعة له.

بيان ذلك: إنّا متى علمنا وضع كل واحد من تلك الألفاظ المفردة لكل واحد من تلك المعاني المفردة، فإذا توالت الألفاظ المفردة بحركاتها المخصوصة على السمع، ارتسمت المعاني المفردة في الذهن مستلزمة للعلم بنسبة بعضها إلى بعض استلزاماً عقلياً، وذلك هو التركيب، فظهر أن استفادة العلم بالمعاني المركبة لا يتوقف على كون الألفاظ المركبة موضوعة لها وبالله التوفيق.

البحث الثالث: في الفرق بين الإخبار بالاسم والإخبار بالفعل (2).

قد عرفت أن الفعل مشعر بالزمان المعين دون الاسم، فلذلك ظهر الفرق بين الإخبار به والإخبار بالاسم؛ فإنك إذا قصدت بالإخبار الإثبات المطلق غير المشعر بالزمان، وجب أن تخبر بالاسم، كقوله تعالى: (وكلبهمْ باسِطٌ ذراعَيْه) (3). إذ ليس الغرض إلا إثبات البسط لذراعي

الكلب. / 26 أ] فأما تعريف زمان ذلك فغير مقصود.

فأما إن قصدت الإشعار بزمان ذلك الثبوت، فالصالح له هو الفعل، 8.

1- ما وضعناه بين قوسين مكمورين نقله البحراني عن الرازي باختصار. انظر نهاية الإيجاز ص 36.
2- الفرق بين الاخبار بالاسم والإخبار بالفعل ذكره كثير من علماء البلاغة و النحو، ولكن البحراني نقله مباشرة عن الفخر الرازي ومستشهداً بنفس أمثلته. نهاية الإيجاز 40، 41.
3- الكهف آية 18.

كقوله تعالى: (هَلْ مِنْ خالقٍ غيرُ الله يرزقكُمْ مِن السماءِ والأرضِ) (1) فإن تمام المقصود إنما يتحصل بكونه معطياً في كل حين وأوان، لا بمجرد كونه معطياً.

البحث الرابع: في حكم المبتدأ والخبر:

متى اجتمعت الذات والصفة، فالذات أولى بالمبتدئية، والصفة أولى بالخبرية.

ثم إما أن يكون الأمر في اللفظ كذلك، أو بالعكس.

والأول: إما أن لا تدخل لام التعريف في الخبر، كقولك: زيد منطلق، وذلك يفيد ثبوت مطلق الانطلاق لزيد من غير أن يفيد دوام ذلك الثبوت أو انقطاعه.

أو يدخله لام التعريف، كقولك: زيد المنطلق، أو زيد هو المنطلق، فاللام في الخبر يفيد انحصار المخبر به في الخبر عنه.

ثم إما أن يكون لام العهد كما إذا اعتقدت وجود انطلاق معين ولكن لا تعلم أن المنطلق زيد أو عمرو، فإذا قلت: زيد المنطلق عنيت أن صاحب ذلك الانطلاق هو زيد، فقد انحصر ذلك الانطلاق في زيد.

وإما لتعريف الطبيعة فيفهم من وصفه الحصر، ثم هو للحصر إن أمكن ترك الكلام على حقيقته كقولك زيد هو الوفيّ، إذا لم تظن بأحد خيراً غيره، وإلا حُمل الكلام على المبالغة كقولك: زيد هو العالم، وهو الشجاع؛ لامتناع حصر الحقيقة فيه.

وأما إذا عكس وأُخّرت الذات عن الصفة، كقولك: المنطلق زيد، فذاك إنما يقال: إذا اعتقد معتقد أن إنساناً انطلق، ولكن لا يعلم شخصه، .

1- فاطر آية 3.

فيقال له: المنطلق زيد، أي الذي تعتقد انطلاقه هو زيد، ثم الضابط: أن الإخبار يجب أن يكون عما يُعرف بما لا يُعرف له (1). ة.

1- بيان ذلك: إذا قلت: المنطلق زيـد؛ فالمنطلق معلوم، والشـخص مجهول. وإذا قلت: زيـد منطلق؛ كان المقصود إثبات الانطلاق لزيـد. وإذا قلت: زيد المنطلق؛ كان المقصود إما حصر انطلاق معين، أو حصر حقيقة الانطلاق إما تحقيقاً أو مبالغة.

الفصل الثاني / [26 ب]

في الحقيقة والمجاز وفيه أبحاث:

البحث الأول: في معنى الحقيقة و المجاز، وحدّهما:

الحقيقة: فَعِيلَة بمعنى مفعولة من الحق، وهو الثّبات، وسمّي ما خالف المجاز: حقيقة؛ لأنه مُثْبتٌ معلومُ الدلالة.

والمجاز: مَفْعَل من جازه يجوزه: إذا تعداه، وإذا عُدل باللفظ عن وضعه اللغوي، وُصف بأنه مجاز؛ بمعنى أن الذهن انتقل من لفظه (1) إلى معنى غير معناه، فصار موضع الانتقال والمجاوزة.

فأما حدّ الحقيقة فإما في المفردات، فهي كلُّ كلمة أُفيد بها ما وُضِعتْ له في أصل الاصطلاح الذي وقع التخاطب به، ويدخل في ذلك الحقيقة اللغوية والعرفية والشرعية.

وأما في الجمل، فكل جملة وضعتها على أن الحكم المضاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه فهي حقيقة، كقولنا: خلق اللهُ العالم.

وأما حد المجاز، فإما في المفرد أيضاً، وهو ما أفيد به معنىً غير ما اصطُلح عليه في أصل المواضعة التي وقع التخاطب بها لعلاقة بينه وبين الأول، ويدخل في ذلك المجاز اللغوي والعرفي والشرعي.

وأما في الجمل، فكل جملة خرج الحكم المفاد بها عن موضوعه في

1- إلى المعنى غير معناه في النسخة ب.

العقل بضرب من التأويل، فهو مجاز كقوله تعالى: (وأخرجتِ الأرضُ أثْقالَها (1).

البحث الثاني: فيما به يتحقق المجاز.

لا بد فيه من أمرين (2):

أحدهما: أن يكون منقولاً عن معنى وضع اللفظ بإزائه، وإلّا لبقي حقيقة (3).

الثاني: أن يكون ذلك النقل لمناسبة بين المعنيين، وإلا لكان في الثاني مرتجلا (4).

وبهذا يظهر الفرْق (5) بين المجاز، والكذب، والدعْوَى الباطلة/ [27 أ]؛ وذلك لأن المُبْطِلَ إذا أَخْرج الحكم عن موضعه وأعطاه غيرَ المستحقّ، لم يُعرف أنه إنما أعطاه لكونه فرعاً لأصل؛ بل يُجزم بأن ثبوت الحكم في ذلك الموضع ثبوتٌ أصلي، وكذلك الكاذب يدّعي أن الأمر على ما وَضعه وليس هو من التأويل في شيء، والمجاز لم يكن مجازاً؛ لأنه إثبات الحكم لما لا يستحقه للمناسبة بينه وبين المستحق.

البحث الثالث: في أقسام المجاز:

المجاز (إما) (6) أن يقع في اللفظ المفرد فقط، أو في المركب فقط، أو فيهما معاً. .

1- سورة الزلزلة آية 2.

2- الفخر الرازي ذكر هذين الشرطين لتحقق المجاز ص 47.

3- قال الرازي، وبهذا الأمر يتميز المجاز عن المشترك.

4- ولأجل ذلك لا توصف الأعلام المنقولة بأنها مجازات كتسمية رجل بحجر؛ إذ لا مناسبة بينهما.

5- الفرق بين المجاز والكذب والدعوى الباطلة، ذكره الرازي في نهاية الإيجاز ص 47.

6- ساقطة من النسخ.

مثال الأول: إطلاق لفظ الأسد على الرجل الشجاع، والحمار على البليد.

وأما الثاني: وهو أن يُستعمل كل واحد من الألفاظ المفردة في موضعه الأصلي، لكن التركيب لا يكون مطابقاً لما في الوجود، مثاله قوله تعالى: (وأخرجتِ الأرضُ أثقالَها) (1) وقوله الشاعر (2):

أشابَ الصغيرَ وأفْنى الكبير *** كَرُّ الغَداةِ ومَرُّ العَشِيّ

وهذا المجاز عقلي؛ لأن نسبة الإخراج إلى الأرض، والإشابة إلى كرّ الغداة ومرّ العشيّ حكم عقلي عُدل به عن الفاعل الحقيقي، وهو الله سبحانه إلى غير من هو له، وهو الأرض والغداة والعِشيّ.

مثال الثالث: كقولك لمن تحبه: أحياني اكتحالي بطلعتك، فإن لفظي الإحياء والاكتحال مفردان استُعملا في غير [موضعهما] (3) الأصلي، ثم نُسب الإحياء إلى الاكتحال مع عدم المطابقة لما في نفس الأمر أيضاً، وهذا التلخيص لعبد القاهر النّحْوِيّ (4).

البحث الرابع: في أصناف المجاز:

والذي ذكره الإمام فخر الدين منها اثنا عشر صنفاً (5):.

1- الزلزلة آية 2.

2- نسبه الجاحظ إلى الصلتان السعدي. الحيوان 477/3 ط مصطفى الحلبي. وللصلتان العبدي في ديوان الحماسة. وفي الأسرار ص 417، 433 وفي نهاية الإيجاز ص 48، 50.

3- في غير موضوعهما أ.

4- انظر الأسرار 416 وما بعدها ط الاستقامة 1948.

5- ذكر الإمام فخر الدين القاعدة الثانية في الحقيقة والمجاز في أربعة عشر فصلاً، وبدأ أقسام المجاز من الفصل الثالث إلى الفصل الرابع عشر، فيكون مجموعها اثني عشر فصلاً كما ذكر المؤلف، انظر نهاية الإيجاز 47 - 57.

أ – إطلاق اسم السبب على المسبب، والأسباب أربعة:

أحدها: الفاعليّ، كإطلاق اسم النظر الذي هو تقليب الحدقة نحو المرئي على الرؤية، كقولك: نظرته أي رأيته.

الثاني: الغائيّ، كتسميتهم العنب بالخمر. / [27 ب] (1).

الثالث: الصوري، كتسميتهم القدرة يدا (2).

الرابع: القابلي، كقولهم: سال الوادي (3).

ب – إطلاق المسبب على السبب، كتسميتهم المرضَ الشديدَ بالموت.

والأول أولى؛ لاستلزام السبب المعيّن للمسبب المعين من غير عكس، وأولى الأسباب بذلك هو السبب الغائي؛ لحصول علاقة العلّيّة والمعلوليّة اللتين كل واحدة منهما علّة لحسن المجاز فيه دون باقي الأسباب.

ج – إطلاق اسم الشيء على ما يشابهه، كإطلاق لفظ الحمار على الرجل البليد وهو الاستعارة كما سيجيء بيانها.

د – تسمية الشيء باسم ضده كتسمية العقاب بسبب الجريمة بالجزاء المختص بمقابلة الإحسان بمثله (4). .

1– كقوله تعالى: (إني أراني أعصر خمراً) يوسف 36.

2– كقوله تعالى: (ويد الله فوق أيديهم) الفتح 10.

3– سال الوادي مجاز في الإسناد، أي من المجاز العقلي و الأمثلة السابقة واللاحقة تدخل في المجاز اللغوي، فالمؤلف جمع بين المجاز اللغوي والعقلي في مضمار واحد.

4– مثل سأجازيك على إهمالك، أي ساعاتبك على إهمالك، فعبر بالجزاء وأراد العقوبة، ومن ذلك قوله تعالى: (وجزاء سيئة سيئة مثلها) الشورى 40.

ه – تسمية الجزء باسم الكل، كإطلاق لفظ العام على الخاص (1).

و – الغلس، كإطلاق لفظ الأسود على الزنجيّ لسواد جلده (2)، والأول أولى؛ لاستلزام الكل للجزء من غير عكس.

ز – إطلاق ما بالفعل على ما بالقوة كتسمية الخمر في الدّن مُسْكِراً (3)، وهو قريب من إطلاق السبب الغائي على مسببه.

ح – إطلاق المشتق بعد زوال المشتق منه كإطلاق لفظ ضارب على من فرغ من الضرب، وقد عرفت أن ذلك هل هو مجاز أو حقيقة (4).

ط – إطلاق اسم المجاور على مجاوره، كإطلاق لفظ الراوية وهو الجمل الذي يُحمل عليه الماء على المزادة (5).

ي – إطلاق اسم الحقيقة العرفيّة كالدّابّة للفرس على الحمار وغيره مجازاً (6) عرفيّاً.

ك – المجاز بسبب النقصان والزيادة، قال الإمام: وتحقيقه أن الكلمة كما أنها توصف بالمجاز لنقلها عن معناها فقد توصف بالمجاز لنقلها عن حكم كان لها إلى حكم ليس هي حقيقة فيه، كقوله تعالى: (واسأل .

1- كإطلاق لفظ القرآن على بعضه وكقوله تعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) المائدة 38. والمراد قطع الرسغ فعبر بالكل وهو اليد وأراد الجزء وهو الرسغ.

2- المراد إطلاق لفظ الجزء على الكل كإطلاق لفظ الأسود على الزنجي، فالزنجي قد يكون أبيض الشعر فلا يعمّه السواد، وكان الأولى أن يستشهد بقوله تعالى: (واضربوا منهم كل بنان) الأنفال 12 والبنان: الأصبع وأراد به الأيدي والأرجل.

3- يلاحظ المؤلف أن هذا النوع وهو إطلاق ما بالفعل على ما بالقوة قريب الشبه من السبب الغائي كتسمية العنب خمراً، فكلاهما مجاز مرسل باعتبار ما سيكون.

4- هل هو مجاز أم حقيقة في النسخة ب.

5- المزادة: وعاء من جلد يحمل به الماء، أو هو ما يسمى بالقربة.

6- مثال المجاز العرفي، لفظ الدابة إذا استعمل بالعرفي العام في الإنسان.

القرية) (1) واسأل أهل القرية [28 أ] والذي يستحقه في الأصل الجرّ، والنصب فيها مجاز (2).

وفيه نظر؛ لأن الإعراب لا يراعى فيه صدق النسبة وكذبها والمطابقة وعدمها، فإنك لو قلت لمستُ السماء كان السماء مفعولاً به للفعل المتقدم ويستحق النصب حقيقة، وكذلك القرية هاهنا تستحق النصب حقيقة بالمفعولية. أما أن النسبة في نفسها صادقة أم لا، فذاك بحث آخر؛ بل الحق أنه مجاز في التركيب والنسبة فإن نسبة السؤال إلى أهل القرية حقيقة، فيكون إليها مجازاً، وإن قطعنا النظر عن مباحث النحاة أمكن أن يكون الحق ما قاله الإمام.

وأما المجاز بسبب الزيادة فالحق أن الزيادة إن غيرت معنى الكلام الذي يتمّ بدونها ولا يحتاج فيه إليها، كقوله تعالى: (ليس كمثله شيء) (3) فالمجاز حاصل في النسبة؛ إذ كانت نسبة النفي إلى من ليس له وإن لم تغير كما في قوله تعالى: (فبما رحمة من الله) (4) لم يتصور المجاز هاهنا.

ل - إطلاق اسم المتعلَّق على المتعلق، كتسمية المقدور قدرة.

البحث الخامس: المجاز بالذات لا يدخل إلا على أسماء الأجناس. وبيانه أما الحرف؛ فلأن معناه في غيره، فإن ضُمّ على حقيقة، فهو حقيقة، أو إلى مجاز، كان مجازاً في التركيب فلم يدخله بالذات.

وأما الفعل؛ فلأن معناه مركب من المصدر وغيره، فلمّا لم يكن المصدر متجوزاً به، لم يكن الفعل كذلك، فكان داخلاً فيه بالعرَض. .

1- سورة يوسف آية 82.

2- نهاية الإيجاز ص 56.

3- سورة الشورى آية 11.

4- آل عمران آية 159.

وأما الاسم؛ فإمّا علَم فلا يدخله المجاز (1)؛ لأنه مشروط بالعلاقة بين الأصل والفرع، وليست موجودة في الأعلام.

أو مشتق، ومعلوم أنه لولا تطرّق المجاز إلى المشتق منه لم يتطرق إلى المشتق، فلم يبق إلا أسماء الأجناس. /[28 ب].

البحث السادس: في الداعي إلى التكلم بالمجاز:

العدول إلى المجاز؛ إما لأجل اللفظ، أو المعنى، أولهما:

أما الأول: فإما لأجل جوهر اللفظ، أو لأحوال عارضة له.

أما الأول: فأن يكون اللفظ الدال بالحقيقة ثقيلاً على اللسان؛ إما لثقل أجزائه، أو لتنافر تركيبه، أو لثقل وزنه، ويكون عذباً (2).

وأما الثاني: فأن يكون المجاز صالحاً للشعر أو للسجع، وأصناف البديع دون الحقيقة.

وأما الذي لأجل المعنى، فقد يقصد المجاز لتعظيم ليس في الحقيقة كما يقال: سلام على المجلس السامي.

أو لتحقير يكون فيها كما يُعبّر بالغائط عن قضاء الحاجة.

أو لزيادة بيان: إما تقوية لحال المذكور كقولك: رأيت أسداً، للإنسان الشجاع، فإنه أتمّ من قولك: رأيت إنساناً يشبه الأسد في الشجاعة.

أو تقوية لحال الذكر، وهو المجاز الذي يذكر للتأكيد.

أو لتلطيف الكلام، قال الإمام: وتقريره أن النفس إذا وقفت على كلام، فلو وقفت على تمام المقصود لم يبق لها إليه شوق أصلاً؛ لأن .

1- وإما علم ولا يدخله المجاز، في جميع النسخ.
2- أي أن يكون اللفظ الدال بالحقيقة ثقيلاً، واللفظ الدال بالمجاز عذباً.

تحصيل الحاصل محال، وإن لم يقف على شيء منه أصلاً لم يحصل لها أيضاً إليه شوق. أما إذا وقفتْ عليه من بعض الوجوه دون البعض، فإن القـدْر المعلوم يشوّقها إلى غير المعلوم، فيحصل لها بسـبب علمها بالقـدر المعلوم لـذّة وبسـبب حرمانها عن الباقي ألم فيحصل هناك تعاقب آلام ولذّات، واللّذّة إذا حصلت عقيب الألم، كانت أقوى وشعور النفس بها أتم.

إذا عرفت ذلك فتقول: إذا عبر عن الشيء باللفظ الدال عليه على سبيل الحقيقة حصل تمام العلم به فلا تحصل اللذة القوية. أما إذا عبر عنها بلوازمها الخارجيـة عرّفت لا على سبيل الكمال فتحصل الحالـة /[29 أ] المـذكورة التي هي كالدغدغـة النفسانية، مثال ذلك أنك إذا قلت رأيت إنساناً يشـبه الأسـد في شـجاعته، فقد حصـلت المعاني بتمامها من ألفاظها الموضوعة لها فلم يحصل من اللذة ما يحصل من قولك: رأيت أسداً في يده سـيف، فإن الذهن هاهنا يتصور من لفظ الأسد معناه ولوازمه البينة كالشجاعة، ثم ينتقل بسبب القرينة إلى ملاحظة وجه الشبه في الإنسان الذي هو الشجاعة، فذلك الانتقال هو محل الدغدغة واللذة النفسانية.

البحث السابع: فيما تنفصل به الحقيقة عن المجاز.

إنه إما أن يقع بالتنصيص، أو الاستدلال.

أما التنصيص فمن وجوه:

أحدها: أن يقول الواضع: هذا حقيقة، وذاك مجاز.

وثانيها: أن يذكر واحداً منهما.

وثالثها: أن يذكر خواصهما.

وأما الاستدلال فالحقيقة تعرف من وجهين:

أحدهما: أن يسبق المعنى من ذلك اللفظ إلى فهم بعض السامعين

من أهل تلك اللغة فيحكم بأنه حقيقة فيه؛ إذ لولا اضطراره إلى فهم ذلك

المعنى من قصد الواضعين لما فهمه دون غيره.

وثانيها: أن أهل اللغة إذا أرادوا إفهام غيرهم معنى اقتصروا على عبارات مخصوصة، وإذا قصدوا بالتعبير الحسن بعد الفهم عبروا بعبارات أخرى وقرّنوا بها قرائن فيعلم أنه حقيقة؛ إذ لولا أنه استقر في قلوبهم استحقاق ذلك اللفظ لذلك المعنى، لما اقتصروا عليه.

وأما المجاز فيعرف

أما – أولاً – فمن عكس ما ذكرناه في تعريف الحقيقة.

وأما ثانياً، فلأن الكلمة إذا علّقت بما يستحيل تعليقها به /[29 ب] علم أنها في أصل اللغة غير موضوعة له، فيعلم أنها مجاز فيه.

كقوله تعالى: (واسأل القرية) (1).

وأما ثالثاً، فان يعلم أن الواضع وَضع لفظاً لمعنىً ثم استعمله في بعض موارده، ثم استعمله بعد ذلك في غير ذلك الشيء، كلفظ الدابة الذي وُضع لكل ما يدبّ، ثم خُصّ بالفرس فصار حقيقة عرفيّة، ثم استعمل بعد ذلك في الحمار، فَيُعلَم أنه مجازٌ فيه إلى أن يَغلب الاستعمال عليه فيصير حقيقةً عرفيةً أيضاً.1

1- سورة يوسف آية 21

الفصل الثالث

في التشبيه، وفيه أركان اربعة.

الركن الأول: في المتشابهين: أنهما إما محسوسان، أو معقولان، أو المشبه به محسوس والمشبه معقول، أو العكس.

أما الأول، فكقول عليّ عليه السلام لأهل البصرة: «كأني بمسجدكمْ هذا كَجُؤجُؤِ سفينةٍ» (1). وقوله عليه السلام في وصف الأتراك: كأني أراهم قوماً كأنّ وجوههَم المجانٌ المُطَرّقة» (2).

وأما الثاني: فكقوله عليه السلام: «أداريكم كما تُدارَى البِكَارُ العَمِدَة، والثيابُ المتداعية) (3)، فإن المتشابهين ها هنا هو مداراته ومداراة اهل البكار لها. والمداراة معنى إضافي معقول، وما به المشابهة هو الصعوبة ها هنا كالصعوبة هناك.

1- قال علي رضي الله عنه في ذم أهل البصرة: كأني بمسجدكم كجؤجو سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها، وغرق من في ضمنها نهج البلاغة 55، 56 جؤجؤ السفينة: صدرها.

2- قال رضي الله عنه: كأني أراهم قوماً كان وجوههم المجان المطرقة، يلبسون السرق والديباج، ويعتبقون الخيل العناق ...» نهج البلاغة 186. المجان المطرقة: النعال التي الزق بها الجلد، السرق: شقق الحرير الأبيض، يعتبقون الخيل العتاق: يحبسون كرائم الخيل ويمنعونها غيرهم.

3- مطلع خطبة يوبّخ فيها علي رضي الله عنه بعض أصحابه: كم أداريكم كما تداري البكار العمدة والثياب المتداعية نهج البلاغة 98. والبكار: جمع بكر وهو الفتيّ من الابل، والعمدة: التي انشدخت أنسمتها من الداخل وظاهرها صحيح لكثرة ركوبها.

وأما الثالث: فكقوله عليه السلام في حق مرْوان (1): «أما إن له إمْرةً كلَعْقَةِ الكلبِ أنفَه» (2) فان الإمرة حالة معقولة أشبهت لعقة الكلب أنفه في السرعة وهي أمر محسوس.

وقوله عليه السلام: «أمّا بعدُ فإنّ الأمرَ ينزِل من السماءِ إلى الأرضِ كقطر المطر (3)» وكقوله: كأني بك يا كوفةُ تمُدِّينَ مَدَّ الأديمِ العُكَاظِيّ (4) [30 أ].

وأما الرابع فكقول الشاعر:

كان بصاصَ البدرِ من تحت غيْمه *** نَجاءٌ من البأساءِ بعد وقوعِ (5)

وكقول الصاحب بن عباد (6) وقد أهدى عطراً إلى القاضي أبي الحسن (7): .

1- هو مروان بن الحكم بن أبي العاصي، يكني أبا عبد الملك، ولد سنة اثنتين من الهجرة، وتولى الخلافة بعد معاوية بن يزيد سنة 64 ه ومات أول رمضان سنة 65 ه.

2- «أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو ابو الأكبس الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر» نهج البلاغة 102. ومعنى: أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه: أن مدة خلافته قصيرة؛ إذ لم تتجاوز تسعة أشهر. وقد اعتبر الطوفي البغدادي هذا المثال من تشبيه المعقول بالمعقول، وليس من تشبيه المعقول بالمحسوس كما ذهب المؤلف؛ لأن اللعقة وهي حركة اللسان ليست محسوسة، وإنما المحسوس اللسان اللاعق والأنف الملعوق. الإكسير في علم التفسير ص 135.

3- من خطبة له في تهذيب الفقراء، «كقطرات المطر» في نهج البلاغة 64.

4- الأديم: الجلد المدبوغ، العكاظيّ: نسبة الى عكاظ، وهي سوق كانت تقيمها العرب؛ ليتعاكظوا أي يتفاخروا. من كلامه كرم الله وجهه في ذكر الكوفة. نهج البلاغة 86.

5- البيت في أسرار البلاغة 265، وفي الطراز 283/1، والمفتاح 161، والايضاح 2 / 223 وشعر ابن طباطبا 74، و الشطرة الأولى منه: كأن انتضاء البدر من تحت غيمه ...

6- وزير غلب عليه الأدب ولد باصطخر 326 ه وتوفي 385 ه - بغية الدعاة 1/ 449.

7- هو القاضي الجرجاني صاحب الوساطة ت 392 ه - معجم الأدباء 14/14، واليتيمة 4 / 3.

أهديتُ عِطْراً كان مثل سنانه *** فكأنما أهدى له أخلاقَه (1)

وقد منع الامام فخر الدين (2) من جواز هذا القسم من التشبيه؛ اعتماداً على أن العلوم العقلية مستفادة من الحواس، فكأن المحسوس أصلاً للمعقول، فتشبيهه به يقتضى جعل الأصل فرعاً، والفرع أصلاً وهو محال، وهذا سهو، فإن الحواس وإن كانت طرقاً للعلم إلا أنها ليست كل الطرق له.

سلمناه، لكن الممنوع إنما هو جهة ما هو فرع لذلك الأصل لا مطلقاً، وها هنا ليس كذلك، فإن المعقول فرع للمحسوس من جهة ما هو مستفاد عنه، فيمتنع أن يعود أصلاً من تلك الجهة، لكنه لا يمتنع أن يكون فرعاً له من تلك الجهة، ومع ذلك يكون أصلاً له في التشبيه والملاحظات الذهنية.

الركن الثاني: فيما به التشبيه، وفيه أبحاث:

البحث الأول: في أقسامه:

أنه إما أن يكون صفة حقيقية أو إضافية:

والأول: إما كيفية جسمانية أو نفسانية:

والأول: إما كيفية محسوسة إحساساً أوّلاً أو ثانياً:

والأول: إما بحس البصر، كتشبيه الخد بالورد في الحمرة، وتشبيه الوجه بالنهار، والشعر بالليل.

أو بحس السمع، كتشبيه أطيط (3) الرحل بأصوات الفراريج، ج

1- أهديت عطراً مثل طيب ثنائه ديوان الصاحب بن عباد 252.

2- نهاية الايجاز ص 59 - 61 فقال: إن المعتاد تشبيه الثناء بالعطر، وقد عكس الأمر على ادعاء أن ثناءه هو الأصل في الطيب على سبيل المبالغة.

3- الأطيط: صوت الرحل إذا ثقل عليه الركبان، واطيط الابل: صوتها. اللسان مادة أطط والتشبيه هنا مأخوذ من قول الشاعر: كأن أصوات من إيغالهن بنا *** أواخر الميس أصوات الفراريج

وكتشبيه الصوت المنكر بصوت الحمار.

أو بحسّ الذوق، كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر.

أو بحسّ الشم، كتشبيه بعض الرياحين بالمسك والكافور.

أو بحسّ اللمس، كتشبيه الجسم اللّين الناعم بالخزّ، والخشن بالمُسح. [30 ب]

وأما المحسوسة ثانياً، فهي الأشكال والمقادير والحركات.

والأشكال: إما مستقيمة أو مستديرة، مثال التشبيه في الاستقامة: تشبيه الرجل المعتدل القامة بالرمح، ومثال التشبيه في الاستدارة بالكرة تارة، وبالحلقة أخرى.

ومثال التشبيه في المقادير، تشبيه عظيم الجثة بالجمل والفيل.

ومثاله في الحركة، تشبيه السريع بالسهم.

وأما الاشتراك في كيفية جسمانيّة غير محسوسة، فكما يقال: فلان كالحمار، أي في بلادته أو شبَقه، وهو كالنمِر، أي في غضبه.

وأما في الكيفيّة النفْسانيّة، فكالاشتراك في الغرائز والأخلاق كالكرم والحلم والشجاعة والذكاء والفتنة والعلم والزهد، كقولك: هو كحاتم (1) أي في جوده، وكعمرو بن معدي كرب (2)، أي في شجاعته .

1- هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، فارس، شاعر جواد، يضرب المثل بجوده أرّخوا وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي صلى الله عليه و آله و سلم. الأعلام 151/2.

2- عمرو بن معد يكرب الزبيدي من فرسان العرب المشهورين في الجاهلية وأدرك الاسلام، وشهد القادسية وله بها أثره وبلاؤه، الأغاني 24/14، المؤتلف والمختلف 156، الموشح 208.

وأما الاشتراك في الحالة الاضافية، فكقولهم: هذه الحجة كالشمس، فالاشتراك ها هنا في الجلاء بالنسبة إلى البصر والفهم، وهي حالة إضافية.

وقد تكون جليّة كما ذكرنا. وكقولهم: ألفاظ فلان كالماء، أي: في السلاسة، وكالنسيم، أي: في الرّقة؛ وذلك أنه إذا لم يتنافر حروفه؛ بل خفّت على اللسان ولم يكن غريباً وحشياً ارتاح له القلب، فلسرعة وصوله إلى النفس صار كالماء الذي يسرع نفوذه إلى الحلق، والنسيم الذي يسري في البدن.

وقد تكون خفية، كقول من ذكر بني المهلّب: هم كالحلْقة المُفْرَغَة لا يُدرى أين طرفاها (1). ألا ترى أنه لا يفهم المقصود من ذلك إلا من كان له ذهن يرتفع عن درجة العامة.

البحث الثاني: في تقسيمه بوجه آخر:

أنه قد يكون قريباً، وقد يكون بعيداً: / [31 أ].

والأول: كما إذا خطرت ببالك استدارة الشمس واستنارتها، فإنه يخطر بقلبك المرآة المجلوة، وتلاحظ الشبه بينهما.

وكذلك إذا نظرت إلى الوشْي المنشور لاح لك في شبهه الروض الممطور المفترّعن أزهاره (2).

وأما الغريب البعيد، فهو الذي يحتاج في إدراكه إلى دقّة نظر كتشبيه ب.

1- ينسب هذا القول لفاطمة بنت الخرشب الأنمارية، ومرة لكعب الأشعري واخرى جواب أبي الحسن المدائني للحجاج: أنظر الأغاني 16/ 19 ومجمع الأمثال 2 / 197 والمثل السائر 2 / 338.
2- المغتر عن اظهاره في ب.

الشمس بالمرآة فى كفّ الأشلّ (1)، وتشبيه البرق بإصبع السارق، كقول كشاجم: (2):

أرقْتَ أم نمت لضوء بارق *** مؤتلق مثل الفؤاد الخافق

كأنه أُصبُع كفّ السارق

ثم السبب في القرب والبعد أمران:

أحدهما: أن الحس لا يعطى التمييز بين جهة الاشتراك والامتياز وإنما يدرك المركب من حيث هو شيء واحد وأما التفصيل والتمييز فذاك

حظ العقل.

وأيضاً فشعور الحس بالإجمال أقدم من شعوره بالتفصيل؛ فإن المرئي في أول النظر إليه لا يُدرك البصرُ تفاصيلَه حتى يتكرر، وكذلك المسموع فإنك تقف في إعادة الصوت على ما لم تقف عليه بالسماع الأول، وبإدراك التفاصيل يقع التفاضل بين سامع وسامع. وإذن كان إدراك الجملة أسهل وأقرب من إدراك التفصيل.

البحث الثالث: في بيان أن التشبيه بالوجه العقلي أعم من التشبيه بالوجه الحسي.

أما تشبيه المحسوس بالمحسوس فيمكن أن يكون لأجل الاشتراك في وجه محسوس، ويمكن أن يكون لأجل الاشتراك في وجه معقول، ويمكن لأجلهما جميعاً:

مثال الأول: تشبيه الخد بالورد.2.

1- من قول ابن المعتز: والشمس كالمرآة في كفّ الأشلّ والأصح انه لجبار بن جزء بن أخت الشماخ بن ضرار ديوانه 394.
2- هو ابو الفتح محمود بن الحسين الشاعر الأديب المنجم توفي سنة 350 ه، والبيت في الاسرار 182.

مثال الثاني: قوله صلى الله عليه و آله و سلم: إياكم وخضراء الدِمَن (1)، فالتشبيه مأخوذ للمرأة النبات، وهما محسوسان، ولكن وجه المشابهة هو مقارنة الحسن الظاهر للقبح الباطن / [31 ب] وهو أمر عقلي.

ومثال الثالث: تشبيه الشخص الرفيع القدر، الحسن الوجه، بالشمس؛ لاشتراكهما في النباهة التي هي أمر عقلي، وفي الضياء الذي هو أمر حسي.

وأما تشبيه المعقول بالمعقول، والمعقول بالمحسوس، والمحسوس بالمعقول، فيمتنع أن يكون وجه الشبه غير عقلي، كأن وجه الشبه مشترك بين الجانبين، فلو كان محسوساً لم يصح وصف المعقول به - وأما العقلي فيصح، لصحة أن يصدر عما لا يكون محسوساً أمر محسوس، فثبت أن التشبيه بالوجه العقلي أعم.

البحث الرابع: التشبيه بالوصف المحسوس أتمّ من التشبيه بالوصف المعقول.

بيانه من وجهين:

أحدهما: أن أكثر الغرض في التشبيه: التخيّل الذي يقوم مقام التصديق في الترغيب والترهيب، والخيال أقوى على ضبط الكيفيّات المحسوسة منه على الأمور الأضافيّة.

الثاني: أن الاشتراك (2) في نفس الصفة أسبق من الاشتراك في 3.

1- نهى الرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن نكاح المرأة على ظاهر الحسن وهي في المنبت السوء أو في البيت السوء أو مطعوناً في نسبها، والدمنة هى الأبعار المجتمعة فإذا أصابها المطر أنبتت نباتاً أخضر يروق منظره ويسوء مخبره، والحديث في المجازات النبوية 61.
2- قال عبد القاهر: ومعلوم ان الاشتراك في نفس الصفة أسبق في التصور من الاشتراك في مقتضى الصفة، كما ان الصفة نفسها مقدمة في الوهم على مقتضاها، فالحلاوة أولاً ثم أنها تقتضي اللذة في نفس الذائق لها. الاسرار 113.

مقتضاها؛ كما أن الصفة في نفسها متقدمة في التصوّر على مقتضاها، فكانت الصفة المحسوسة أتم في التشبيه من الأمر المعقول.

البحث الخامس: في تقسيم ما به المشابهة إلى المفرد والمركب: المشابهة، إما أن تكون في أمر واحد، أو في أمور كثيرة.

والأول، إما أن لا يكون مقيّداً بالنسبة إلى شيء، أو يكون:

فالأول، كتشبيه الكلام بالعسل في أن كل واحد منهما يوجب للنفس لذة وحالة محمودة.

وأما الثاني، فما إليه الانتساب أربعة أمور:

إما المفعول به، فكقولهم أخذ القوسَ باريها (1)؛ لأن المقصود وقوع الأخذ في موقعه ووجوده من أهله، وهذا لا يحصل من الأخذ المطلق، ولكن من حيث الحكم له بوقوعه من باريء القوس عليه [32 أ].

وإما إلى ما يجري مجرى المفعول به، وهو الجار والمجرور، كقولهم لمن يفعل ما لا يفيد، هو كالراقم على الماء (2)، فالتشبيه ليس بمنتزع من الرقم المطلق؛ بل منه على الماء.

وإما إلى الحال، كقولهم: كالحادي وليس له بعير (3)، أي الحادي حال ما لا يكون له بعير.

وإما إلى المفعول به والجار والمجرور معاً، كقولهم: «هو كمن .

1- مجمع الأمثال: 19/22، جمهرة الأمثال 1/ 76، والأسرار 119.

2- مجمع الأمثال 2/ 398، جمهرة الأمثال 148/2 الإسرار 120. كالراقم على الماء، وكالقابض على الماء يضرب لمن يرجو ما لا يحصل.

3- مجمع الأمثال 142/2، جمهرة الأمثال 2 / 147 الاسرار 20. يضرب لمن يتشبع وليس له مال.

يجمع السيفين في غِمْد (1)، وهو كمن ينثر الجوزَ على القبّة. فالجمع المعدّى إلى السيفين في غِمْد (25)، لا ـ يكفي في التشبيه ما لم يشترط كونه جامعاً لهما في الغمد، ومنه قوله تعالى: (كمثل الحمار يحمل أسفاراً) (2) فإنه تضمن التشبيه من اليهود لا لأمر يرجع إلى حقيقة الحمل المطلق؛ بل لأمرين آخرين:

أحدهما: تعديته إلى الأسفار.

والآخر: اقتران الجهل بما فيها؛ لأن الغرض توجيه الذم إلى من أتعب نفسه بحمل ما يتضمن من المنافع العظيمة، ثم لم ينتفع به بجهله، وهذا المقصود لا يحصل من الحمل المطلق؛ بل منه مشروطاً بالشرطين الآخرين، ثم إذا كان ما به المشابهة وصفاً مقيداً، فقد يمكن إفراد أحد جزئيه بالذِكر، وقد لا يمكن.

أما الأول فكقوله: (3).

فكأنّ اجرامَ النجوم لوامِعاً *** دُرَرٌ نُثِرْنَ على بِساط أَزْرَقِ

فإنك لو قلت: كانَّ النجوم درر، وكأن السماء البساط الأزرق، كان التشبيه معقولاً، وإن تغيّر المعنى المراد للقائل؛ إذ مقصوده من التشبيه ها هنا ذكر الأمور العجيبة من طلوع النجوم مؤتلفة مفترقة في أديم السماء وهي زرقاء زرقتها الصافية، والنجوم تتلألأ في تلك الزرقة، ومعلوم أن هذا المقصود لا يبقى إذا فُرّق التشبيه.7.

1- يضرب مثلاً للمستحيل وهو الشطرة الثانية من بيت قاله ابو ذؤيب الهذلي 26 ه - تريدنني كي تجمعيني وخالدا *** وهل يجمع السيفان ويحك في غمد الاسرار 120 لا يجمع سيفان في غمد مجمع الأمثال 2 / 230 ط محيى الدين.

2- الجمعة 5.

3- البيت لأبي طالب الرّقّي من شعراء القرن الرابع واحد المقلين المحسنين في ألفاظهم ومعانيهم، والبيت في الأسرار ص 184، نهاية الأدب 42/7.

وأما الثاني، فكقوله: (1).

كأنما المرِّيخُ والمشتري *** قدّامه في شامخ الرفْعَهْ

منصرفٌ بالليل عن دعْوة *** قد أُسرجتْ قُدّامَه الشمَعة

فلو قلت: كأن المريخ منصرف عن دعوة / [32 ب]، وتركت حديث المشتري والشمعة، كان خلْفا من القول؛ إذ التشبيه للمرّيخ حيث الحالة الحاصلة له من تقدم المشتري له، فإذن لا يمكن إفراده بالذكر.

البحث السادس: في التشبيهات المتعددة المجتمعة:

إنما يكون (2) الأمر كـذلك إذا كان التشبيه في أمور كثيرة لا يتقيّد بعضـها بالبعض، وحينئذ تكون التشبيهات مضـموماً بعضـها إلى بعض الأغراض كثيرة، كل واحد منها قائم بنفسه، ولهذا النوع خاصّيتان:

الأولى: أنه لا يجب فيها الترتيب، فإنك لو قلت: زيد كالأسد بأساً، والبحرِ جوداً، والسـيفِ مضاءً، والبدرِ بهاءً، لم يجب عليك أن تحفظ في هذه التشبيهات (3) نظاماً مخصوصاً.

الثانية: إذا سقط البعض فإنه لا يتغير حال الباقي، كقولهم: هو يصفو ويكدر، ويحلو ويمُرّ، ولو تركت ذكر الكدورة والمرارة، لكان المعنى في تشبيهه بالماء الصافي والعسل في الحلاوة باقياً.

البحث السابع: يجب مراعاة جهة التشبيه ولا يجوز تعدّيها، وإلا وقع الخطأ، مثاله ما قيل (4): «النحو في الكلام كالملح في الطعام»، .

1- البيتان في الأسرار بلا غزو 225، وللقاضي التنوخي في حسن التوسل 114 وهو قاض وشاعر وله ديوان شعر مفقود ت 342 ه.

2- يكون في ب.

3- في هذا التشبيهات ب.

4- الخطيب القزويني نقل هذا الكلام بنصه تقريباً في الايضاح ص 340. وأنظر الاشارات والتنبيهات ص 177.

فـإن جهـة التشبيه هـا هنا هي الاصـلاح، والمقصود أن الطعام كما لا يصـلح إلا بالمِلـح، كـذلك الكلام لا يصـلح إلا بالنحو، فأما ما ظنه بعضـهم أن المقصود هو أن القليل من النحو مغْنٍ والكثير مفسـد، كما أن القليل من الملـح مغن والكثير مفسـد، فهو ظن فاسد؛ لأن النحو علم بمجموع قوانين مضـبوطه يمتنع تطرق الزيادة والنقصان إلى جريانها في الكلام، كقولك: كان زيـد قائماً، فإنه لا بـد فيه من رفع الاسـم ونصب الخبر، فإن وُجدا وجد النحو من غير زيادة ولا نقصان، وإن لم يحصلا عدم النحو، فلا زيادة ولا نقصان أيضاً.

البحث الثامن: في اكتساب / [33 أ] وجه المشابهة.

الطريق إليه تميز ما به المشابهـة عما به الامتياز، مثلاً من أراد تشبيه شـيء بشـيء في هيئة الحركة، وجب أن يطلب الوفاق بين الهيئة، والهيئة المجردة عن الجسم وسائر ما فيه من الأعراض، كما فعل ابن المعتز في قوله:

وكأن البرقَ مصحفُ قارٍ *** فانطباقاً مرّةً وانفتاحاً

فلم ينظر في جميع أوصاف البرق ومعانيه إلا إلى الهيئة التي تجدها العين من انبساط يعقبه انقباض (1)، ثم لما بحث عن أوصاف الحركات لينظر أيها أشـبه بها أصاب ذلك فيما يفعله القاريء بأوراق المصـحف من فتحها مرة وطبقها أخرى، ولـم يكن حسن التشبيه لكونه جامعاً بين مختلفين، بل لحصول الاتفاق بينها من ذلك الوجه، ولأجل اجتماع الأمرين: أعني الاتفاق التام والاختلاف التام كان حسـناً، ومما يناسـب ذلك في كونه جامعاً بين المختلفين محاولة الشاعر جعل الشيء سبباً لضده كقوله: .

1- الايضاح 348، وفي الأسرار 176، 210 حركـة المصـحف في قوله فانطباقاً مرة وانفتاحاً تركيب؛ لأنه في احـدى الحالتين يتحرك إلى جهة غير جهته في الحالة الأخرى.

اعتَقني سوءُ ما صنعتَ من الرّ *** قّ فيا بردّها على كبدي

فصرتُ عبداً للسوء فيك *** وما أحسن سوءٌ قبلي إلى أحد (1)

الركن الثالث: في غرض التشبيه:

أنه إما أن يكون عائداً الى المشبه، أو المشبه به.

أما الأول، فقد يكون غرضه بيان الحكم المجهول، وقد لا يكون.

أما الأول، فإما أن يقصد بيان إمكانه عند ما لا يكون بيّناً، فيحتاج إلى التشبيه لبيانه، كقوله: (2).

فان تفُق الأنامَ وأنت منهم *** فإنّ المسكَ بَعضُ دمِ الغزالِ

فإن مقصوده أن يقول: إن الممدوح فاق الأنام حتى لم يبق بينهم وبينه مشابهة؛ بل صار أصلاً بنفسه، ولما كان هذا من الظاهر كالممتنع؛ إذ يبعد أن يتناهى إنسان في الفضائل إلى أن يخرج من نوعه، احتج لدعواه بأن المسك وإن كان بعض / [33 ب] دم الغزال في أصله، فقد خرج عن صفة الدم وحقيقته حتى صار لا يعدّ دماً.

وإما أن يقصد بيان مقداره، كقولك للشيء الأسود: إنه كحلك الغراب (3)، فإن المقصود من هذا التشبيه بيان مقدار السواد في الحلوكة، لا إمكان وجوده.

وأما الثاني، وهو أن لا يكون غرضه بيان حكم مجهول، فقد يكون غرضه أحد أمرين: .

1- البيتان لابن الرومي، وهذا ضد المعنى المعروف من أن الإحسان يستعبد القلوب كقول البستي: أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم *** فطالما استعبد الإنسان احسان انظرها من الأسرار ص 180 ط 1.

2- البيت للمتنبيّ من قصيدة يرثى فيها والد سيف الدولة ديوانه 3 / 151 ط بيروت والأسرار 138، 159، والإشارات والتنبيهات 187.

3- مثلوا لهذا النوع بقول الشاعر مداد مثل خافية الغراب.

أحدهما: نقل النفس من الغريب إلى القريب؛ لأن إلف النفس مع الحسّيات أتم من العقليات؛ لتأخر كثير من العلوم العقلية عن الحسية، فإذا ذكرت المعنى العقلي الجِبِلّي، ثم عقبته (1) بالتمثيل الحسي، فقد نقلت النفس من الغريب إلى القريب (2).

الثاني: أن يقصد المباعدة بين المتشابهين؛ لأن التشابه حينئذ يكون أغرب، فيكون إعجاب النفس بذلك التشبيه اكثر؛ لأن شغف النفس بالغريب الذي لم يعهد اكثر من المألوف المعتاد.

وأما الأغراض العائدة إلى المشبه به، فقد يقصد المادح على طريق التخييل أن يوهم في الشيء القاصر عن نظيره أنه زائد عليه، ويشبه الزائد بذلك الناقص يقصد به إعلاء شأن ذلك الناقص، أي هو بالغ إلى حيث صار أصلاً للشيء الكامل في ذلك الأمر كقوله:

وبدا الصباحُ كأنّ غرّتَهُ *** وجهُ الخليفةِ حينَ يُمتَدحُ (3)

ألا ترى أنه جعل وجه الخليفة أعرف وأتم وأشهر في النور والضياء من الصباح حتى شبه الصباح به، وقد يقصد الذامّ عكس ذلك.

الركن الرابع: في التشبيه نفسه، وفيه أبحاث:

البحث الأول: في التشبيه ليس من المجاز (4)؛ لأنه معنى من المعاني، وله حروف وألفاظ مخصوصة، كالكاف وكأنّ ونحو ومثل تدل عليه وضعاً، فاذا صرح بالألفاظ الدالة عليه كان حقيقة، فإذا قلت: زيد .

1- عقبه في ب، م.

2- الغريب في ب.

3- البيت لمحمد بن وهيب الحميري في مدح الخليفة المأمون بن الرشيد، معجم الشعراء 358 والطراز 1 / 353، ونهاية الإرب 123.

4- والذي يقع من التشبيه في حيز المجاز عند اهل هذا الفن هو الذي يجيء على حد الاستعارة، كمن يتردد في أمر بين الفعل وتركه أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى.

كالأسد لم يكن نقلاً للفظ / [34 أ] عن موضوعه الأصلي فلا يكون مجازاً.

البحث الثاني: في التشبيه الذي يصح عكسه، والذي لا يصح:

قد يكون الغرض من التشبيه إلحاق الناقص بالزائد مبالغة في إثبات الحكم للناقص كما إذا شبهت شيئاً [أسود (1)] بخافية الغراب، أو وجهاً حسن البياض والصورة بالبدر والشمس ومثل هذا يمتنع العكس فيه؛ لأن تنزيل الزائد منزلة الناقص يضادّ المبالغة الأولى.

وقد يكون المقصود الجمع بين الشيئين في مطلق الصورة أو الشكل واللون، كتشبيه الصبح بغرّة الفرس، لا لأجل المبالغة في الضياء؛ بل لأجل ظهور بياض في سواد مع كون البياض قليلاً بالاضافة إلى السواد، والعكس حينئذ جائز، كما لو شبهت غرّة الفرس بالصبح.

البحث الثالث: في التشبيه الواقع في الهيئات:

إنه قد يقع في الهيئات التي يقع عليها المحركات.

وقد يقع في الهيئات التي يقع عليها السكنات. أما الأول: فعلى وجهين:

أحدهما: أن يقرن الحركة بغيرها من الأوصاف والشكل واللون، كقول ابن المعتز: والشمس كالمرآة في كفّ الأشل (2).

أراد أن لها من الاستدارة والاشراق الحركة التي تراها إذا أمعنت التأمل، وذلك أن للشمس حركة دائمة متصلة، ولنورها بسبب ذلك تموج، ولا يحصل هذا التشبيه إلا أن تكون المرآة في كف الأشل؛ لدوام حركته فيتموج بسببه نور المرآة، وتلك حال الشمس..

1- ليست هذه الكلمة في النسخة أ.

2- سبق ذكره.

وثانيها: أن يكون التشبيه في هيئة الحركة مجردة من كل وصف يقارنها مثاله قول الأعشى يصف السفينة وتلعّب الأمواج بها:

تَقِصُّ السفين بجانبيْه *** كما يَنْزُو الرُّبَّاح خَلَالَه كَرْعُ (1)

والرباح: القرد في لغة أهل اليمن وأصله بتشديد الباء فخففه وقيل: أراد الربح، وهو الفصيل، فأشبع / [34 ب] فتحة الباء فحدثت الألف، والكرع: ماء السماء يكرع فيه، شبه السفينة في انحدارها وارتفاعها بحركات القرد إذا نزا في الماء، فإنه يكون له حركات مختلفة في جهات مختلفة، ويكون هناك تسفّل وتصعّد على غير ترتيب، وهو أشبه شيء بحركات السفينة حين يتدافعها الموج.

وأما التشبيه الواقع في الهيئات التي يقع عليها السكنات، فكقول الأخيطل (2) في صفة المصلوب:

كأنه عاشقٌ قد مدَّ صفحتَهُ *** يوم الوداعِ إلى توديعِ مُرتَحلِ

أو قائمٌ مِن نُعاسٍ فيه لُوثَتَهُ *** مُواصِلٌ لتمطيّه من الكسلِ (3)

فلُطْفه بسبب ما فيه من التفاصيل، ولو قال: كأنه متمطّ من نعاس واقتصر عليه لكان قريب التناول؛ لأن هذا القدر من التشبيه يحصل في نفس الرائي للمصلوب لكونه من باب الجملة، وأما على التفصيل الذي قيد به استدامة تلك الهيئة فلا يحصل إلا مع التأمّل لحاجته إلى أن ينظر إلى أحوال المتمطّي من مد ظهره ويده، ويزيد على النظر إلى استدامته لذلك وإلى علّته؛ وهي قيام اللوثة والكسل في القائم من النعاس، وهذا .

1- تقص: تثب، ينزو: يثب، الرّباح: القرد، كرع. غدير والبيت في الأسرار ص 210 والايضاح ص 349.

2- هو محمد بن عبد الله بن شعيب المعروف ببرقوق شاعر عباس، معجم الشعراء 376.

3- البيتان في طبقات ابن المعتز 412، وأسرار البلاغة 214، ونهاية الأرب 7/ 49. واللوثة: الضعف ورجل لوثة: أي استرخاء، اللسان مادة لوث.

أصل فيما يراد به التفصيل، وهو أن يُثبت في الوصف أمر زائد على المعلوم المتعارف ثم يطلب علّته.

البحث الرابع: في مراتب التشبيه في الخفاء والظهور:

التشبيه قد يكون بالتخيّل الذي لا وجود له في الأعيان، كتشبيه الشقائق بأعلام ياقوت نشرت على رماح من زبرجد (1).

وقد يكون بما له وجود في الأعيان، وحينئذ فالهيئة المعتبرة (2) في

ذلك، إما أن توجد قليلاً أو كثيراً:

بيانه أنك إذا قايست بين قوله:

وكانّ أجرام النجومِ لوامعاً *** دُرَرٌ نُثِرْنَ على بِساطٍ أزرقِ

وبين قول ذي الرمّة:

كأنها فضةٌ قد مَسَّهَا ذَهَب (3)

عرفت أن الأول أغرب من الثاني؛ لأن الهيئة الأولى وهي وجود درر منثور على بساط أزرق أقل وقوعاً من فضة / [35 أ] أجرى عليها الذهب وكلما كان الشيء عن الوقوع أبعد كان أغرب، فكان التشبيه به ألذّ وأعجب.

البحث الخامس: في التمثيل والمثل: ب

1- مأخوذ من قول الصنوبري: وكان محمّر الشقيق إذا تصوب او تصعّد. أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد.

2- المغيرة في النسخة ب.

3- الشطرة الأولى من البيت: كحلاء في برج صفراء في نعج، الاسرار 197 من قصيدة قالها ذو الرمة في هشام بن عبد الملك مطلعها ما بال عينك منها الماء ينسكب *** كأنه من كلى مغربة سرب

قد خص التشبيه المنتزع من اجتماع أمور يتقيد بعضها بالبعض باسم التمثيل. وقد يكون ذلك على وجه الاستعارة، كقولك (1) للمتردد في الأمر: «أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى» (2) تريد أنك في ترددك كمن يقدم رجلاً ويؤخر أخرى.

وقد لا يكون كما إذا أبرزت ألفاظ التشبيه، كقوله تعالى: (ومثل الذين حُمِّلوا التوراة ...) (3) الآية.

وأما المثل؛ فهو تشبيه سائر، أي يكثر استعماله على معنى: أن الثاني بمنزلة الأول. والأمثال كلها حكايات لا تغيّر؛ لأن ذكرها على تقدير أن يقال في الواقعة المعينة: إنها بمنزلة ما يقال فيه هذا القول، كقولك لمن لم يسمع رأيك: «لا يطاع لقصير أمر» (4). ألا ترى أنك تقول ذلك بالألفاظ التي قالها منشيء هذا المثل، ولو غُيّرت هذه الألفاظ لم تُسمّ

مثلاً. 0.

1- كقوله ب

2- دلائل الاعجاز 54.

3- (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) الجمعة 5.

4- قصير هو مولى جذيمة المعروف بالأبرس، وكان قد أشار على سيدة جذيمة أن لا يأمن للزّباء ملكة الجزيرة، فخالفه، وقصدها إجابة لدعوتها إلى زواجه، فقتلته، فقال قصير: لا يطاع لقصير أمره فذهبت مثلاً. وقد استشهد بهذا المثل على كرم الله وجهه في خطبته بعد التحكيم فقال: لو كان يطاع لقصير أمر نهج البلاغة 80.

الفصل الرابع

في الاستعارة، وفيه ثلاثة أركان:

الركن الأول: في حقيقتها وأحكامها وفيه أبحاث:

البحث الأول: أجود ما قيل في حد الاستعارة: إنها استعمال اللفظ في غير ما اصطلح عليه في أصل المواضعة التي بها التخاطب لأجل المبالغة في التشبيه.

وبالقيد الأول احترزنا عن الحقائق الثلاث اللغوية والعرفية والشرعية (1).

وبقولنا: لأجل المبالغة في التشبيه عن سائر وجوه المجاز.

واعلم أن المستعار وإن كان صفة للفظ إلا أنه صفة للمعنى أولاً؛ فإن المعنى أوّلاً يُعار ثم بواسطته يعار اللفظ.

بيانه من وجهين:

أحدهما: أنه حيث لا يكون نقل الاسم تابعاً لنقل المعنى تقديراً، لم يكن ذلك استعارة، كالأعلام المنقولة، فإنك إذا سميت إنساناً بيزيد أو يشكر، فإنه لا يقال لهذه الألفاظ مستعارة؛ إذ (2) لم يكن نقلها تبعاً لنقل معانيها تقديراً/ [35 ب].

1- الحقيقة اللغوية؛ كاستعمال لفظ الاسد في السبع المخصوص. والحقيقة العرفية؛ كاستعمال لفظ الدابة في ذوات الأربع. والحقيقة الشرعية؛ كاستعمال لفظ الصلاة في العبادة المخصوصة.

2- إذا لم يكن في ب.

الثاني: أن العقلاء يجزمون بأن الاستعارة أبلغ من الحقيقة، فإن لم يكن نقل الاسم تبعاً لنقل المعنى، لم يكن فيه مبالغة؛ إذ لا مبالغة في إطلاق الاسم المجرد عارياً عن معناه.

البحث الثاني: الفرق بين الاستعارة والتشبيه:

إن التشبيه حكم إضافي يستدعي مضافين وليس الاستعارة كذلك؛ فإنك إذا قلت: رأيت أسداً لم يذكر شيئاً آخر حتى تشبه بالأسد، فلم يكن ذلك تشبيهاً، بل أعطى المعنى لفظاً ليس له لأجل المشابهة بينه وبين معناه الأصلي، وما هو لأجل شيء آخر لا يكون نفس ذلك الشيء، واعلم أنه متى قويت المشابهة بين الشيئين كان التصريح بالتشبيه قبيحاً، وذلك لقرب الشبه من حقيقة المشبه به، مثاله إطلاق لفظ النور على العلم والايمان والظلم على الكفر والجهل، فلا يحسن ها هنا؟ - لقوة المشابهة - أن يقول العلم كالنور.

وبالجملة: فالاستعارة إنما تحسن حيث يكون التشبيه متقرراً بين الناس ظاهراً، فأما إذا خفي واحتاج إلى كلفة، فلا بد من التصريح، فإنك لو قلت في قوله عليه السلام: مثل المؤمن كمثل النخلة (1)، رأيت نخلة وأردت المؤمن، كنت - كما قال سيبوية (2) - ملغزاً تاركاً لكلام العرب.

البحث الثالث: في ترشيح الاستعارة وتجريدها:

أما ترشيح الاستعارة؛ فأن تراعي جانب المستعار وتوليه ما يستدعيه وتضمّ إليه ما يقتضيه، كقول كثير: (3) 8.

1- صحيح البخاري 4/ 20، صحيح مسلم 2163/4.

2- سبقت ترجمته.

3- رمتني بسهم ريشه الهدب لم يصب *** ظواهر جسمي وهو في القلب جارح ديوانه 188.

رمتني بسَهمٍ ريشُه الكحل لم يضر

فاستعار الرمي للنظر وراعى ما يستدعيه، فأردفه بلفظ السهم.

وقول امريء القيس (1).

فقلت له لمّا تمطّى بصُلْبِهِ *** وأردفَ أعجازاً وَنَاءَ بكَلْكَلِ / 1 36 أ]

لما جعل للّيل صُلباً قد تمطّى به أردفه بما يقتضيه من الأعجاز والكلكل.

وأما تجريدها؛ فأن يُراعى جانب المستعار له، كقوله تعالى: (فأذاقها الله لباسَ الجُوع والخوْف) (2) وكقول زهير (3):

لدى أسدٍ شاكي السلاحِ مقذّفٍ

لو نظر إلى المستعارها هنا، لقيل: فكساهم لباس الجوع، ولقال زهير لدى أسد في المخالب والبراثن.

البحث الرابع: في الاستعارة بالكناية، وتنزيلها منزلة الحقيقة.

وأما الاستعارة بالكناية؛ فهو أن يذكر بعض لوازم المستعار للتنبيه عليه دون التصريح بذكره، كقول أبي ذؤيب: (4) .

1- البيت من معلقة امريء القيس ومطلعها: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *** بسقط اللوى بين الدخول وحومل وفي الديوان: فقلت له لما تمطى بجوزه الديوان ص 18

2- النحل 112.

3- وتمام البيت: له لبد أظفاره لم تقلّم. والبيت من معلقة زهير التي يمدح فيها الحارث بن عوف وهرم بن سنان الديوان 23 دار الكتب.

4- وتمام البيت: ألفيت كل تميمة لا تنفع ديوان الهذليين ص 3.

وإذا المنيّة أنشَبتْ أظْفَارها

فكأنه حاول استعارة السبع للمنيّة، لكنه لم يصرحْ بها؛ بل ذكر بعضَ لوازمها؛ تنبيهاً لها على المقصود.

وأما تنزيلها منزلة الحقيقة، فاعلم أنهم قد يستعيرون الوصف للشيء المعقول ويجعلون ذلك كالثابت لذلك الشيء في الحقيقة، وكأن الحقيقة لم توجد، وذلك كاستعارة العلوّ لزيادة الرجل على غيره في الفضل، ثم وضعهم الكلام وضعَ من يَذكرُ عُلُوّاً مكانياً، كقول أبي تمام (1):

ويصْعدُ حتى يظنَّ الجهولُ *** بأنّ له حاجةً في السماء

فقصد ها هنا أن يَنسى التشبيه ويرفعه رأساً، ويجعل الممدوح صاعداً في السماء صعوداً مكانياً، وهكذا إذا استعاروا إسم الشيء لغيره من نحو: بدر، وأسد (2)، فإنهم يبلغون إلى حيث يعتقد أن ليس هناك كاستعارة كقوله: (3)

قامتْ تُظلّلني – ومن عَجَبٍ – *** شمس تظلّلني من الشمسِ

فلولا أنه أنسى نفسه أن ها هنا استعارة، لما كان لهذا التعجب معنى، ومدار/ [36 ب] أكثر هذا النوع على التعجب.

وقد يجيء على عكس مذهب التعجب، كقوله: (4)

لاتعجبوا من بِلَى غُلالته *** قدْ زَرّ أزرارَهُ على القمَرِ .

1- ويصعد حتى يظن الحسود ديوانه 4 / 34 وفي الأسرار ص 344.

2- أو أسد في ب.

3- البيت لابن العميد وهو في الأسرار ص 345، واليتيمة 3 / 160 ونهاية الأرب 56/7.

4- البيت لابن طباطبا، انظر الاسرار ص 348، والطراز 1/ 256. وروى «قد زر كتانه على القمر».

فقد ذكر كما ترى شيئاً (1) هو من خاصة القمر، فهو ينهاهم عن التعجب من بلى الكتان بسرعة، ويقول إنه قد زُرّ على القمر، ومن شأن القمر ذلك، وهذا إنما يتم بالجزم بكونه قمراً (2)، إلا أنه لو اعترف بأنه ليس بقمر وإنما يشبه القمر، لبطل كلامه.

البحث الخامس: في شرط حسن الاستعارة

واعلم أن الاستعارة إنما تحسن بالمبالغة في التشبيه مع الإيجاز، كقوله:

أيا مَنْ رَمَى قَلْبِي بسهْمٍ فأَنْفَذا (3).

لا كقول أبي تمام: (4)

لا تسْقني ماءَ المَلامِ فإنّني *** صبٌّ قد استعذبْتُ ماءَ بُكَائِي

فإن قوله ماء الملام ليس فيه لذاذة، ولو أتى بالحقيقة فقال: لا تلمني لكان أوجز.

وقد تكون الاستعارة عامية، كقولك: رأيت أسداً، أو وردت بحراً. وقد تكون خاصّية كقوله:

وسالتْ بأعناقِ المَطِيِّ الأباطحُ (5).

1- شتيء في النسخة أ.

2- بكونه قمر في النسخة أ.

3- فقوله: «فأنفذا» استعارة حسنة، فأما لو قال بدله: فأولجا أو فأدخلا، لكانت استعارة قبيحة؛ لأن اللائق بهذا الموضوع أن يبالغ في الوصف بالسهولة وتحقيق الاصابة، وقوله «فأنفذا» يفيد تحقيق السرعة والسهولة، وليست الأوصاف الأخر كذلك. نهاية الايجاز 94.

4- من قصيدة يمدح فيها محمد بن حسان الضبي ديوانه 1/ 22، أخبار ابن تمام 23. نهاية الايجاز 94.

5- صدر البيت: أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا. والبيت ينسب لكثير عزة، أو يزيد بن الطثرية، أو نُصيب. الشعر و الشعراء ص 8، الدلائل 59، وكتاب البديع لابن منقذ 154.

شبه سيرها الحثيث وغاية سرعته في لين وسلاسة بسيل وقع في الأباطح فجرت به.

الركن الثاني: من أقسام الاستعارة، وفيه أبحاث:

البحث الأول: الاستعارة قد تعتمد نفس التشبيه، كما إذا اشترك شيئان في وصف وهو في أحديهما أزيد فتعطى الناقص اسم الزائد، كقولك: رأيت أسداً، وتريد رجلاً شجاعاً، وغنّت لنا ظبية، وتريد امرأة.

وقد تعتمد لوازم التشبيه وهو إذا كانت جهة الاشتراك إنما ثبت كمالها في المستعار منه بواسطة أمر آخر فيثبت ذلك الأمر للمستعار له مبالغة في إثبات المشترك، كقوله (1):

إذ أصبحتْ بيد الشِمّال زمامُها.

فالشمال في [تصريف] (2) الغداة على حكم طبيعتها كالحيوان المتصرف، إلا أن تصرف / [37 أ] الحيوان لمّا كان في أكثر الأحوال باليد، كانت اليد كالآلة التي يكمل بها التصرف (3). ولما كان الغرض هاهنا إثبات التصرف وهو لا يكمل إلا بثبوت اليد (4)، لا أجرم ثبت للريح يداً تحقيقاً للغرض، وكذلك قوله (5):

إذا هزّه في عظم قرنٍ تهلّلت *** نواجذُ أفواهِ المنايا الضواحك

لمّا شبه المنايا عند هزة السيف بالسرور (6)، وكمال الفرح إنما يظهر .

1- صدر البيت: وغداة ريح قد كشفت وقرّة. وقد قاله لبيد ديوانه 315.

2- فالشمال في تعريف أ.

3- التصريف في ب.

4- الأيدي في أ.

5- البيت قاله تأبط شراً، ديوانه 119.

6- بالمسرور في ب.

بالضحك الذي يتهلّل فيه النواجذ، أثبت الضحك مع تهلّل النواجذ؛ تحقيقاً للوصف المقصود.

البحث الثاني: واعلم أن القسم الأول على أربعة أقسام:

أحدها: أن يستعار لفظ المحسوس للمحسوس، وحينئذ فالاشتراك بينهما إما في الذوات دون الصفات أو بالعكس.

فالأول كحقيقة تفاوتت آحادها في الفضيلة والنقص والقوة والضعف، فيستعار لفظ الأكمل في ذلك النوع للأنقص كاستعارة الطيران للعدو بسرعة، فيقال للعدو السريع، طيران؛ إذ الطيران والعدو يشتركان في الحقيقة: وهي الحركة المكانية، ويختلفان في القوة والضعف.

وأما الثاني: فكقولهم: رأيت شمساً وتريد إنساناً يتهلّل وجهه، فها هنا الإنسان مخالف للشمس في الحقيقة، مشارك لها في الوصف، وكقول عليّ عليه السلام في ذكر النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «اختاره من شجرة الأنبياء» (1)، فإن الشجرة وأصل النبوّة يختلفان بالحقيقة، ولكنهما يشتركان في أن كلّ واحد منهما أصل يتفرع عليه الفروع.

وثانيها: استعارة لفظ المعقول للمعقول، وهو أيضاً إنما يكون في أمرين يشتركان في وصفٍ أحدهما به أوْلى، وهو فيه أكمل، فينزّل الناقص منزلة الكامل ثم أن المشتركين قد يكونان متعاندين / [37 ب]، أما تعاند النقيضين وهو كاستعارة المعدوم للموجود عند مالا يكون في ذلك الموجود فائدة فيشارك المعدوم في عدم الفائدة، فيستعار لفظه له. أو كاستعارة الموجود للمعدوم عندما يكون للمعدوم آثار باقية يشارك بها الموجود، إلا أن الموجود بمثلها أولى فيستعار لفظه له.

وأما تعاند الضدين حقيقة كان أو ظاهراً، وهو كتشبيه الجاهل .

1- من خطبة له في مزايا النبي صلى الله عليه و آله و سلم: أسرته خير أسرة، وشجرته خير شجرة نهج البلاغة ص 229.

بالميّت؛ لأن الموت والحياة للجاهل اشتركا في عـدم الفائدة المطلوبة منه وهي الإدراك والعقل، إلا أن الموت بها أولى فيسـتعار لفظه لها، ومنه قول عليّ عليه السلام: «الناس نِيامٌ، فإذا ماتوا انتبهُوا (1).

وقـد لاـ يكونان متعانـدين، وهو (أن يكون موجودان يشتركان) (2) في وصف معقول، إلاـ أن أحـدهما أولى به فينزل الناقص منزلـة الزائـد، كقولهم: فلان لقي الموت، إذا لقي شـيئاً من الشدائـد؛ لاشتراك الموت والشدائـد في المكروهيـة، لكن الموت أولى بها فينزل الشدائد منزلة الموت فيستعار لفظ الموت لها.

وثالثها: استعارة لفظ المحسوس للمعقول، وهو كاستعارة لفظ النور

المحسوس للحجّة الواضـحة، واستعارة لفظ القسطاس المحسوس للعدل، ومنه قوله عليه السلام في مدح القرآن: إنه حبْلُ الله المتين، وفيه ربيعُ القلب، وينابيعُ العِلْم» (3)، فاستعار لفظ الحبل والربيع والينابيع لمعاني القرآن.

ورابعها: استعارة لفظ المعقول للمحسوس؛ وهو أن يجعل المعقول أصلاً في التشبيه ويبالغ في تشبيه المحسوس به، كقوله (4):

فمنظرُها شِفاءٌ من سَقامٍ *** ومَخْبَرُها حياةٌ مِن حِمَامِ

فإن الموضع المنظور إليه منها لما شارك الشـفاء في التـذاذ الحاصل عنها، وكان الشـفاء أولى بذلك، بالغ في تشبيه المنظر به فأعاره اسـمه. وكذلك المخبر وهو محل [الإخبار (5)] [38 أ]، وهو إما أقوالها وأفعالها .

1- هذا الأثر مذكور في البصائر 227/4.

2- وهو كما يشترك موجودان في وصف معقول. في النسخة أ، ب.

3- في نهج البلاغة ص 254 فإنه حبل الله المتين وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينابيع العلم.

4- لم أعثر على قائله.

5- الاختيار من أ.

المحسوسة، أو شيء آخر، لما شارك الحياة في الالتذاذ الحاصل عنهما، وكانت الحياة أولى به من المخبر؛ بالغ في تشبيه المخبر بها، فاستعار له لفظها.

ص: 127

الفصل الخامس

في الكناية

وفيه بحثان:

البحث الأول: في حقيقتها:

أما حقيقتها، فاعلم أن اللفظة إذا أطلقت وأُريد بها غيرُ معناها، فإما أن يُراد بها مع ذلك معناها أو لا يُراد.

فالأول هو الكنايـة، كقولك: فلانٌ طويلُ النِّجادِ، كثيرُ رمادِ القِدْر. فقولنا: طويل النجاد ليس الغرض الأصـلي به معناه؛ بل ما يلزمه من طول القامة، وكذلك المثال الآخر، فإن المقصود منه ما يلزمه من إطعام الخلْق والتكرم عليهم، فهذه هي الكناية في المفرد.

وأما في المركّب؛ فهي أن يحاول إثبات معنى من المعاني لشيء، فيترك التصريح بإثباته له ويثبته المتعلقه، كقوله (1):

إن المروءةَ والسماحةَ والنّدَى *** في قُبّةٍ ضُربتْ على بن الحشْرَجِ

لما أراد إثبات هـذه المعاني للمـدوح لم يصـرّح بها؛ بل عـدل إلى ما ترى من الكناية فجعلها في قبّة ضُـربت عليه. ومنه قولهم: المجْدُ بين ثوْبيه والكرم بين بُرْدَيه. ومثاله في جانب النفي قول من يصف امرأة بالعفّة (2):

يَبيتُ بمَنْجاةٍ من اللَّوْمِ بَيْتُها *** إذا ما بُيوتٌ بالمَلامَةِ جُلِّلَت

1- البيت لزيـاد الأـعجم، ولقب بالأـعجم، لأـنه كان لكن. وابن الحشـرج كان أميراً على نيسابور الأغاني 18/10، الدلائل 237، الطراز 422/1.

2- البيت للشنفري المفضليات ص 109، والدلائل 239.

فتوصل إلى نفي اللّوم عنها بأن نفاه عن بيتها.

البحث الثاني: في الفرق بينها وبين المجاز:

الفرق بينهما أن الكنايـة عبارة عن أن تـذكر لفظـة وتفيد بمعناها معنى ثانياً هو المقصود، وإذا أفدت المقصود بمعنى اللفظ وجب أن يكون معناه مُعتبراً، فلم تكن قـد نقلْت اللفظـة عن موضوعها، فليست مجازاً، مثاله: أنك إذا قلت: فلانٌ كثيرُ الرّماد فأنت تريد أن تجعل / [38 ب] كثرة الرماد دليلاً على جُوده، فقد استُعملت هذه الألفاظ في معانيها الأصلية وقصدْت يكونه كثيرَ الرماد معنى ثانياً يلزم الأول، وهو الجواد، بخلاف المجاز، فإنك تنقل اللفظة عن معناها الأصلي. وبالله التوفيق.

ص: 129

الجملة الثانية

في النظم

وفيها فصول:

الفصل الأول

في حقيقته

إنه وضع الكلام على النهج الذي يقتضيه عمل النّحو، والعمل فيه بقوانينه وأصوله (1).

بيانه: أنك تنظر في وجوه كل باب وفروقه، فتنظر في الخبر مثلاً إلى الفرق بين ما إذا كان المبتدأ اسماً مشتقاً أو صريحاً (2)، أو فعلاً ماضياً أو مستقبلاً (3)، وبين إدخال الألف واللّام عليه أو عدمها، والفصل بالضمير وعدمه (4)، وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تختلف بحسب اختلاف كون الجملتين فعليتين أو أحديهما فعلية والأخرى اسميّة، وإن كانتا فعليّتين فتنظر الفرق بين ما إذا كان الفعلان ماضيين أو مستقبلين(5)، أو أحدهما ماضياً والآخر مستقبلا (6)، وفي الحال إذا كان اسماً أو فعلا (7)،

1- انظر دلائل الإعجاز ص 64.

2- مثل زيد منطلق، وزيد أخوك.

3- مثل زيد انطلق وزيد ينطلق.

4- زيد المنطلق، وزيد منطلق، وزيد هو المنطلق.

5- إن خرجتَ خرجْنا، وإن تخرج أخرج، وإن خرجت تخرج، وإن تخرج خرجنا.

6- أتاني عمر و مسرعاً، وجاءني زيد يسرع. وأتاني عمر و قائداً فرسه، وأتاني عمر و يقود فرسه.

7- «ما» تفيد نفي الفعل المؤكد، فإذا قلت: لقد فعل فلان كذا، فنفيه: ما فعل. و لا تفيد نفس الفعل غير المؤكد، فإذا قلت: يقرأ الطالب الدرس فنفيه: لا يقرأ الدرس.

وفي الحروف المشتركة في معنىً، أين يكون وضعها أليق نحو أن تجيء بما في نفي الحال أو الماضي، وبلا في نفي الاستقبال (7)، بإن فيما يتردّد بينهما، وبإذا فيما علم أنه كائن (1)، وأن تعرف مواضع الفصل والوصل (2)، ومواضع التعريف والتنكير والتقديم والتأخير، والحذف والتكرار والاضمار والإظهار (3)، فتضع كل شيء مكانه.

واعلم أنه ليس إذا حسُن التنكير مثلاً أو التعريف أو أحد هذه الأمور في موضع حسُن في كل موضع؛ بل إنما يحسُن بحسب الموضع الذي يقصده (4).

وحاصل هذا التقرير: إن النظم إنما يحصل في كلمات تضمّ (5) .

1- تستعمل «أن» للشك والظن، ولذلك تستعمل غالباً في الحكم النادر غير المقطوع به، ومن ثم يغلب دخولها على الفعل المضارع. بخلاف «إذا» فإنها تستعمل في التحقيق والقطع، وحين يكون المتكلم جازماً بوقوع الشرط. وأوضح ما يكون ذلك في قوله تعالى: (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه، وإن تصبهم سيئة يطّيّروا بموسى ومن معه) سورة الأعراف 131 دخلت «إذاً» على الماضي لتحقق وقوعه، ودخلت (إن) على المضارع؛ لأن السيئة نادرة الوقوع بالنسبة للحسنة، فهي بمثابة الشيء الذي لن يتحقق إلا على ظن.

2- يختلف المعنى باختلاف الفصل والوصل، وأوضح مثال على ذلك قوله تعالى: (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم) البقرة 49. (وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم) إبراهيم 6. فالآية الأولى ذكر «يذبحون» بدون واو بياناً لقوله يسومونكم، فكأن الذبح هو السوم لا غيره. والآية الثانية ذكر يذبحون بالواو عطفاً على يسومونكم؛ لأن الذبح هنا كان أوفى من العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة، فكأنه شيء آخر غير العذاب.

3- الإضمار مثل قوله تعالى: (اعدلوا هو أقرب للتقوى) المائدة 8 أي: العدل. والإظهار مثل قوله تعالى: (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) الإسراء 105 أي: وبه نزل.

4- الذي يقصد في النسخة ب.

5- ضم بعضها إلى بعض في ب.

بعضها إلى البعض وذلك / [39 أ] النظم يعتبر فيه أحوال المفردات وأحوال انضمام بعضها إلى بعض.

فأما أحوال المفردات؛ فإما أن يعتبر حال دلالة الألفاظ، أو حال دلالة أحوالها وحركاتها، وسكناتها، فهذه هي أقسام الاعتبار، والنظم الكامل إنما يحصل إذا اختير من هذه الأمور الثلاثة في كل موضع ما هو الأليق به.

ص: 133

الفصل الثاني

في أقسام النظم

إنّ الجمل الكثيرة إذا نُظمتْ نظماً واحداً، فإما أن يتعلق بعضها بالبعض أو ليس.

فإن كان الثاني لم يحتج ذلك النظم إلى فكر في استخراجه، مثاله قول عليّ عليه السلام: لا مالَ أعُودُ من العقل، ولا داء أعيى من الجهل، ولا عقل كالتدبير ولا كرم كالتقوى» (1).

وإن كان (الأول) (2) فكلما كانت أجزاء الكلام أشد ارتباطاً، كان أدخل في الفصاحة، وليس له قانون يحفظ؛ لمجيئه على وجوه شتى، ولنذكر ما يعتبر منها وهو أحد وعشرون (3):

الوجه الأول: المطابقة:

وهي الجمع بين المتضادّين في الكلام مع مراعاة التقابل حتى لا يُضمّ الاسم إلى الفعل، كقوله تعالى: (فليضحكوا قليلاً ولْيبكوا كثيراً) (4).

وقوله: (سواءٌ منكم مَن أسرّ القولَ ومنْ جَهر به ومن هو مسْتَخْفٍ بالليل وساربٌ بالنهار) (5).

1- نهج البلاغة 448.

2- الثاني في النسخة أ، ب.

3- وهو عشرون في ب.

4- التوبة 81.

5- الرعد 10 سارب بالنهار: ظاهر يبصره كل أحد، أي يستوي في علمه تعالى السر والجهر والخفي والظاهر.

وقوله تعالى: (تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ) (1).

الوجه الثاني: المقابلة:

وهي أن تجمع بين شيئين متوافقين وبين ضدّيهما، ثم إذا شرطتهما بشرط وجب أن تشترط ضديهما بضد ذلك الشرط، كقوله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ) (2). فلما جعل التيسير مشتركاً بين الأعطاء والاتّقاء والتصديق / [39 ب]، جعل ضده: وهو التعسير مشتركاً بين أضداد تلك الأمور، وهي المنع والاستغناء والتكذيب.

الوجه الثالث: المزاوجة بين معنيين في الشرط والجزاء، كقول البحتري (3):

إذا ما نَهى النَّاهِي فلجّ بي الهَوى *** أصاخَتْ إلى الواشِي فلجَّ بها (4) الهجْرُ

الرابع: الاعتراض.

وهو أن يدرج في الكلام ما يتمّ به الغرض دونه كقوله تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) (5) وقول عليّ عليه السلام: «أما بعد فإنّ اللهَ خلق الخلْقَ – حين خلقهم – غنيّاً عن طاعتهم.

الخامس: الالتفات:

وهو العدولُ العدول عن مساقِ الكلام إلى مساقٍ آخر غير مناف للأول في .

1- آل عمران 26.

2- الليل 5 – 10.

3- من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان. ديوانه 844/2.

4- به في أ.

5- الواقعة 75، 76.

المعنى؛ بل متمّم له على جهة الميْل أو غيره.

كالعدول عن الغيبة إلى الخطاب، كقوله تعالى: (مالك يوم الدين * إياك نعبد و إياك نستعين) (1).

وبالعكس كقوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) (2) وقول علي عليه السلام: «وَبِنَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السِّرار، وُقِرَ سَمْعٌ

لمْ يفْقَهِ الواعِيَة» (3).

السادس: الاقتباس:

وهو أن تُدرج كلمة من القرآن أو آية منه في الكلام تزْييناً لنظامه، كقول ابن شمْعون في وعظه: اصبروا عن المحرّمات، وصابروا على المفْتَرَضات ورابطوا بالمراقَبات، واتقوا الله في الخلَوات تُرفعْ لكم الدرجاتُ» (26).

السابع: التلميح:

وهو أن يشار في فحوى الكلام إلى مثل سائر أو شعر نادر (4)، كقول

علي عليه السلام في خطبته الشِقْشِقيّة (5): .

1- الفاتحة 4، 5.

2- يونس 22.

3- نهج البلاغة 51. والأصح «أفجرتم» أي دخلتم في الفجر، والسّرار آخر ليلة في الشهر يختفي فيها القمر وهو كناية عن الظلام، وقر: صمّ الواعية: الصارخة والمراد هنا العبرة والموعظة الحسنة، وقر: صمّ، وهو دعاء بالصمم على من لم يفهم الزواجر والعبر. - وقول ابن شمعون مقتبس من قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) آل عمران 200.

4- وشعر نادر في ب.

5- الشقشقة: شيء كالرئة يخرج من البعير من فيه إذا هاج. وسميت هذه الخطبة بالشقشقية؛ لقوله فيها: «هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرّت» والبيت للأعشى، ويوم حيان بدلاً من يوم شتان. نهج البلاغة 48، والكور: الرحل.

شتّان ما يَوْمى على كُورِها *** ويومُ شتّان أخِي جابرِ

الثامن: إرسال المَثَلين وهو الجمع بين المثلين، كقوله (1):

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلٌ *** وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

التاسع: اللف والنشر:

وهو أن تلف / [40 أ] شيئين وتُورد تفسيرَهما جُملة؛ ثقةً بأن السامع يميّز ما لكل منهما كقوله تعالى: (ومِن رحمته جعلَ لكمُ الليلَ والنهارَ لتسْكنوا فيه ولتبتغوا مِنْ فضْله) (2).

ويقرب منه: أن تـذكر لفظـاً يُتوهّم أنه يحتـاج إلى البيـان فتقصـده مع تفسـيره، كقوله تعـالى: (يَوْمَ يأتِ لا تكَلَّمُ نَفْسٌ إلا بإذْنه فمنهمْ شَـقِيٌّ وسَعِيد، فأما الذين شَقُوا فَفِي النارِ) الآية (3) (وأمّا الذين سُعدوا ففِي الجنة) الآية.

العاشر: التّعديد:

وهو إيقاع الأعداد من الأسـماء المفردة في النظم والنشر على مساق واحد، فإن روعي فيه ازدواج أو تجنيس أو مطابقة أو مقابلة، حسُن جداً، مثاله من النثر قولهم: فلان إليه الحَلّ والعَقْد (4)، والقبول والرَدّ، والأمر والنهي، والإثبات والنفي.

ومن النظم قول المتنبي (5): 3

1- قاله لبيد ت وعمره 157 سنة ديوانه 131 ط بيروت والشعر والشعراء 279/1.

2- القصص 73.

3- هود 107، 108.

4- في حسن التوسل: «وضع في يده زمام الحل والعقد ...» 247 ط العراق.

5- من قصـيدة يعاتب فيها سـيف الدولة لتعرضه له في مجلسه بما لا يحب ومطلع القصـيدة: واحرّ قلباه ممن قلبه شَـبِم *** ومن بجسمي وحالي عنده سقم والشطرة الثانية من البيت: والضرب والطعن والقرطاس والقلم ديوانه 369/3

الخيلُ واللّيلُ والبَيْداءُ تعرُفُني *** والطعْنُ والضّربُ والقرْطاسُ والقَلَم

الحادي عشر: تنسيق الصفات (1):

كقوله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ) (2) الآية، وقوله تعالى: (يا أيها النبيُّ إنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً ومبشراً ونذيراً) (3) الآية، وقوله: (ولا تُطِعْ كلَّ حَلافٍ مَهِين) (4) الآية، والتنسيق في أوائل الخطب كثير.

الثاني عشر: الإبهام.

وهو أن يكون للفظ ظاهر وتأويل، فيُسْتَبقُ إلى فهم السامع الظاهرُ، مع أن المراد هو التأويل، كقوله تعالى (والأرض جميعاً قبضَتُه يوم القيامةِ والسمواتُ مطوِيّاتٌ بيمينه) (5).

الثالث عشر: مراعاة النظير:

وهو جمع الأمور المناسبة المتوازنة، كقول عليّ عليه السلام: الحمدُ لله غيرَ مقنوطٍ من رحمته، ولا مخلوٍّ من نِعمته، ولا مايوسٍ من مغفرته» (6).

الرابع عشر: المدح الموجّه:

وهو أن يمدح بشيء يقتضي المدح بشيء آخر، كقول المتنبي (7): 1.

1- تنسيق الصفات: وهو أن يذكر الشيء بصفات متوالية.

2- الحشر 23. القدوس: البليغ الطهارة المنزه عن العيوب والنقائص.

3- الأحزاب 45.

4- القلم 10.

5- الزمر 67. والغرض منه تصور عظمته وجلاله من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو مجاز.

6- نهج البلاغة 85، مقنوط من القنوط وهو اليأس.

7- ديوانه 277/1.

نهبتَ من الأعمارِ ما لوْ حويْتَهُ *** لهُنِّئت الدنيا بأنّكَ خالدُ

فأوله مدح بالشجاعة، وآخره مدح بعلو الدرجة.

الخامس عشر: المحتمل للضدين: [40 ب]

وهو أن يكون الكلام محتمِلاً للمدح والذم على السواء، كمن قال لرجل أعور (1):

ليت عينيْه سَواء

السادس عشر: تجاهل العارف:

كقوله تعالى: (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (2).

وكقول المتنبي:

أريقُكَ أمْ ماءُ الغمامةِ أمْ خمْرُ (3).

السابع عشر: السؤال والجواب:

كقوله تعالى: (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ... قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) (4).

الثامن عشر: الحذف 6.

1- وصدر البيت: خاط لي عمر و قباء. والبيت لبشار قاله في خياط أعور اسمه عمرو، وهذا النوع سماه الخطيب التوجيه، ديوانه 12.

2- سبأ 24.

3- والشطرة الثانية من البيت: بفيّ برودا وهو في كبدي حجر ديوانه 62 ط بيروت

4- وتمام الآيات: (قال فرعون وما رب العالمين! * قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين * قال لمن حوله ألا تستمعون * قال ربكم ورب آبائكم الأولين) الشعراء 23 - 26.

وهو أن يُتكلّف حذفُ حرفٍ من حروف المعْجم، كما حذف عليٌ عليه السلام الألف في خطبته المسماة بالموقوصة (1).

التاسع عشر: التعجب:

كقوله: فيا خجل المقصِّرين من التوبيخ في مَحْفَل القيامة، ويا حسرةَ الظالمين إذا عايَنُوا أهل السلامة!

العشرون: الإغراق في الصفة:

كقول امرىء القيس:

من القاصرات الطرْف لو دبَّ مُحْوِلٌ *** من الذُّرِّ فوقَ الأتْب منها لأثَّرَا (2)

وقول المتنبّي (3):

كفى بجسمي نحُولاً أنّني رجلٌ *** لَوْلا مُخاطبتي إيّاكَ لـمْ تَرني

الحادي والعشرون: في حسن التعليل.

وهو أن يُـذكر وصـفان: أحدهما علة للآخر، والغرض منهما ذكرهما جميعاً، كقول علي عليه السـلام في ذم الدنيا: «هانت على ربها فخلطَ حلالها بحرامِها، وخيرَها بشرِّها» (4) .

1- الموقصـة في ب، الوقص: كسـر العنق، والواقصـة بمعنى الموقوصـة وفي حـديث علي كرم الله وجهه: إنه قضـى في الواقصة والقامصـة والقارصة بالدية أثلاثاً. اللسان مادة وقص.

2- القاصرات الطرف: العفيفات اللاتي يقصرن أبصار من على أزواجهن. محول: الذي أتى عليه الحول، الإتب: ثوب رقيق. والبيت لأمرىء القيس من قصيدة مطلعها: سما لك شوق بعد ما كان أقصرا *** وحلّت سليمى بطن قوّ فعر عرا ديوانه 68 ط المعارف.

3- ديوانه بشرح الكعبري 4 / 186. والمعنى: إنه قـد بلغ الغايـة في النحول، وكفى أنني رجل لولا كلامي لم يقع النظر علي، وإنما يسـتدل الناس عليّ بصوتي.

4- نهج البلاغة 167.

وكقوله:

فإن غادر الغُدران في صَحْن وَجْنَتي *** فلا غَرْو منه لم يزلْ كان غادراً (1)

واعلم أن وجوه النظم كثيرة، ولما كان كثير منها قلّما يوجد في كلام المطبوعين من المتقدمين، وإنما هي صناعات تكلّفها المحدَثون، لا جرَم ذكرنا ما كان غالباً في القرآن الكريم، والكلماتِ النبويّة، وكلامِ عليّ عليه السلام والمطبوعين على الكلام من سائر الفصحاء، وما أحدثه المتأخرون، وإن كان لا ينْخَرط في سِلْك الأوّلين، إلا أنه يدل على ذكاء مبتدعه وفطنة مخترعه وبالله التوفيق. .

1- وفي أصول البلاغة 92. فإن غارت الغدران في صحن وجنتي *** فلا غرو منه لم يزل كان غادراً ومن الطراز: 140/3 فإن غارت الغدران في صحن وجنتي *** فلا غرو منه لم يزل وابل يهمي وفي النسخة ب لم يزل كان قادراً.

الفصل الثالث

في التقديم والتأخير

وفيه أبحاث:

البحث الأول: في فائدتهما:

إذا قُدّم اللفظ على غيره / [41 أ] فإما أن يكون في النّية مؤخراً، كخبر

المبتدأ إذا قدم عليه، والمفعول على الفاعل.

وإما أن لا يكون على نيّة التأخير ولكن على أن يُنقل الشيءُ من حكم إلى حكم آخر، مثاله: أن تَذكر اسمين كل واحد منهما يصلح أن يكون مبتدأ والآخر خبراً، فتقدم هذا تارة وذاك أخرى، كقولك: زيدً المنطلقُ وعكسه.

قال سيبويه (1): عندما يذكر الفاعل والمفعول: كأنهم يُقدّمون الذي بيانه أهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا معاً يهمّانهم، مثاله، إذا أرادوا الإخبار عن قتْل شخص خارجيّ لا من حيث هو شخص معيّن، قالوا: قتل الخارجيَّ زيدٌ، وإذا صدر عن بعض الفضلاء قبيحة وأرادوا الإخبار عن ذلك، قدموا اسمَه على فعلِه؛ لأن ذكره أوّلاً ثم نسبة الفعل إليه أوْقعُ في النفوس من العكس، فكان عند المخبِر أهمّ (2).

ولنذكر ما يهمّ تقديمه ومالا يهمّ في الاستفهام والخبر والنفي.

1- هو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل وألّف كتابه الذي سماه قرآن النحو، وعقد أبوابه بلفظه ولفظ الخليل المزهر 405/2 السيوطي.

2- قال سيبويه: «كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهمّ لهم، وهم بيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمّانهم الكتاب 14/1، 5 حظ.

البحث الثاني: في التقديم والتأخير في الاستفهام:

المذكور عقيب حرف الاستفهام إما الفعل أو الاسم.

فإن كان الأول كان هو المشكوك في وجوده والمسئول عن معرفته، مثاله قولك: أبَنَى زيدٌ داره؟ فإن السؤال واقع عن وجود البناء، والشك في وجوده.

وإن كان الثاني، فالسؤال واقع عن تعيين الفاعل، كقولك: أأنت بنيتَ هذه الدار؟

ثم الاستفهام قد يجيء للإنكار تارة وللتقرير أخرى، والحال فيهما ما ذكرناه.

أما الإنكار فكقوله تعالى: (أفأصْفَاكُمْ رَبّكُمْ بالبنين؟) (1) (أصطفى البنات على البنين؟) (2) والإنكار هاهنا للفعل، فإذا قُدّم الاسم، كان الإنكار للفاعل، كقولك لمن انتحل شعراً: أأنت قلْتَ هذا الشعر؟

وأما التقرير، فكقوله تعالى: (أخَرَقْتَها لتُغْرقَ أَهْلَها؟) (3) (أقتلتَ نفْساً زكيَّةً بِغَيْرِ نفْسٍ؟) (4) فإن المقصود تقرير الخرْق والقتل عليه تمهيداً لتوجه اللوم إليه.

/[41 ب] وأما تقديم الاسم، فكقولك: أأنت الذي قتلت زيداً؟ فإنه سؤال على سبيل التقرير لتعيينه للقتل.

واعلم أن حال المفعول فيما ذكرنا كحال الفاعل، فإذا قدمت المفعول توجّه الإنكار إلى كونه بمثابة أن يوقع به مثل هذا الفعل، ولذلك .

1- الإسراء 40.

2- الصافات 153.

3- الكهف 71.

4- الكهف 74.

قدم في قوله تعالى: (قل أغيْرَ اللهِ اتَّخذُ وَليّاً)؟ (1) وقوله: (أغير اللهِ تدعُون)؟(2) وقوله: (أبَشَراً منّا واحداً نتّبِعُه)؟ (3).

البحث الثالث: في التقديم والتأخير في حرف النفي:

إذا أدخلته على الفعل، كقولك: ما ضـربتُ زيـداً، كنت قـد نفيت فعلاً لم يثبت أنه فُعل؛ لأن نفيك لضـرب زيد عن نفسك لا يقتضـي وقوع الضرب به ولا نفيه عنه؛ لأن نفي الخاص لا يدل على نفي العام ولا على ثبوته.

وإذا أدخلته على الاسم (4) كقولك: ما أنا ضـربت زيـداً فُهم من ذلك أنه وقع به الضـرب، وكان القصـد نفي كونك أنت الضارب والشاهد بهذه

الفروق هو الذوق السليم.

البحث الرابع: في التقديم والتأخير في الخبر المثبت والمنفي: هو كالتقديم والتأخير في الاستفهام.

فإنك إذا قـدمت الاسم، فقلت: زيـد قد فَعل، اقتضـى أن يكون القصد إلى الفاعل، إما لتخصـيص الفعل به كقولك: أنا كتبتُ في معنى هذا الأمر، تريد أنك اختصصت بذلك دون غيرك.

وإما لأجل أن تقديم ذكر المحدث عنه أكد لإثبات ذلك الفعل له (5)، كقولهم: فلانٌ يُعطي الجزيل، فلا يقصد الحصْر؛ بل أن يتحقق عند السامع أن إعطاء الجزيل دأبُه؛ وبيان ذلك: أنك لما ذكرت الاسم المحدّثَ عنه، والاسم لا يعرى عن العوامل إلا لحديث قد نوى إسناده .

1- الأنعام 40.

2- الأنعام 14.

3- القمر 24.

4- دلائل الإعجاز 91.

5- دلائل الإعجاز 99.

إليه، فإذا قلت: عبد الله، فقد استشعرت بأنك تريد الحديث عنه، فيحصل شوق إلى معرفة ذلك، فإذا أفدته ذلك قبله الذهن / [42 أ] قبول العاشق لمعشوقه، فيكون ذلك أبلغ في التحقيق ونفي الشبهة.

وإنْ قدمت الفعل اقتضى أن يكون القصد إلى ذكر الفعل، كقوله تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) (1) فإن القصد هاهنا إلى ذكر القضاء ونسبته إلى الله تعالى.

ويقرب من ذلك حكم المنفيّ، كقولك: أنت لا تحسن هذا الفعل أو لا تُحسن أنت هذا الفعل (2).

البحث الخامس: في تقديم حرف السلب على العموم وتأخره عنه:

أما الأول: فإذا قدمت حرف السلب على صيغة العموم، فقلت: ما أفعل كلّ،كذا كان سلباً للعموم، وذلك لا يناقضه الإثبات الخاص، حتى لو قلت وأفعل بعضه، لم يكن تناقضاً.

أما إذا قدمْت صيغة العموم على السلب، فقلت: كلّ كذا ما أفعله، فهم منه عمومُ السلب، وحينئذ يناقضه قولك: وأفعل بعضَه في العرف وعلى هذا يظهر الفرق بين الرفع والنصب في قول أبي النجم (3):

قد أصبحتْ أمُّ الخيارِ تدّعِي *** عليّ ذنْباً كلّه لم أصْنَعِ (4)

فإن نصْب «كلّ» يقتضي سلب العموم، ورفعه يقتضي عموم السلب. .

1- الإسراء 23.

2- فإذا قلت: أنت لا تحسن هذا كان أشد لنفي إحسان ذلك من أن تقول لا تحسن هذا، ويكون الكلام في الأول مع من هو أشد إعجاباً بنفسه، وأعرض دعوى في أنه يحسن الدلائل 106.

3- هو الفضل بن قدامة العجلي، انظر ترجمته في الشعر والشعراء 603، الأغاني 73/9.

4- لأن نصب كل يفيد تأخيرها عن الفعل المنفي، أي: لم أصنع كلّه. بخلاف الرفع فلا يفيد إلا التقديم على الفعل المنفي، أي: كلّه لم أصنع.

البحث السادس: استيفاء أقسام التقديم والتأخير:

واعلم أنه قد يختلف حال الكلام في التقديم والتأخير اختلافاً كثيراً، وقد يدق الفرقّ بين تقديم الكلمة وتأخيرها، كقوله تعالى: (وجعلوا لله شركاء الجنّ) (1) فبتقديم شركاء يُفهم أنه ما كان ينبغي أن يكون له شريك لا من الجن ولا من غيرهم والذم إنما يتوجه إليهم؛ لإثباتهم شركاء.

أما لو قُدّم الجن لم يُفهم إلّا أنهم عبدوا الجن، وأما إنكار المعبود الثاني فغير مفهوم منه، ويكون الذم إنما توجه عليهم لعبادة الجن دون غيرهم.

فينبغي أن تلمح الفروق في تقديم بعضِ الكلام على بعض وتأخيره. ولنذكر مواضع حسن التقديم والتأخير.

أما التقديم ففي مواضع عشرة (2):

الأول: أن تكون الحاجة إلى ذكره أتمّ والعلم به أهمّ كقوله تعالى: (وجعلوا لله شركاء الجنَّ) فإن تقديم الشركاء أولى؛ لأجل أن المقصود التوبيخ على جعل مطلق الشريك، بخلاف ما لو أخّر.

الثاني: أن يكون التأخير أليق / [42 ب] باتصال الكلام، كقوله تعالى: (وتغشّى وجوهَهُم النَّارُ) (3) فهذا أليق بما قبله وبما بعده من تأخير المفعول.

الثالث: أن يكون الأولُ أعرفَ من الثاني، كتقديم المبتدأ على .

1- الأنعام 10

2- في نهاية الإيجاز نقلاً عن علي بن عيسى أن التقديم والتأخير يحسن من وجوه ستة، ص 127، وفي حسن التوسل إن التقديم يحسن في مواضع وذكر سنة مواضع ص 156.

3- إبراهيم 50.

الخبر، والموصوف على الصفة، فينبغي أن تبتدىء في قولك: «زيد قائم» بزيد؛ لتتوصّلَ النفسُ بذكر ما يُعرف إلى الإخبار عنه بما لا يُعرف، فتقع الفائدة حينئذ على حدّها وفي مرتبتها.

قال الإمام: ولا ينتقض هذا بتقديم الفعل؛ لأن الفعل لفظ دال على ثبوت معنى الموضوع معين في زمان معين من الثلاثة والإسناد كالجزء الذاتي لمفهوم الفعل والإسناد أمر إضافي والعقل إذا حصل له الشعور بالإضافة، فلو توقف هناك ولم ينتقل إلى ما إليه الإسناد، كانت الإضافة مستقلة بالمفهومية وهو محال. وإن انتقل إلى ما أسند إليه الفعل، فذلك الشيء هو الفاعل، فإذن من ضرورة الإسناد فهم المسند إليه، وإذا وجب (1) هذا الترتيب في الذهن وجب أيضاً في الألفاظ لمطابقة ما في الذهن لما في الخارج» (2). وأقول: قد سبق أن الفعل إذا قدم في الإخْبار، كان لأجل أنّ ذكره أهم؛ لأن المقصود من ذكر الجملة الفعلية لا ذات الفعل؛ بل ذكر الحدث المخصوص في الزمان المعيّن، ونسبته إلى الفاعل، وإذا كان كذلك، جاز أن يقال: إن تقديم الأعرف يكون واجباً، إذا (3) كانت الكلمتان متساويتين في الاهتمام بذكرهما.

وأما إذا كان ذكر أحدهما أهمّ كان تقديمه أولى.

الرابع: تقديم الحروف التي لها صدر الكلام كحروف الاستفهام والنفي والنهي.

قال الإمام: «تحقيقه أن الاستفهام طلب فهم الشيء، وهو حالة إضافيّة إذا أدركها العقل انتقل منها إلى معروضها، وإذا أوجب أن ينتقل منها إلى معروضها، وجب أن يكون في اللفظ كذلك، فيقدم ما يدلّ على .

1- أوجب في النسخة ب.

2- نهاية الإيجاز ص 128، والإمام هو فخر الدين الرازي.

3- وإذا في ب.

الإضافة، فيلحق بما يدل على معروضها (1).

وأقول: يمكن أيضاً أن يكون تقديم [43 أ] هذه الحروف من باب ما كان أهم؛ وذلك أن الاستفهام والنفي والنهي معان معقولة، وهي المطلوبة من الجملة الداخلة عليها بالذات، فكانت أهم فكانت أولى بتقديم الذكر.

وكذلك الأدوات الدالة على أحوال النسب بين أجزاء الكلام، كإنّ وأخواتها وكان وأخواتها وعسى وبابها ونعم وبئس، فإنها تقدّم؛ لأن معانيها هي المقصودة بالقصد الأول من الجمل الداخلة عليها.

الخامس: تقديم الكلّيّ على جزئياته؛ لأن الكلي أعرف عند العقل (2)، وتقديم الأعرف أوْلى.

السادس: تقديم الدليل على المدلول.

السابع: تقديم الناقص على تمامه؛ كتقديم الموصول على الصلة (3)، والمضاف على المضاف إليه؛ لأن تمام الشيء لا يتقدم عليه.

الثامن: تقديم الأسماء المتبوعة على توابعها؛ لأن التابع لا يتقدم متبوعه.

التاسع: تقديم المظهر على ضميره؛ لأن الحاجة إلى الضمير إنما هو لإلحاق أمر من الأمور بذي الضمير، وذلك يتأخر عن تحقّق ذي الضمير في .

1- نهاية الإيجاز بتصرف 128، 29 ظ.

2- ولذلك كان الوجود أعرف الأمور عند العقل لأنه أعمّها.

3- قال الفخر الرازي: ومما يتعين للتأخير: ص 129. تمام الاسم كالصلة والمضاف إليه. التوابع. تقديم المضمر على المظهر في بعض الأحوال.

العقل، فيجب كذلك في الوضع، كقولك: ضرب زيدٌ غلامَه وقضى زيدٌ حاجته.

العاشر: تقديم الفاعل على المفعولات، وما في حكمها؛ لأنها أمور تلحق الفاعل بالنسبة إلى فعله، فكانت متأخرة عنه.

وإذا علمت من ذلك ما يجب تقديمه، علمت من ذلك ما يجب تأخيره.

ص: 149

الفصل الرابع

في الفصل والوصل

حاصل معرفة الفصْل والوصْل يعود إلى معرفة مواضع العطف والاستئناف والتهدّي إلى كيفيّة إيقاع حروف العطف و مواقعها.

وهو باب عظيم عند البلغاء، ولذلك جعله بعضهم حدّ البلاغة فقال (1): - إذا سئل عن معناها - : إنها معرفة الفصل والوصل، وما ذاك (2) إلا لغموضه وكون معرفته مؤدية للمعاني كما هي، وذلك هو المقصود من علم البلاغة ولنحقّق الكلام فيه في بحثين:

البحث الأول: فائدة العطف التشـريك في الحكم بين المعطوف والمعطوف عليه، فمن أدواته ما لا يفيد (3) إلا هذا القدر؛ كالواو. ومنها ما يدل على زيادة عليه؛ [436 ب] كالفاء وثُم، فإنهما يـدلّان على التعقيب، وإن كانت ثم تختص بالتراخي، ومثل أوْ فإنها تدل على الترديد. فلنبحث عن مطلق الاشتراك فنقول:

العطف إما أن يكون في المفردات وهو يقتضي التشريك في الإعراب.

وإما في الجمل، وحينئذ فالجملة إن كانت في قوة المفرد، كقولك: مررت برجل خَلْقه حسن وخُلقه قبيح، كانت الشـركة في الأعراب أيضـاً حاصلة؛ لكون الجملتين وصفين للنكرة.

1- انظر البيان والتبيين 20/1.

2- ما ذاك من ب.

3- فمن أدواته ما يفيد إلا هذا القدر في ب.

وإن لم يكن (1) فإما أن يكون إحدى الجملتين متعلقة لذاتها بالأخرى، أو لا يكون. فإن لم يكن، فإما أن يكون بينهما مناسبة، أولا يكون، فهذه أقسام ثلاثة:

أما الأول: فأن يكون إحدى الجملتين تأكيداً للأخرى، كقوله تعالى: (ألم ذلكَ الكتابُ لا ريبَ فيه) (2) فقوله: «لا ريب» تأكيد للأول، ولا يجوز إدخال العاطف عليه؛ لأن التأكيد يتعلق بالمؤكَّد، فيستغني عن لفظ يدل على التعلّق.

الثاني: أن لا يكون بينهما مناسبة أصلاً، وهاهنا أيضاً يجب ترك العاطف؛ لأن العطف يستلزم المناسبة، فيلزم من عدمها عدمه (3).

الثالث: أن تصدق المناسبة بينهما مع عدم التعلق الذاتي، فهاهنا يجب ذكر العاطف.

ثم إما أن يكون المخبر عنه في الجملتين شيئين أو شيئاً واحداً:

أما الأول: فالمناسبة إما بين المخبر بهما فقط (4)، أو بين المخبر عنهما فقط (5)، أو بينهما معاً (6).

والأول والثاني يختلّ معهما النظم؛ لأنك إذا قلت: زيدٌ طويل، والخليفة قصير، مع عدم تعلّق حديث زيد بحديث الخليفة اختلّ، وكذلك .

1- أي: وإن لم يكن العطف في الجمل في قوة المفرد.

2- البقرة 1، 2.

3- استشـهد علماء البلاغـة في هـذا الموضع بقول أبي تمام: لا والذي هو عالم أن النوى *** صبِرُ وأن أبا الحسـين كريم ديوانه 29/3 إذ لا مناسبة بين مرارة النوى وكرم أبي الحسين. وكان تقول: زار محمد صديقه، النجوم لا معة.

4- مثل زيد طويل والخليفة قصير عندما لا يكون لحديث زيد تعلق بحديث الخليفة.

5- مثل زيد طويل وعمرو شاعر؛ لأنه لا مناسبة بين طول القامة وبين الشعر.

6- مثل زيد كاتب وعمر ناثر أو زيد طويل وعمر و قصير.

لو قلت: زيد طويل وعمرو شاعر اختلّ أيضاً؛ لعدم المناسبة بين طول القامة والشعر، فتعيّن أن الواجب حصول المناسبتين.

فأما إن كان المخبَر عنه فيهما شيئاً واحداً، كقولك: فلان يضرّ وينفع، ويأمر وينَهى، ونحوه، تعيّن دخول العاطف؛ لأنك إذا قلت هو يضرّ وينفع، أفاد العاطف أنه هو / [246 أ] الجامع (1) لهما، بخلاف ما لو حذفته.

البحث الثاني: في عطف الجُمَل على الجمل:

إنه كما يجوز أن يُعطف جملةً على جملة، كذلك يجوز أن يُعطف مجموعُ جمل على مجموع جمل أخر.

وبيان ذلك ظاهر في صورة الشرط والجزاء، فإنّه قد يُجعل مجموع جملتين شرطاً، ومجموعُ أخريين جزاءً، كقوله تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرسولَ من بعدِ ما تبيّن له الهُدَى ويتّبع غيرَ سبيلِ المؤمنين نُولِّه ما تولّى ونُصْلِه جهنّم) (2) فإذا ظهر ذلك في الشرط والجزاء، ظهر مثله في العطف، كقوله تعالى: (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَلَٰكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) (3) الآية. فقوله: (وما كنت ثاوياً عطف على قوله: «وما كنت من الشاهدين» مع ما يتعلّق بها إذ لو عطفتها على ما يليها لدخلت في حكم لكن، فصار التقدير: لكنك ما كنت ثاوياً، وهو باطل، ولو عطفتها على وما كنت من الشاهدين دون «ولكنا أنشأنا»، لكان في ذلك إزالة لكن عن موضعها وهو غير جائز. .

1- الجاعل في النسخة ب.

2- النساء 115.

3- القصص 45. وتمام الآية: (وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين).

الفصل الخامس

في الحذف والإضمار

وفيه بحثان:

البحث الأول: في حذف المفعول، والمبتدأ والخبر.

أمـا الأول: فلأن الفعل المتعـدّي قـد يكون المقصود من ذكره مجرد نسـبته إلى الفاعل، وحينئـذ يكون حاله كحال غير المتعـدّي في عـدم الحاجة إلى المفعول والتعرض له كقولك: فلان يحِلّ ويَعْقد، ويأمر وينَهي، ويضرّ وينفع وقوله تعالى: (هل يَسْتَوي الذين يعلَمون والذين لا يعلمون) (1) وقد يلاحظ مع ذلك في ذكره النسبة إلى المفعول، إلا أن المفعول يحذف لأحد غرضين:

أحدهما: أن يكون المقصود ذكره لكن يحذف لإيهام التعظيم والتفخيم ونحو ذلك (2) كقول البحتري:

شَجْوُ حسّاده وغيظُ عِداهُ *** أن يَرى مُبْصِرٌ ويَسْمَعَ واعِ (3)

فإن المرئيّ والمسموع لا بدّ أن يكون شيئاً معيّناً فحذفه، وأوهم بذلك أن كلّ ما يُرى منه ويُسمع عظيم، وإنه فضيلة / [44 ب] تشجو حسّاده وتَغيظ عِداه ومن هاهنا تحصل البلاغة، ولو أبرز المفعول المعيّن لما حصل ذلك التعظيم الوهميّ؛ لتخصيص الذهن للتعظيم بالمفعول

1- الزمر آية 9.

2- والتفخيم ونحو ذلك ساقطة من النسخة ب.

3- البيت قاله البحتري في مـدح المعتز بالله والتعريض بالمسـتعين بالله بن المعتصم من قصـيدة مطلعها: لك عهد لدى غير مضـيع *** بات شوقي طوعاً له ونزاعي والشجو: الحزن وعداه: أعداؤه. ديوانه 2 / 1244.

المذكور دون ما عداه.

وقد يكون ذكر المفعول أولى وأبلغ؛ وذلك إذا كان أمراً عظيماً بديعاً، كقوله:

ولو شئتُ أنْ أبكي دماً لبكيتُه (1)

لمّا كان بكاء الدم أمر عجيباً، كان ذكره أولى.

الثاني: أن يحذف للعلم به، كقول عليّ عليه السلام: «إنْ أشْ نَقَ لها خَرمَ» أي: أنفها، «وإن أسلسَ لها» أي: قيادها «تقحّم» (2)، أي: المهالك.

الثالث: أن يُضمر على شريطة التفسير، كقوله: أكرمني وأكرمتُ عبد الله (3). وأما المبتدأ والخبر، فقد ورد حذف كلّ واحد منهما تارة.

أما المبتدأ، فكقوله تعالى: (سورةٌ أنزلناها) (4).

وأما الخبر، فكقوله تعالى: (طاعةٌ وقولٌ معروف) (5) وأمثاله كثير.

وقد حكم بحسن ذلك البلغاء، قال عبد القاهر (6) - رحمه الله - : [ما .

1- والشطرة الثانية من البيت: عليه ولكن ساحة الصبر أوسع. والبيت لأبي يعقوب اسحق بن حسان الخريمي شاعر عباسي من الموالي قاله في رثاء ابن الهيذام عامر بن عماره من قصيدة مطلعها: قضى وطرا منك الحبيب المودع *** وحل الذي لا يستطاع فيدفع ديوان المعاني، 175/2، وديوان الخريمي 43، وترجمته في الشعر والشعراء 853/2.

2- من خطبته المعروفة بالشقشقية، تقحّم: القى بنفسه إلى التهلكة. اشنق البعير: كفه بزمامه خرم: قطع أسلس: أرخى. نهج البلاغة 48.

3- وهو ما يعرف عند النحويين بالتنازع، أي يتنازع عاملان معمولاً واحداً.

4- سورة النور آية 1. أي: هذه سورة أنزلناها.

5- سورة محمد آية 21. أي: طاعة وقول معروف أولى لكم من هذه الأيمان الكاذبة، والغرض البلاغي من الحذف الاختصار والاحتراز عن العبث واختبار مقدار تنبه السامع.

6- دلائل الإعجاز 117.

من اسم حُذف في الحال التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وجدتَه أحسنَ مِن ذِكره]، وحسنها في المواضع التي يفهم عنها البلاغة.

البحث الثاني: في الإيجاز:

وحـدّه: التعبير عن الغرض بأقـلّ مـا يمكن من الحروف من غير إخلاـل، مثاله قوله تعالى: (ولكمْ في القِصاصِ حَياةٌ) (1). وقد كان المثلُ يُضرب بقولهم: «القتْل أنْفَى للقتْل» إلى أن وردت (2) هذه الآية.

والترجيح للآية ظاهر من وجهين: (3):

أحدهما: أنه أوجز، فإن حروفها عشرة، وحروف المثل أربعة عشر.

الثـاني: إن القتـل قصاصـاً لاـ ينفي القتـل ظلمـاً؛ من حيث إنه قتـل؛ بل من حيث إنه قصاص، وهـذه الجهـة غير معتبرة في كلامهم، ولها ترجيحات

أُخَر لا نطوّل بذكرها ...

ومن ذلك قول علي عليه السلام: قيمة كل امرىء ما يحسنه (4). وقوله: «المرء عدوّ لما جهله» (5)، وقوله: «الجزعُ أتْعب من الصبر» (6)،

وقوله: «تخففوا تلْحقُوا» (7). .

1- البقرة 179.

2- أوردت في النسخة ب.

3- انظر في المقارنة بين الآية الكريمة وبين قول المعرب القتل أنفى للقتل كتاب البلاغة للمبرد ص 67، والنكت للرماني ص 71.

4- من حكم أمير المؤمنين عليه السلام، قال الرضي: وهي الكلمة التي لا توزن بها حكمة، ولا تقرن إليها كلمة. نهج البلاغة 482.

5- في نهج البلاغة ص 501 وقال عليه السلام: «الناس أعداء ما جهلوا».

6- في نهج البلاغة ص 502 وقال عليه السلام: من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع.

7- نهج البلاغة ص 62. أي: من يريد اللحاق بأصـحاب الأعمال الصالحة، عليه أن يتخفف من أثقال الشـهوات وتحصيل اللذات فيلحق بالذين فازوا بعقبى الدار.

الفصل (السادس)

(1)

في أحكام إنّ وإنّما وما في حكمهما

وفيه أبحاث:

البحث الأول: في فوائد /[45 أ] إن، وهي أربع:

الأولى: إنها قد تربط إحدى الجملتين بالأخرى، فيحصل النظم كقوله تعالى: (يا أيّها الناسُ إنّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ) (2) وقوله تعالى: (اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) (3). وقول علي عليه السلام: «أيها الناس إنه لا يَسَّ تغني الرجلُ - وإن كان ذا مالٍ - عن عترته (4)، وقوله: «عباد الله إنّ مِن أحب عباد الله إليه عبْداً أعانه اللهُ على نفسِه». فلو أسقطت إن في هذه المواضع لزالت المناسبة التي كانت بين الجملتين معها.

واعلم أنك متى أسقطْت إنّ من الجملة الثانية، فإنْ كانت إنّما ذكرت لتعليل الحكم عن الجملة الأولى، فلا بد أن يُعوّض عنها إلغاء، كقوله:

(إنّ زلزلةَ الساعةِ شيءٌ عظيم) (5).

[الفائدة] (6) الثانية: إنك تجد لدخولها على ضمير الشأن المعقَّب بالجملة الشرطية وغيرها من الحسن والمزية ما لم تجده عند عدمها، كقوله

1- الفصل الثالث من أ، ب وهو خطأ ظاهر.

2- سورة فاطر آية 5.

3- سورة الحج آية 1.

4- في ب عن عشيرته نهج البلاغة 65.

5- ومعني ذلك أن تقول في غير القرآن. فزلزلة الساعة شيء عظيم.

6- الزيادة من النسخة ب.

تعالى: (إنّه مَنْ يَتَّقِ ويَصْبِرْ) (1) وقول علي عليه السلام: «أيّها الناس إنه

لا يستغني الرجل» كما ذكرنا.

[الفائدة] (2) الثالثة: إنها تهييء النكرة لأنه يحدّث عنها، كقوله عليه السلام: إن من أحب عباد الله إلى الله عبداً كما مر، ولو أسقطتها لسقط الحسن.

وقد يسقط المعنى أصلاً، كما لو أسقطتها من قول الشاعر (3):

إنّ شِواءً ونشْوةً *** وخببَ البازلِ الأمونِ

الفائدة الرابعة: إذا دخلت على الجملة، فقد تُغني عن الخبر، كقولك: إنّ مالاً وإنّ ولداً، على تقدير: إنّ لهم مالاً، وكقول الأعشى (4):

إنّ محلاً وإنَّ مرتَحَلاً *** وإن في السفر إذْ مَضَوْا مهلا

والحق أنها لتأكيد النسبة.

وإذا كان الخبر تامّاً ليس للمخاطَب ظنّ أو وهْم في خلافه، فلا حاجة إلى «إنّ» هناك، ولذلك تزداد حسناً إذا كان الخبر أمراً يبعد مثله.

وقد تُجمع مع اللام للتأكيد في خبرها، إذا كانت في جواب المنْكِر؛ لشدة الحاجة هناك إلى التأكيد.

البحث الثاني: في فائدة إنّما:

/[456 ب] اتفق جمهور النحاة على أنها للحصْر، وهو المفهوم منها، مثاله قول علي عليه السلام: وإنما سُمّيت الشبهةُ شُبهةً لأنها تُشْبه 3.

1- سورة يوسف 90.

2- سقطت هذه الكلمة من أ، ب.

3- قائل البيت سُلَمِيّ بن ربيعة بن زبّان. الحماسة لأبي تمام 568/1 ط السعودية. البازل: الناقة التي استكملت تسع سنين فتناهت قوتها، والأمون: الموثقة الخلق.

4- مطلع قصيدة للأعشى بعنوان: الشعر يستنزل الكريم، ديوانه 233.

الحقّ» (1)، وكقوله عليه السلام: «إنّا لمْ نُحكّم الرجالَ، وإنّما حكّمْنا القرآنَ، وهذا القرآن إنّما هو خطّهُ مستورٌ بين الدفّتيْن لا ينطق بلسان ... وإنما ينطق عنه الرجال» (2) ومراده بالحصر في هذه الصور ظاهر.

وقال بعضهم: إنها ليست للحصر محتجّاً بقوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) (3) وبقوله: (إنّما المؤمنون إخوةٌ) (4) مع أن الإجماع على أن مَنْ لم يُوجل من ذكر الله قد يكون مؤمناً، وإن الأخوة غير مُنْحَصرةٍ في المؤمنين.

والجواب: إن منشأ الشك هو الغفلة عن ضابط الحصر:

وضابطه: إن الجزء الأخير من الكلام الوارد عقيب إنما هو المخصوص بحصر الحكم فيه، سواء كان هو الموضوع كقولك: إنما قام زيد، فإن المقصود حصر القيام في زيد، أو كان هو المحمول، كقوله تعالى: (وإنما أنا بَشَر مثْلُكم) (5) فإن المقصود حصر النبي في البشرية ونفي كونه غير بشر، وإذا تبين ذلك، ظهر أنها في الصورتين المذكورتين تفيد الحصر:

أما في الأولى؛ فلأنه يجوز أن يكون المقصود من الإيمان هناك أقوى مراتبه، وهو الإخلاص، وحينئذ يتبيّن أن المؤمنين منحصرون في الوجلين من ذكر الله.

وأما في الثانية؛ فلأن المؤمنين منحصرون في صفة الأخوّة في الدين، كما هو المقصود من الأخوة هاهنا. .

1- نهج البلاغة 81.

2- من خطبته في التحكيم وذلك بعد سماعه الأمر الحكيمن. نهج البلاغة 182. ودفّتا المصحف: جانباه اللذان يكنفانه.

3- الأنفال آية 2.

4- سورة الحجرات آية 10.

5- سورة فصلت آية 6.

واعلم أنه قد يستعمل في مفهومها عبارتان أخريان:

إحداهما: قولك: جاءني زيدٌ لا عمروٌ وهو أضعف منها؛ لأنه يفيد حصر المجيء في زيد بالنسبة إلى من أخرجه حرف النفي.

الثاني: ما جاءني إلّا زيدٌ، ومفهومها مفهوم إنما في الحصر والتخصيص، كقوله تعالى: (ما قلتُ لهم إلّا ما أمرْتني به) (1).

وفرّق الإمام (2) بينهما فقال: [إن دلالة إنما على نفي غير المذكور بالالتزام، ودلالة ما دالاً على نفي / [46 أ] الغير بالمطابقة، فكانت أقوى في ذلك من دلالة إنما، ولذلك يصح أن يقال: إنما زيد قائم لا قاعد، ولا يصبح أن يقال: ما زيد إلا قائم لا قاعد].

وأقول: إن صحّ ما ادّعاه من عدم الصحة في الصورة الثانية، كان للمانع أن يمنع تعليل ذلك المنع بكوْن ما وإلّا دالّة على نفي الغير بالمطابقة، ويصرف ذلك القبح إلى قرب «لا» المقتضية لنفي الغير إلى «إلّا» المقتضية للحصْر، وبُعدها عن «إنما»، فكان التأكيد عقيب إنما حسناً؛ لطول الزمان بينهما، على أنّا لا نسلّم عدم الصحة هاهنا؛ بل قد يورد للتأكيد، وإن كان عقيب «إنما» أحسن.

وقد يقام «غير» مقام إلا فيفيد الحصر، وقد لا يكون كذلك، كقولك: ما جاءني غيرُ زيد تريد نفي مجيء الغير فقط، دون إثبات زيد.

البحث الثالث: إنّ «ما وإلا» إذا دخلت على الجملة، كان المقصود بالحصر فيه هو ما يلي إلا بعدها سواء كان مرفوعاً كقولك: ما ضَرب زيداً .

1- المائدة 117.

2- قال الإمام فخر الدين الرازي إن «إنما» تفيد النفي عن طريق اللزم. وما والا تفيد النفي بأصل الوضع، فلا يصح أن يقال: ما زيد إلا قائم لا قاعد، ويصح أن يقال: إنما زيد قائم لا قاعد. نهاية الإيجاز ص 154، 155.

إلا عمرّو، أو منصوباً كقولك: ما ضرب زيدٌ إلا عمراً، وهكذا إن كان المنصوب حالاً أو ظرفاً.

فإن تأخر مثلاً الفاعل والمفعول معاً عن إلا فالمقصود هو ما يليها أيضاً، كقولك: ما ضرب إلا زيدٌ عمراً.

وكذلك إذا قدمت المفعول على الفاعل فهو المقصود (1).

وهكذا حكم المفعولين، كقولك: لم اكسُ إلّا زيداً جُبةٌ، فالذي يلي إلا هو المقصود بالتخصيص.

وهكذا المبتدأ والخبر أيهما أخرته عن إلا فهو المراد بالتخصيص، كقولك: ما زيدٌ إلّا قائم، فالمراد تخصيص هيئة القيام دون سائر الأحوال، أو ما القائم إلّا زيد، فهو تخصيص لزيد دون غيره.

وأما تحقيق ذلك في إنما:

فأما في الفاعل والمفعول فأيهما أخّرتَه عن صاحبه فهو المقصود أيضاً كقولك: إنما ضرب عمراً زيدٌ / [466 ب]، فالمقصود تخصيص زيد، ومنه قوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (2). ولو قدم العلماء، لكان المقصود تخصيص خشية الله (3).

وكذا الحال في المبتدأ؛ إن تركته على حاله فالاختصاص للخبر (4)، كقوله تعالى: (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ) (5).

وإن أخّرته عن الخبر صار التخصيص له (6)، كقوله تعالى: (فَإِنَّمَا.

1- مثل: ما ضرب إلا زيداً عمرو.

2- سورة فاطر آية 28.

3- أي حصر العلماء في خشية الله.

4- أي حصر المبتدأ في الخبر.

5- سورة التوبة آية 93.

6- أي الاختصاص للمبتدأ.

عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) (1) فإن التخصـيصَ في الأول للخبر، وفي الثاني للمبتـدأ هذا بحسب المتبادر إلى المفهوم من ذوق العربية، وبالله التوفيق.

1- سورة الرعد آية 40.

القاعدة الثانية

في الخطابة

وفيه أبحاث وخاتمة:

البحث الأول: في حقيقة الخطابة وفائدتها:

الخطابة صناعة يتكلّف فيها الإقناع الممكن للجمهور فيما يراد أن يصدّقوا به.

وقولنا يتكلّف فيها الإقناع: أردنا أنه يتعاطى فيها هذا الفعل المخصوص بأبلغ قصد ليتمّ.

والإقناع الممكن: هو الفعل الـذي يُتكلّف، وأردنا به ما يمكن من الإقناع والخطابـة في الإقناع أنجـح من غيرها. وفائدتها في تقرير المصالح الجزئية.

وقـد تفيـد أيضاً تقرير القوانين الكلّية لتلك المصالح؛ كالعقائد الإلهيّة والقوانين العملية، وهي عظيمة النفع جداً؛ لأن الأحكام الصادقة مما هو عـدل وحسن أتم نفعاً، وأعود على الناس فائدة، وأعم جدوى من أضدادها؛ لأن نوع الإنسان إنما هو مسـتبقًى بالتشارك، والتشارك يُحوج إلى التعامـل والتحـاور وهما مُحوجان إلى أحكام صادقـة في الأمور العمليـة؛ ليثق كلُّ بصاحبه، وينتظم شـمل المصـلحة بينهم وبأضـداد الأحكام الصادقـة يتشـتّت فيحتاج أن تكون هـذه الأحكام مقرّرةً في النفوس، متمكّنـة من العقائـد. والخطابـة هي [المتكفّلـة] (1) بحمل الجمهور على التصديق بها،

1- المتكلفة في النسخة أ.

فإن البرهان (1) والجدل (2) وإن قُصد بهما التصديق / [47 أ]، إلا أن الجمهور قاصرون عن درجة البرهان والجدل وإن كان صناعة ضعيفة بالقياس إلى البرهان، فهو أيضاً يسير الفائدة للعامة، صعب بالقياس إلى فطنهم وهم عاجزون عن قبوله والمخاطبة التي يجب أن يتلقاها العاميّ بعامّيته ينبغي أن تكون من الجنس الذي لا يرتفع عن مقامه ارتفاعاً بعيداً، بل تكون بألفاظ عذبة غير ركيكة عامّية ولا متينة ينبو فهمه عن [قبولها] (3)، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وقد أشار التنزيل الإلهيّ إلى هذه الصناعة في قوله: (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (4) فسبيل ربك: هو الديانة الحقيقيّة والحكمة: هي البرهان، وذلك لمن يحتمله، والموعظة الحسنة: هي الخطابة وهي لمن قصر عن درجة البرهان وجادلهم بالتي هي أحسن أي بالمشورات المحمودة.

وأخّر الجدلُ عن الصناعتين (5)؛ لأنهما مصروفتان إلى الفائدة، والمجادلة مصروفة إلى المقاومة. والغرض الأول من المخاطبة: إنما هو الإفادة، والغرض الثاني: هو مجاهدة من ينتصب للمعاندة. فإذن الخطابة .

1- البرهان الحجة الفاصلة البيّنة، قال تعالى: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) البقرة: 111 يقال: برهن يبرهن برهنة: إذا جاء بحجة قاطعة للدد الخصم فهو مبرهن. اللسان مادة برهن.

2- الجدل: منهج منطقي بدأ بطريقة سقراط في السؤال والجواب والحلّ، ثم طوره أفلاطون فجعله منهجاً يردّ به الكثير والمتناقض إلى مدركات عقلية متسقة مترابطة، وأقام هيجل فلسفته على منطق الجدل منتقلاً من وضع إلى نقيضه، ثم منهما إلى التأليف بينهما، أي من فكرة ونقيضها إلى فكرة أعلى منها في مراتب الحق، وزعم أن هذه الحركة المنطقية هي نفسها طريقة التاريخ في سيره. الموسوعة العربية الميسرة 616 دار القلم.

3- عن قبوله في النسخة أ.

4- سورة النحل آية 125.

5- المراد بالصناعتين. صناعة البرهان، وصناعة الخطابة.

صناعة وافرة النفع في مصالح المدن وبها تُدبّر (1) العامة وتَنْتظم أحوالُهم.

البحث الثاني: في موضع الخطابة وأجزائها:

وليس للخطابة نظرٌ في موضوع معيّن؛ وذلك لأن العامّة لا يهتدون إلى تمييز بعض الموضوعات عن بعض؛ إذ كان تخصيص الكلام في موضوع معيّن مبني على مبادىء تليق بذلك الموضوع وحده لا يعرفها العاميّ.

ونظر الخطابة بالذات في الجزئيات من أيّ مقولة اتفقت، ولا يخص جزئياً دون آخر؛ بل يقصد بها الإقناع من أي جزئيّ اتفق، على أن لها أن تنظر بالغرض / [47 ب] في الأمور الكلّية من الإلهيات، والطبيعيات، والخلقيات والسياسات.

والخطابة لها أصل ومتممات تعين عليها:

أمّا الأصل: فهو القول الذي يُظنّ أنه لذاته يفيد إقناعاً.

وأما المتممات: فجملتها ترجع إلى حرف واحد؛ وهو أنه لما كان الغرض من الخطابة ليس إلا الإقناع كان كل مقنع ناسب الغرض منها، فهو من متمماتها والأمور المقنعة إما قولية يراد بها صحة قول آخر؛ كالقول الذي يقصد به الخطيب تقرير فضيلته عند السامعين أو القول الذي يروم به إثبات أن الشهادة مقنعة، أو كون المعجز حجّة.

وإما شهادة وإما حيلة:

أما الشهادة فإما قولية؛ وإما حاليّة.

أما القولية فكالاستشهاد بقول نبيّ أو إمام أو حكيم، أو شاعر، وتسمّى شهادة مأثورة. أو الاستشهاد بأقوال قوم يحضرون فيصدّقون قول

1- تدمر في النسخة ب.

القائل: إن الأمر كان، أو الاستشهاد بشهادة الحاكم، أو السامعين بأن القول مقنع، وتسمى شهادة محصورة.

أما الحاليّة؛ فإما أن تُدرك بالعقل أو بالحسّ.

والأولى فضيلة القائل واشتهاره بالصدق والتمييز.

وأما الحال التي تُدرك بالحسّ؛ فإما بواسطة القول أو بدونه.

أما الأوّل فكالاستشهاد بالمعجزة عقيب التحدّي على صدق قول المدعي، وكشهادة حال الحالف عقيب يمينه على قبول قوله، وكشهادة حال المتعاهدَيْن على قبول أقوالهما بعد وضع العهود التي هي أقوال مدوّنة مكتوبة.

وأما الحال المدركة بالحسّ من غير القول:

فإما أحوال تتبع انفعالاً نفسيّاً كشهادة سَحْنَة (1) وجه المخبَر ببشارة على قبول قوله، أو شهادة سَحْنة المذعور الخائف المخبر عن نزول عذاب، أو حلول آفة على قبول قوله.

أو تكون [طارئة] (2) من خارج كشهادة جراح القائل أو غيره / [48 أ] على قدوم العدوّ للحرب.

وأما الحيلة فتفيد الإعداد:

والإعداد إما للقائل بحيث يكون مقبول القول، أو للقوْل بحيث يصير أنجع وأنفع، أو للسامع بحيث يكون أقبل.

وأما القائل، فإن يتكلّف الاستشهاد على فضيلة نفسه والدلالة عليها، أو يتهيأ بهيئة. ويتربّى بصورة تجعل مثله مقبول القول. .

1- السَّحنة: لين البشرة و النَعمة، وقيل: الهيئة واللون والحال اللسان مادة سحن.
2- طائرة من أ.

وأمـا القول، فأن يحسن فيه تصـرّفه، فتارة يرفع به صوته وتارة يخفضه، وتارة يُثقله، وتارة يُليتُه ويَحْزُنُه (1)، ويلاحِظ في ذلك حال من يقصد إسماعهم كما سيأتي في (الجزئيات) (2).

وأما السامعون، فإما مخاطَب بالقصد الأول، وإما حاكم يحكم بين المتخاطبين، وإما نظّارة.

أما المخاطَب فيُحتاج أن يُستعطف ويُستمال؛ ليجْنح إلى تصديق القائل وكذلك الحاكم.

وأما الناظر، فيكفي فيه أن يُهيّىء بالحيلة بهيئة مذعِن مصدِّق، وإن لم يقع له التصديق.

والتأثر الحاصل للمستمع؛ إما انفعال كالرقّة والرحمة في الاستعطاف، والقساوة والغضب في الإغراء.

وإما إيهام خُلق؛ كإيهام الشجاعة أو السخاوة أو غيرهما، فعاد الأمر إلى أن الأقوال الخطابية التي يُقصد بها التصديق ثلاثة أصناف:

أصل: ويسمى عموداً، وهو القول الذي يُراد به التصديقُ نفسه.

والثاني: النُصرة، وهي القول الذي يُنصر به ماله تصديق، كالشهادة.

والثالث: الحيلة، وهي قول يُفاد به انفعال شيء، أو إيهام خلق، وهما متمّمان للأصل، فهذه أجزاؤها.

البحث الثالث: في مبادىء الخطابة:

واعلم أن مبادىء الأقوال الخطابية ثلاثة:

أحدها: المشهورات المحمودة، وهي إما حقيقية اتفق عليها

1- يحزنه: من الحَزْن وهو الغليظ الخشن ضد اللين اللسان: مادة حزن.
2- كلمة غير واضحة في الأصل، فأثبتنا ما يتفق والسياق.

الجمهور، وتطابقت عليها الشرائع والسنن وهي التي إذا تُعُقّبت بالنظر لم يزل حمدها وإن أُطلع على كذبها كحسن الصدق وقبح الكذب والظلم وغيرهما.

وإما محمودة ظاهرة في بادىء الرأي وهي التي (تباغت) (1) الذهن، فيحكم بصدقها قبل / [48 ب] التفطّن لها، فإذا تُعقّبت زال حمدها؛ لظهور كذبها وشنْعِها، كقوله: «أنصُرْ أخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً (2) وهذه أعم من التي قبلها، وكل محمود حقيقيّ محمود في الظاهر، ولا ينعكس.

واستعمال الخطابيّ للأولى لا من جهة كونها حقيقيّة بل لكونها ظاهرة.

وإما محمودة بحسب قوم أو شخص، ويُنتفع بها في مخاطبتهم، ومثل هذه وإن نفعت في الخطابة، إلا أنها لا تكون عُمْدة في صنعة الخطابة؛ لكونها غير متناهية أو غير مضبوطة؛ فإن كلّ شخص يرى ما يهوى، وتختلف الآراء بحسب الأهواء.

وثانيها: المقبولات، إما عن جماعة أو عن نفَر (3)، أو عن نبيّ، أو عن إمام كالشرائع والسُنن أو عن حكيم كالطبّ المقبول عن جالينوس (4) وبقراط، أو عن شاعر كابيات تورد شواهد وتكون مقبولة فقط .

1- كلمة غير واضحة في النسخ فأثبتنا ما يتفق والسياق.

2- الحديث أخرجه البخاري في باب المظالم، والترمذي في باب الفتن: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» صحيح البخاري 231/4 ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

3- النفر: ما دون العشرة من الرجال، وهو جمع لا واحد له من لفظه مادة نفر.

4- جالينوس: طبيب وكاتب يوناني، وينسب إليه خمسمائة مؤلف أغلبها في الطب والفلسفة وبقي من مؤلفاته الطبية ثلاثة وثمانون على الأقل، وظل جالينوس حتى القرن السادس عشر مرجعاً مسلماً به في الطب. الموسوعة العربية الميسرة 597.

من غير أن تنسب إلى مقبول منه كالأمثال المضروبة.

وثالثهـا: المظنونـات وهي الأحكام التي يتْبع الإنسان فيها غالب الظن، من دون جزم العقل بها، كقولك: زيـد يُسارّ (1) العدوَّ جهاراً، فهو عدوّ، ربما يكون مقابله مظنوناً، كقولك: زيد يسارَ العدوّ جهاراً ليخدعه فهو صديق.

وأما تأليفات هذه فهي ما يظن منتجاً، وهي مقنعة بحسب الموارد والصور معاً، ويشـتمل (2) القياس (3) والتمثيل (4) والاستقراء (5) وما يشبه .

1- السـريرة: عمل السـر من خير أو شـر، وأسـرّ الشـيء: كتمه وأظهره، وهو من الأضداد تقول، سررته: كتمته وسررته: أعلنته وبه يفسر قوله تعالى: (واسروا الندامة) قيل: أظهروها.

2- ويستعمل في النسخة ب.

3- القيـاس: صورة اسـتدلالية في المنطق الأرسـطي: مؤلفـة من مقـدمات تلزم عنها بالضـرورة نتيجـة تختلف عن كل المقدمـة. والعملية القياسـية الواحدة تتألف من مقدمتين: أحداهما كبرى، وتشـمل محمول النتيجة. والثانية صـغرى، وتشمل موضوع النتيجة. ويتألف القياس من ثلاثة حدود: حد أكبر هو محمول المقدمة الكبرى وحد أصـغر هو موضوع المقدمة الصـغرى وحد أوسط يظهر في المقدمتين ويختفي في النتيجـة مثل: كل معـدن يتمـدّد بالحرارة والحديـد معدن إذن فالحديد يتمدد بالحرارة. فالتمدد بالحرارة حد أكبر، والحديد حد أصـغر، ومعدن حدّ أوسط. وجملة: كل معدن يتمدد بالحرارة مقدمة كبرى. والحديد معدن مقدمة صغري. والحديد يتمدد بالحرارة نتيجة.

4- التمثيل: هو بيان مشاركـة شـيء لشـيء آخر في علة الحكم ليثبت الحكم في الشـيء الأول كما يقال: النبيذ مسـكر فهو حرام كالخمر، فعلّه الحرمة وهي الاسكار موجودة في النبيذ كما هي موجودة في الخمر.

5- الاستقراء: استدلال منطقي يسير من الأمثلة الجزئية إلى نتيجة عامة. وهو يقابل الاستنباط الذي يسير الاستدلال فيه من مقدمة عامة إلى نتيجة أخص منها. والاسـتقراء وسـيلة العلوم الطبيعية؛ لأنه قائم على مشاهدة الجزئيات بالحسّ توصلا إلى القوانين العامة، ونتيجة الاستقراء ليست يقينية كنتيجة الاستنباط، فهي صادقة بدرجة معينة من الاحتمال. وفرنسيس بيكون أول مبتكر للطريقة الاستقرائية، وأرسطو أول مبتكر للطريقة الاستنباطية. الموسوعة العربية 143.

الحَلف فيها.

أما القياس فيسمى ضميراً لحذف كبراه، وتفكيراً لاشتماله على أوسط يستخرج بالفكر.

وهو (1) إما على هيئة الشكل الأول (2)، كقول عليّ عليه السلام: مضَوا قُدُماً على الطريقة وأوجفوا على المحَجَّة فظفروا بالعُقْبى الدائمة، والكرامة الباردة فإن تقدير الكبرى. وكل من كان كذلك ظفر بالعقبى الدائمة، ويسم هذا دليلاً.

وإما على هيئة الشكل الثاني (3)، كقولك: فلان له إيمان في يقين فليس من الفسّاق فإن تقدير الكبرى ولا واحد من الفسّاق كذلك.

أو على هيئة الشكل الثالث (4)، كقولك: العارف شجاع / [49 أ] جواد، فالشجاع جواد؛ لأن تقدير الكبرى: العارف جواد، ويسمى ما كان على هيئة هذين الشكلين علامة.

والقياس الظني قد لا يكون منتجاً في نفس الأمر؛ إذ ليس من شرط الخطابة أن تكون على هيئة منتجة؛ كموجبتين في الشكل الثانق.

1- للقياس أربعة أشكال تختلف باختلاف وضع الحدّ الأوسط، وليكون القياس منتجاً في أي شكل يجب أن تكون إحدى المقدمتين على الأقل موجبة، فإذا كانت إحداهما سالبة، كانت النتيجة سالبة.

2- الشكل الأول: أن يكون الحد الأوسط محمول الصغرى موضوع الكبرى كقولنا: كل جسم مؤلف، وكل مؤلف محدث، فكل جسم محدث، والايجاف: الاسراع في السير والمحجة: جادة الطريق.

3- الشكل الثاني: أن يكون الحد الأوسط محمول الصغرى والكبرى كقولنا: كل انسان حيوان، ولا شيء من الجماد بحيوان، فلا شيء من الانسان بجماد.

4- الشكل الثالث: ان يكون الحد الأوسط موضوع الصغرى والكبرى، كقولنا: كل إنسان حيوان وكل إنسان ناطق، فبعض الحيوان ناطق.

كقولك: هذه منتفخة البطن، فهي إذن حبلى، وتقدير الصدق، والحبلى منتفخة البطن، وتسمى هذه رواسم؛ لرسمها في الذهن ظناً ما.

واما التمثيل فيسمى اعتباراً؛ لعبور الذهن من المشبه به إلى المشبه، ويسمى المنتج منه بسرعة برهاناً، واستعمال التمثيل والقياس يسمى تثبيتاً.

والتمثيل إما أن يكون بأصول متفق على القياس عليها، سواء كانت أموراً موجودة، أو حوادث ماضية، أو أمثالاً مضروبة سائرة.

وإما أن لا يكون كذلك؛ بل أمور يُخبر عنها الخطيب، كمثل وحكاية إما ممكنة أو غير ممكنة.

والأول كاستشهاد عليّ عليه السلام في تحذير أصحابه من الدنيا بالقرون الماضية وأحوالها.

وأما الثاني فالممكن كما يقول المشير على صديقه: لا تعاشر الجهّال فإني عاشرتهم فندمت، وقد لا يكون عاشرهم.

وأما غير الممكن، فكالاستشهاد بأقوال الحيوانات الموضوعة في كتاب كليلة ودمنة (1) وأمثاله.

وأما الاستقراء: فيقع بجزئيات كثيرة، كقولك لمن تشير عليه: حصل السيادة بتحصيل الفضيلة؛ لأن فلاناً فُضّلوا فسادوا، وستعرفه في كلام علي عليه السلام كثيراً.

وأما ما يشبه الحلف فكتنصّله عليه السلام من دم عثمان بقوله: «لو أمرْتُ به لكنتُ قاتلاً» (2) فإنه أراد تقرير عدم الأمر بإبطال لازم الأمر، وهو 3.

1- كليلة ودمنة: مجموعة من قصص الحيوان الهندية الأصل ترمي الى العظة الخلقية. ترجمها عبد الله بن المقفع عن الفارسية، لارشاد الخليفة المنصور إلى ما يجب أن يتمسك به من خلق.
2- مطلع خطبة لعلي كرم الله وجهه في براءته من دم عثمان: «لو أمرت به لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً ... نهج البلاغة 73.

كونه قاتلاً المستلزم لابطال الأمر المستلزم لإثبات المطلوب، وهو عدم الأمر، وكذلك التوبيخ كقوله عليه السلام في توبيخ العلماء في اختلاف الفتيا: «أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه» (1) فإنه أراد بيان / [49 ب] عدم صحة اختلافهم بإبطال أمر الله تعالى إياهم المستلزم لإبطال نقيض المطلوب وهو صحة الاختلاف.

والمقدمة التي من شأنها أن تصير جزءَ تثْبِيتٍ تُسمى مَوْضعاً.

وحقّها أن لا تكون دقيقة علمية، ولا واضحة يستغنى عن ذكرها كالضروريات والقوانين التي يستنبط منها المواضع تسمى أنواعاً.

والبحث في الخطابة عن الضّروريّات أقلّ؛ بل إنما يُبحث فيها في الأكثر عن الأكثريّات.

والرأي: قضية كليّة يُنتفع بها في أمور عمليّة، فيختار أو يُجنّب ونتائج الآراء آراء مثلها، إلا أنها غيرُ مقنعةٍ ما لم تُقرن إليها العلّة، كقولك لصديقك مثلاً: لا تحرص (على) (2) جمع المال، فإنه لا يقبل ما لم تقل: ذلك.. لأنك تشقى بجمْعه في الآخرة، خصوصاً إذا كان الرأي شنيعاً، كقولك: لا تحصل الفضائل، فإنه ما لم تقرن به العلّة كقولك: كيْلا تُحسد، لا يقبل ذلك.

والرأي: إما لا يحتاج إلى كلام يقرن به لظهوره في نفسه، أو عند أهل العقل، أو عند المخاطَب، أو يحتاج إلى ما يقرن به ليؤدي إلى المطلوب، وحينئذ فالقرينة إما نتيجة الرأي أو ما ينتجه فان كانت نتيجة الرأي كقولنا: الأصدقاء ناصحون، فصديقك زيد ناصح فالضمير المقنع ها هنا ليس الرأي وحده؛ بل مع نتيجته، وهو جزء من الضمير. .

1- من كلامه رضي الله عنه في ذم اختلاف العلماء في الفتيا: «أفأمرهم الله - سبحانه - بالاختلاف فأطاعوه! أم نهاهم عنه فعصوّه!» نهج البلاغة 61.

2- في بدلاً من على في النسخة أ.

وإن كان ما ضم إليه هو المنتج له، كقولك: لا تكتسب الفضائل فتحسد، كان الرأي هو الضمير القريب، فإنه المقنع لذاته، وبالله التوفيق.

البحث الرابع: في أقسام الخطابة بحسب أقسام أغراضها:

واعلم أن جميع المغارضات (1) الخطابية ثلاثة:

مشاورة، ومنافرة، ومشاجرة، ولكل واحد من هذه الأقسام غرض خاص.

أما المشورة، فهي مخاطبة يُراد بها الأقناع في أن الأمر الفلانيّ ينبغي أن يُفعل لنفعه، وأن الأمر الفلاني / [50 أ] لا ينبغي أن يفعل لضرره.

وأما المنافرة: فمخاطبة يُراد بها الإقناع في مدح شيء بفضيلته، أو ذمّه بنقيصته.

وأما المشاجرة: فمخاطبة يُراد بها الإقناع في شكاية ظلم، أو اعتذار

بأنه لا ظلم.

وربما لم يقع الاعتذار في وقوع الأمر نفسه، ولكن في كونه نافعاً، أو ضارًّا، أو ظُلماً، أو غير ظلم؛ كاعتذار الظالم، أو من ينصره بأن الذي يعلمه ليس بظلم، أو باعتذار المذموم بأن الذي فعله ليس بنقيصة، أو أنه فضيلة.

أما المشورة إنما هي مشورةٌ بسبب إقناعها في أمر هو نافع بالحقيقة، فإنه قد لا يكون نافعاً بالحقيقة ولا عند المشير؛ لكنه إن تبيّن أنه نافع رام الاقناع به، فتكون المخاطبة مع ذلك مشورة.

وقد لا تكون المشورة بالنافع؛ بل بالجميل الذي ربما كان في

1- المعارضات في النسخة ب.

العاجل ضارّاً، أو له نفع من جهـة أخرى، وكذلك المدح والذم، ولا يلاحظ فيه دائماً النافع والضارّ حتى يكون المدح بالنافع، والذم بالضار؛ بل ربما كان المـدح أيضاً كاقتحام الأذى والضـرر، وركوب الأهوال للـذكر الجميل، فإنه يشار به ويمدح فاعله ويعظّم، كالذين يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون، وكثيراً ما يُحمد العاقل بإيثار الموت على الحياة.

والأمور المشوريّة عظيمة تُبتنى عليها الشرائع والسنن والسياسات.

وأقسام الأمور المشوريّة العظيمة التامة النفع دون الجزئيات النافعة بحسب أحوال الأشخاص خمسة:

العُدّة، والحرب والسَّلم، وحماية المدنيّة، ومراعاة أمر الدخل والخرج، وتفريع الشرائع ووضع المصالح.

والخطيب المشـير في أمر العُـدّة ينبغي أن يكون بصـيراً بجنس ارتفاع المدنيّـة وكميته، وكميّة النفقات إذا جرت على القُسْط ليوازيَ الدخلُ الخرْجَ، ويشير / [50 ب] بنفي البطالـة عن حرفـةٍ تعود بنفع المدنيّة وبالحجْر على المسْـرف وتوقيفه على القدْر العادل، ويتحفّظ بجزئيات الأخبار وبالعوائد التجريبيّة؛ لأنها تذاكير وأمثال.

وعلى المشـير في أمر الحرب بعد ان يكون له بصـيرةٌ بأنواع الحروب، وسـماع أخبار المتقدمين من المقاتِلة في مدنيّته وما يليها، ورسومهم ومـذاهبهم، أن يحيط به علماً خيراً بمـدنيّته ومحاربيها وعـدّتهم وعددِهم ودرايتهم بالحرب، وعادتهم ونقاء دخيلة قومهم، وصـفاء نيّتهم أو ضـدّ ذلك، ويوقع نظيره عليهم في كل وقت ويقيسـهم إلى مقاتليهم، وأن يعتبر الجزئيّات السالفـة، فانّ الأمور في أشـباهها، وتحـذو حَـذْوَ أشكالها، فإنه يستنبط من هذه الأحوال مقدمات ينتفع بها في المشورة.

وأما المشير في حفظ المدينة فينبغي أن يَعلم أنواع الحفظ لأنواع البلاد المختلفة؛ سهليّتها وجبليّتها، وبريّتها وبحريّتها، وما يحيط بها

ومواقع المسالح (1) قرباً وبعداً، والمدارج (2) المخوفة والتي يرتادها المغتالون فيشير فيها بالإرصاد (3)، فإن ذلك قد يقف عليه من لم يشاهد المدينة. وأن يعلم عدد الحفظة والرصَدة (4) ونيّاتهم؛ ليمدّ قلّتهم ويبدّل خائنهم بالناصح، وأن يعرف الحاصلَ من القوت، وما يحتاج إلى جلْبه واعداده من خارج المدينة، فإن القوت وما يجري مجراه إذا انحسمت (5) مادته لم يكن حفظ المدينة وتدبيرها.

فينبغي أن يكون المشير عارفاً بمقدار حاجة كلّ إلى كلّ، وبأحوال أهل الفضائل والثروة منهم، فيشير بما ينبغي أن يستعان به فيه من أهل الفضائل، وما ينبغي أن يستعان به فيه بأهل الثروة فيما ينتظم به أمر المصلحة.

وأما الخامس فهو المشورة في أمر السنن، وهو من أعظم الأبواب خطْباً وأحوجها إلى فضْلِ قوة الخطابة / [51 أ]، وعلى السّانّ (6) أن يتحقّق عدد أنواع الاشتراكات المدنيّة وما يتولّد من تركيبها، وأن يعلم ما يناسب كلّ أمّة من الاشتراك بحسب عادتها والأسباب الحافظة لذلك الاشتراك، والقاسمة له، وفساد المدينة التي لم يحكم تدبيرها يقع من أحد أمرين: .

1- المسالح: جمع مسلحيّ وهو الموكلّ بحراسة الثغور، والمراد الجنود الذين يتجسسون خبر العدو لئلا يهجم عليهم، ولا يدعون واحداً من العدو يدخل بلاد المسلمين، وان جاء جيش انذروا المسلمين. اللسان مادة سلح.

2- المدارج: الثنايا الغلاظ بين الجبال، واحدتها: مدرجة وهي المواضع التي يدرج فيها، أي: يمشي. اللسان مادة درج.

3- الإرصاد: الانتظار، والاعداد.

4- الرصدة: الحرس الذي يرصدون.

5- انحسمت مادته: انقطعت.

6- السّانّ: من يجعل الأمر طريقاً يتّبع، ومسلكاً لمن يأتي بعده، مادة سنن.

إما عنْف المـدبرين لهم في الحمل على الواجبات، أو من إهمالهم ومسامحتهم، فينبغي أن يكون المشـير بصـيراً بأصـناف السـياسات، وما يعرض لكل واحد منها من العوارض، وما يئول إليه كل واحد منها فيوضع كلّ واحد منها في موضـعه: فلا يسـتعمل القهر والغلبة في موضع الرفق، ومراعـاة مصـلحة المرءوسـين لإكرامهم و تعظيمهم، ولا بالعكس فلا يحصل هناك قانون ناظم. فقـد عرفت بما ذكرنا المواضع التي منها تنتزع المقدمات المشورية في الأمور العظام.

ومما يعين على وضع السنن وتفريعها تأمّل قصصَ الماضين وأحوالهم.

وأما الأمور المشوريّة النافعة بحسب أحوال شخص [شخص] (1). فهي وإن كانت غير مضبوطة، إلا أن جميعها يشترك في أنها يُقصد بها صلاحُ الحال (سواء) (2) كان بالحقيقة أو بالظن، ونعني بصـلاح الحال هو الفعل الممكن عن فضيلة النفس، وامتداد العمر، مشفوعاً بمحبّة القلوب وتوافر الكرامـة من الناس، وفي رفاهيـة وطيب عيش، ووقايـة وسّـعَة ذاتِ اليـد فى المال والعقـد، وتمكّن في اسـتدامة هذه الأحوال والاستزادة منها.

وأما أجزاؤها (3)؛ فمنها ما ينسب إلى الخير، ومنها ما ينسب إلى الشرّ.

أمـا الخيريّـة، فإمّـا بدنيّـة كـذكاء الأصل وكثرة الإخوان والأولاد وصـلاحهم، واليسار والانعام والقوّة والصـحة والجمال والفصاحـة وجميل الأحدوثة (4) والجاه والبخت..

1- كلمة شخص لم تكرر، وإنما ذكرت مرة واحدة في النسخة أ.

2- الزيادة يقتضيها السياق.

3- أجزاؤها: أجزاء المشورة، وفي أجزاؤه.

4- واحد الأحاديث: أحدوثة، وهي ما حدّث به مادة حدث.

وإمـا نفسانيّـة كالعلم، والـذكاء، والزهـد، والشـجاعة، والعفّـة وحسن السـيرة، والأخلاق المَرْضِـيَّة، وحصول التجارات والصـناعات، فعلى الخطيب [51 ب] أن يشـير بإعـداد هـذه الأـنواع، وكـذلك ما ينسب إلى النافع وهو كل ما يوصّل إلى شـيء من الخيرات كالجـدّ والطلب وتحصيل الأسباب والوسائل وانتهاز الفرص (1) ومواتاة الحظ.

وأما الأمور الشـريّة؛ فهي ما يقابل هذه، وعلى المشير أن يشير باجتناب عللها وما يَعُوق عن الخيرات كإيثار اللذة والكسل، واللهو، والبطالة، وفوات الأسباب، وضياع الفرص، وسوء التوفيق.

وكـذلك قـد يحتاج الخطيب إلى إعـداد مقدّمات في أن هذا الخير أفضل، وأن هذا النافع أنفع: كالحكم بأن أفضل الخيرات أعمُّها وأدومُها، وأكثرها نفعاً، وأولاها بالقصد لنفسه، وأعزّها، وأعظمها، وأشهرها، وأكثرها استلزاماً للحاجة إليه، وأكثرها استلزاماً لرغبة الجمهور والأكابر فيه.

وكذلك يحتاج إلى مقدمات بعدها في أن هذا الشـر أضـرّ: كالحكم بأن أشـرّ الشرور أعمّها، وأدومها، وأولاها بالهرب منه، وأكثرها استتباعاً للشرور.

ويجب أن يستكثر من ضرب الأمثال وإيراد التذاكير، واقتصاص أحوال الماضين.

وأما المنافرات وهي (2): باب المدح والذم، فعلى الخطيب تحصيل الأنواع النافعة في المدح والذم، المتعلقة بالفضيلة والرذيلة.

وأجزاء الفضيلة هي البرّ، والشجاعة، والعفّة، والمروءة وكبر الهمّة، والسخاوة، والحلم، والثبات، واللّبّ، والحكمة .

1- وانتهاص الغرض في ب.
2- وهو في النسخة ب.

وقد يلزم بعض هذه خبرات تتعدى إلى غير الفاضل؛ كالخبر المتعدّي من البَرّ والشجاع والسخيّ إلى غيرهم.

وأجزاء الرذيلة أضداد ما ذكرنا كالجَوْر المقابل للبرّ، والجبن للشجاعة، والفجور للعفة، والدناءة للسخاء، والسفالة لكبر الهمّة، والنذالة للمروءة، والطيش للثبات، والبلاهة للّب.

فهذه هي الفضائل والرذائل، وما عداها فأسباب لها وعلامات / [52 أ] عليها؛ مثلاً: كإيجاب الغنى والخشية من الله تعالى، والعلم وطلب الذكر الجميل للعدل، وإيجاب الاحتياج، والوثوق بأن لا مقاوم له، وعدم المبالاة بالمعاقبة، وأمثالها للجور، وكذلك في سائر الأسباب.

وكالانفعالات اللازمة للعادل عن لزوم العدل حتى يحتمل شدة العذاب، مثلاً في انتزاع ما في يده من الأمانة ولا يسلّمها إلى غير ربّها.

ومن الممادح أيضاً مقاومة الأعداء، والانتقام منهم، والجزاء على الحسنة والسيئة.

ومن ممادح الشجاع الغلبةُ والكرامة، وأن يفعل أفعالاً تذكر وتنشر (1) ويسهل تخليدها، فيرثها الأعقاب.

ومن الممادح أيضاً علامات تختص الأشراف بها، كإرسال شعر العلويّ (2) وطرحه العالم؛ فإن ذلك من علامات شرفهم.

ومن الممدوحات أيضاً: الاستغناء عن الناس في أيّ باب كان.

وقد يذكر المدح على سبيل الترويح والمغالطة، فيعبر عن الرذيلة بعبارة تنظمها في سلك الفضيلة إذا كانت قريبة من الفضيلة، أو كانا تحت حكم يعمّهما.ه.

1- يذكر وينشر في ب.

2- المراد بالعلوي هنا ما ينتسب الى الامام علي ويدخل في شيعته.

وهذا كما (1) يحتاج الخطيب إلى مدح الناقصين فيجعل القدْر المشترك بين الفضيلة والرذيلة مكان الفضيلة، فيمدح المُتَجَرْبز (2) بأنه حسن المشورة والفاسق بأنه لطيف العشرة والغني بأنه حليم، والغضوب بأنه نبيل، والأبله الغافل عن اللذات بأنه عفيف والمتهور بأنه شجاع والماجن بأنه ظريف والمبذر في الشهوات بأنه سخيّ.

وفي عكس ذلك إذا قصد ذمّ الفاضلين: فيذكر الفضيلة في معرض الرذيلة، فيذمّ لطيف العشرة بالفسق، والحليم بالغباوة، والنبيل بالغضوب، والعفيف بالأبله، والشجاع بالمتهوّر، والظريف بالماجن / [52 ب]، وكذلك في سائرها.

وأما الأمور المشاجريّة؛ فعلى الخطيب إعداد أنواع أسباب الجور، والجور هو الإضرار الواقع (3) بالقصد والمشيئة، ولم ترخّص الشريعة فيه بوجه.

وأما الأسباب المحركة إليه، فكالكسل من الكسلان، فإنه عندما يتخيّل الدَّعَةَ (4) التي يهواها يكون سبباً لخذلان صديقه، وكالجبن الذي يكون سبباً لإضاعة الحريم وهلاكهم، وكإيثار الراحة من التعب، التعب، وحبّ البطالة واللهو المؤدي إلى ترك اكتساب الفضائل، وكالغضب المؤدي إلى العَسْف (5) وعدم الظفر بالمطلوب عند الغلَبة والاقتحام، وكاستباحة التصرف في مال الغير وعِرضه ودمه، والاستهزاء بالخلْق والحرص والوقاحة. وأسباب العدل هو ما يقابل هذه الأسباب.ق.

1- وهذا لا يحتاج في ب.

2- المتجريز: الخبّ من الرجال، أي الخدّاع الخبيث، وهي كلمة معربة اللسان مادة جريز.

3- الرافع في ب.

4- الدعة: الخفض في العيش، واصلها: ودع، والهاء عوض من الواو. اللسان مادة ودع.

5- العسف: السير بغير هداية، والأخذ على غير الطريق.

فهـذه أمور إذا علمها الخطيب أخـذ منها مقـدمات في أنه لمّا كان الجائر كـذا، أقْدم على الجَور، وللجور أسـبابٌ كثيرة مذكورة في الكتب المبسوطة.

البحث الخامس: في أنواع مشتركة للأمور الخطابيّة الثلاثة.

ها هنا أنواع مشتركة لأصناف الخطابة يجب على الخطيب إعدادها؛ لينتفع بها.

فمنها ما يُعَدُّ لاسـتدراجات من مبادي الانفعالات والأخلاق، مثلاً ما يعدّ للغضب كالاسـتهانة والعنَت والشتيمة وقطع العادة في الإحسان ومقابلـة النعمـة بالسـيئة أو بالكُفْران والقعود عن جزاء الجميل بمثله. أو يعـدّ لضـدّه؛ وهو فتور الغضب؛ كالاعتـذار بعـدم معرفة من قصده بالاستهانة، أو بعدم قصد الاستهانة (1)؛ كالاعتراف بالذنب، والاستغفار بالتوبة والتذلّل والتلقيّ بالبشاشة، وكذلك هيْبةُ المَهيب والاستحياء من المسـتحَق منه، فإن الغضب لا يجامعها، أو يعدّ / [53 أ] للحزن؛ كالأنواع التي توجب تصور فوت المرغوب فيه، أو حصول المحـذور منه، أو عدم الانتفاع بالحياة والتدبير، أو لضدّه؛ وهو [التسـلية (2)] كالتي يوجب الاقناع في أن هـذا الأمر يمكن أن يُدفع أو يُرجى التلافي في التدارك، أو باعتبار حال الغير، فإن المصـيبة أذا عمّت هانت، أو بالإرشاد إلى الحِيَل بتحصـيل الأمر الذي لأجله الحزن، أو يُعدّ للخجل والاسـتحياء، كـالفرار من الزحف، وخيانـة الأمانـة، وارتكـاب المظـالم، ومعاشـرة الفسّـاق ومـداخلتهم في مواضع الريبـة، والحرص على المحقّرات، ومقارفة [الدنايا (3)]، كسلب المسكين (4)، ونبْس الكفن، والتغيير (5) مع

1- الاهانة في ب.

2- وهو التشبيه في أ.

3- الدنيا في أ.

4- السكين في ب.

5- والتقيّة في ب.

اليسار، ومعارضة اللئام بالاستماحة (1) وكاستشعار الشماتة من الأعداء، أو يُعَدّ لإبطال الخجل وهو أضداد هذه الأسباب، أو للاهتمام بالغير والشفقة عليه، أو الأسباب الباعثة على الاهتمام، كالعذاب المُهلك والأوجاع والجَهد والكِبَر والسَّقَم والخصاصة (2) وسوء البخت وعدم الأنصار، وعلامات الاهتمام، كإيثار المهمّ له على النفس، والإحسان إليه بغير مِنّة (3)، وستر عيوبه ونصرته في مغيبه، والوفاء له. أو لضدّه؛ وهو الحسد، كوصول خير إلى غير (ما) (4) يرى الحاسد أنه أولى به منه، أو إلى من لا يحبه. أو للغيرة؛ كتخيّل مشاركة من لا حقّ له في الحق مِن غير أن يدخله صاحبه فيه. أو لشكر النعمة، وهو أن يقول الخطيب: إنما أعْطَى فلانٌ لنفس النفع، لا لجزاء يتوقّعه. أو يقول: إنه نفع في وقت الحاجة أو في وقت تعسّر المعونة من الناس، أو أن أنعم بما لم تسمح نفس غيره به، أو أنه أولى من أنعم فيحرك غيره للإنعام، أو أنه لم يرد بالصنيعة ذكراً، أو أنه يستر الصنيعة (5) ستراً، أو للكفران وتحقير النعمة، كقولك: لم تُرْدْ بعطائك / [53 ب] إلا غرضاً وأنك لم تتمّ النعمة، وأنك قصرْت عن الواجب عليك بمثله، وأنك لم تصطنع بقصد؛ بل لضرورة، أو اتفاق (6)، أو لرغبة في محاذاة، فإن ذلك كلّه مما يبطل المنّة. أو للشجاعة، كأن تقول المكروه عنك بعيد، أو لا وجود له عندك، ولا محل عندك للأقران والمبارزين، وكقوله: أنت كثير الأنصار قويّهم، وأنك بريء عن الظلم قليل الاحتمال له. .

1- استمحته: سألته العطاء أو الشفاعة. مادة ميح

2- الخصاصة: الفقر وسوء الحال والخلّة والحاجة، وفي التنزيل: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة).

3- امتنّ عليه: قرّعه بمنّه، والمنّ الإحسان والإنعام. مادة منن.

4- الزيادة ليست في المخطوطة، والنص يقتضيها فأثبتناها.

5- الصنيعة: الاحسان والخير والعمل الطيب.

6- أو إنفاق في ب.

أو لضـدها، وهو الجبن كقوله: إن في المقاومـات حصول المكـاره، وإن خَصـمك في غايـة القوّة، فلاـ طاقـة لك به لو أن أنصارك قليلون أو ضعفاء، وأمثال ذلك.

وكذلك يجب على الخطيب أن يحصّل أنواعاً تُعين على كلّ خُلقٍ خُلقٍ يختص بصِنفٍ صِنفٍ من الناس.

إما باعتبار الأسنان (1)، كأن يقول للشابّ الـذي يَغلب عليه طلب اللـذة: إن هذا وقت السـرور، والزمان المساعد، والشـباب بعد فنائه غيرُ عائد، وهذا الربيع قد أشرف أنواره وتصنّفتْ أزهاره وكمدح المآكل والمشارب والملابس والمراكب.

ويقول للشيخ الذي يَغلب على طباعه طلب النفع والحرص على الدنيا: ينبغي أن تقتصر على تحصيل منافعك واللهوُ غير لائق بك، وينبغي أن تقلّل البذل لئلا يستضرّ عيالُك، وينبغي أن لا تنخدع لفلان، ولا تغلط معه، لأنك جرّبت الخداع.

أو باعتبار أخلاقهم في البلدان، كأن يقول للعربيّ الذي طبعه الفصاحة: إنك لذو فضـيلة عظيمة، ولو لم يكن من فضل الفصاحة إلا أنها وجه إعجاز القرآن لكفى، وأمثاله.

وكان يقول للعرب من جهة ما هم غِلاظ الطباع كثير و (2) الأطماع: إن بني فلان أعداؤكم، ولا ناصرَ لهم، أو هم قليلون، أو نعمهم كثيرة، أو أن القُفْلَ (3) الفلانيّ كثيرُ النعمة ولا حارس له فيغريهم بذلك..

1- الأسنان: الأعمار.

2- كثير في أ، ب.

3- القفل: ما يغلق به الباب ونحوه، فيكون التعبير مجازياً، أي يخفى وراءه نعمـة كثيرة، وربما كان معنى القفل هنا: شـجر بالحجاز يضـخم ويتخذ النساء من ورقة لوناً أحمر. اللسان مادة قفل.

وكما تحرك طباع / [54 أ] الفُرْس إلى حسن التدبير الذي هو عادتهم بما يناسبه، أو إلى المَلال الذي هو طباعهم بما يناسبه. أو باعتبار الهمم كما يحرك ما في طباع الملوك من الكبْر وعدم الالتفات إلى الغير بما يناسبه

وما في طباع الساقطين من الدناءة بما يليق به.

ومن جملة الأمور المشتركة ما يتعلق بالممكن من الأمور وغير الممكن، كأن يقول الخطيب إذا أراد أن يُقنع بأن الأمر الفلاني ممكن، فيقول: هذا الأمر مما يُسْتطاع فهو ممكن، أو نقيضه ممكن فهو ممكن، أو شبهه ممكن فهو ممكن، أو الأصعب منه ممكن فهو ممكن.

أو أراد أن يقنع بأنه يتوقّع (1) كونه فيقول:

الأمر الفلانيّ مقدور عليه ومراد، فلا بد أن يكون، والنادر يكون، فالأكثريّ يكون. ويمكنك أن تعلم أنواع ما لا يكون، وأنواع ما لا يمكن من أنواع ما يكون، وأنواع ما يمكن.

فهذه جملة من الأمثلة تَهدي الخطيب إلى أمثالها، وليس عليه أن يضبط ما لا يتناهى من الأمور بحسب شخص شخص في كل واحد من أموره الجزئية، فإن ذلك غير ممكن؛ بل يضبط القوانين الكلّية المتعلقة بالأجناس الثلاثة للخطابة، ويجتهد في أن يخصصها مهما أمكن، فإنه كلما كان الحكم بالجزئيّ المتكلَّم فيه أخصّ، كان أنفع وأقنع. مثاله: إذا أردت أن تمدح زيداً فقلت: هو شجاع؛ لأنه مستكمل الفضائل بأسرها، فهذا وإن كان مقنعاً، إلا أنك لو خصصت فقلت:؛ لأنه هزم جيش العدوّ وقت كذا، أو قتل البطل الفلانيّ يوم كذا، لكان ذلك أقنع وأليق بالممدوح.م.

1- متوقع ب، م.

وقـد تقع في الخطابة القضايا المتقابلة والمغالطة بها (1) للإقناع فيسـتعمل الضدّان في إيجاب كل واحد من النقيض، كقولك: اسـكت في المحافل (2)؛ لأنك إن صدَقْت أبغضك الناس، وإن كذبْت أبغضك الله، ثم تقول: تكلم في المحافل؛ لأنك إن صدقت / [54 ب] أحبّك الله، وإن كذبت أحبك الناس. والمقابلة ها هنا إن أفادت إقناعاً، كانت من صناعة الخطابة، مثالها:

إما من باب اشتراك الاسم كقولك: بالذهب يبصر الإنسان؛ لأنه عيْن.

أو من باب تركيب المفصّل كقولك: فلان شاعر جيّد، فيوهم ذلك التركيب مدح الشعر بالجودة، والتقدير فلان جيّد.

أو من باب وضع ما ليس بعلّة علة، كما يقال: فلان مبارك القدم؛ لأنه مع قدومه تيسّر كذا.

أو من باب المصادرة على المطلوب، كما يقال: زيد يشرب الخمر، فيقال؛ لأن أخاه يشرب الخمر.

وأما إن لم يوقع إقناعاً، كما يقال: فلان لم يُذنب باختياره؛ لأنه زنى وهو سكران، لم يكن من صناعة الخطابة، وبالله التوفيق.

البحث السادس: في تحسينات الخطابة:

الأمور المحسّنة للخطابة:

إما أن تتعلق بالألفاظ.

وإما أن تتعلق بالترتيب.

1- بهما فى أ.

2- المحافل: جمع محْفِل، وهو المجلس والمجمَع من الناس.

وإما أن تتعلّق بهيئة الخطيب.

أما الأول: فاعلم أن تحسين الألفاظ في الخطابة عظيم النفع؛ فإن جزالة الألفاظ تُوهم جزالة المعنى، وركاكة اللفظ تُذهب ذوق المعنى.

ومحسنات اللفظ أمور:

الأوّل: أن يكون اللفظ فصيحاً عذْباً غيرَ ركيك صرف العاميّة (1) ولا متين مرتفع عن أن يصلح لمخاطبة الجمهور؛ لأن الطباع العاميّة تنفر عن العبارة العلمية، ولا ملحون؛ لأن اللحن يهجّن الكلام ويَرْذُلُهُ، وهذه الاعتبارات موجودة في كلام عليّ عليه السلام كثير.

الثاني: أن يراعى [تمام (2)] الرباطات، وهي الحروف التي يقتضي ذكرها أن تُكرّر، كقوله عليه السلام في صفة الملائكة: «منهم سجود لا يركعون (3) ومنهم ركوع لا يسجدون وكذلك باقي الأقسام، فلو لم يحصل / [55 أ] التكرار ها هنا لنقص الكلام، وكذلك قوله عليه السلام: المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر إحدى الحسنين: إما داعي الله فما عند الله خير له، وإما رزق الله، وإذا هو ذو أهل ومال، اللهم إلا أن يكون تكراره معلوماً، كقوله عليه السلام في كثير من خطبه: أمّا بعد. فإن هذا الجزء مسبوق بأما قبل وإن لم يُذكر لوضوحه.

الثالث: أن لا يباعد ما بين الرباطين بحشو دخيل ينسى الوصلة بينهما.

الرابع: أن يراعى حقه من التقديم والتأخير، وإن تأخّر الشرط عن المشروط، وتقديم لان على الدعوى قبيح سمج، وبعض هذه الأحكام قد يختص ببعض اللغات.ن.

1- صرف العامية، لمذهب والحال والشان.

2- إتمام في أ.

3- في نهج البلاغة 41 منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون.

الخامس: أن يزيّن بالتشبيه والاستعارة، وتكون تلك الألفاظ المستعارة خاصة غيرَ مشتركة ولا مغلِطة، فقد يورد اللفظ موهماً للشيء وضده، كقول المنجم: إذا دخلتْ سنة كذا تتجدد للإسلام أمر عظيم. فذلك محمَلِ للخير والشر، موهماً لهما.

وفائدة التشبيه والاستعارة ها هنا الاستعانة بالتخييل الحاصل منه على ترويق المعنى، فإنه يحصل له رونقاً لا يحصل بدونه.

والالفاظ المستعارة والمخيّلة وإن كانت أصلاً في الشعر، فقد يستعملها الخطيب بالقرض، فيكون في الخطابة كالأباريز (1).

السادس: أن يراعي لفظ الواحد والتثنية والجمع وما يخصها من التصاريف، وكذلك التذكير والتأنيث ذي العلامة وغيره رفعاً للغلط.

السابع: قد يزين اللفظ بالإيجاز إذا اعتمد على فهم السامع من تعقب الإقناع فردّ الحدود والرسوم هناك إلى اللفظ المفرد، وقد يزين بالبسط فينعكس ذلك. وقد يبدل اللفظ المفرد العلم لشناعته، كما يقال عورة المرأة (2) ووطؤها ودمها عوض اسمائها الصريحة.

وأكثر ما يستعمل أمثال هذه الإفراطات في المدائح فيكره التصريح / [55 ب] بالأسماء الصريحة احتشاماً وتنزيهاً للمجالس عن ذكرها، وكذلك يستعمل في الاعتذار كثيراً، وحيث يراد التهويل للتخويف في المشوريات.

الثامن: أن يزين بالمفاصل، أي يكون ذا مصاريع وتسجيع وزنٍ ما، لا الوزن الحقيقي، وذلك كقول علي عليه السلام: ب.

1- الإبريز: الحَلْيُ الصافي من الذهب، والإبريز من الذهب الخالص هو العقيان والعسجد اللسان مادة برز.
2- المرء في ب.

أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع (1) وقد عرفت المتوازن فإن ذلك أقرب إلى ثبات اللفظ في الخيال، ثم تلك المفاصل ينبغي أن لا تطول؛ لئلا ينسى الأوّل، ولا تقصُر جداً، فلا تحفل به النفس، فيجعل انقطاعه عن استثبات النفس له.

ثم المفاصل قد تكون أقساماً، ويسمى المقسّم كما مر في المثال في صفة الملائكة.

وقد تكون تلك الأقسام متقابلة كقوله عليه السلام؛

«أمّا الإمْرَةُ البرَّةُ فيعمل فيها التّقى، وأما الإمْرَةُ الفاجرة فيتمتَّع فيها الشقي» (2).

ولكل واحدة من الخطابة المسموعة والمكتوبة أسلوب خاص، وكذلك أصنافهما.

وأما الثاني وهو الترتيب:

فاعلم أن للأقاويل الخطابيّة صدراً ووسطاً وخاتمة:

فالصدر كالرسم الذي ينقش عليه، ويعرف السامع منه الغرض إجمالاً.

وأما الوسط، فقد يكون (قصصاً) (3) لأمر واقع؛ ليحكم بأنه حسن ص.

1- قال الإمام علي في هذا المعنى: «ألا وإن الدنيا ولّت حذّاء (سريعة) فلم يبق منها إلا صُبابة (البقية من الماء) كصبابة الأناء اصطبّها صابّها. ألا وإن الآخرة قد اقبلت، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا. نهج البلاغة 84.

2- قال ذلك في الخوارج عند ما سمع قولهم: لا حكم إلا لله ثم قال بعد ذلك: «إلى أن تنقطع مدته وتدركه منيته» نهج البلاغة 83.

3- اقتصاصاً في أب، والقصص: الخبر المقصوص. بخلاف الاقتصاص فهو أخذ القصاص.

أو قبيح؛ كما في المنافرة، وعدل أو جور كما في المشاجرة.

وقد يُقدم على الصدر؛ اقتصاصٌ لأمور تستلزم الشكر والمدح من القائل، وتهيء السامع لذلك، كما جرت العادة بتقديم اقتصاص صفات الله وحمده وصفات رسله عليهم السلام.

وقد يكون الوسط غير اقتصاص؛ بل دالّة على مصلحة وحثّ عليها، كما في المشورة؛ إذ ليس فيها ما يُحكى ويُشتكى، ويُحمد ويُذمّ، وليس فيها منازعة / [56 أ] ومواثبة (1)، والصدر فيها حسن؛ ليكون المشار عليه قد وعى الغرض واستعد للقبول وهو في المشاجرة قبيح.

وأما الخاتمة، فهي حسنة في المشورة أيضاً، والذي يليق بها أن تكون أجزاؤها مفصّلة غير مخلوطة بما قبلها، وخصوصاً في المشوريّات، وهو أن يقول المشير: قد قلت ما عندي من النصيحة، والرأي ما تَرون، وكما يقول الخطيب: أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، إنه هو الغفور الرحيم ونحو ذلك.

وأما الثالث: وهو الأمور التي تتعلق بهيئة الخطيب، فيخيّل معاني أو يخيّل أخلاقاً واستعداداتٍ لأفعالٍ وانفعالات، ويُسمّى ذلك نفاقاً.

والأخذ بالوجوه، فهي إما يتعلق بصوته كرفعه في موضع الرفع وخفضه في موضع الخفض، وبتزكية نفسه أو بكونه على زيّ وهيئة وسَمْتٍ حسن يصيد به القلوب.

وهذا القسْم إنما يكثر الانتفاع باستعماله مع ضعفاء العقول؛ إذ كانوا للاستدراجات بالأمور المحسوسة أطْوع، ولذلك يكبر في أعينهم من كان .

1- مواثبة: مفاعلة من الوثب وهو الطفر.

بِزيّ النسّاك المستكثرين من العبادة (1) والخشوع الظاهر، وإن كان جاهلاً مرائياً.

ولما لم يكن غرضنا من التعرض بذكر الخطابة ها هنا إلا الاشارة إلى أقسامها الكلّية لتبيّن معنى الخطابة، وما عسى أن نذكره من أن الخطابة التي نحن شارعون في بيانها من أي أقسام الخطابة هي، وليتفطّن المّطلع على ما ذكرناه ها هنا لما لم نبيّنه من ذلك، لا جرَم اقتصرنا على هذا القدر من الإيراد.

وأما البسط قضى الكتب المطولة.

واعلم أن الغالب على كلام عليّ عليه السلام هو المشوريات (2)، وأما المنافريّات (3) والمشاجريّات (4)، فهما أقل كما ستعرف ذلك عند تصفح أقواله إن شاء الله تعالى / [56 ب]، وبالله التوفيق.

خاتمة لهذه القاعدة:

وأما الخاتمة ففي بيان غايته عليه السلام من الخطابة.

واعلم أنه لمّا كان الغرض من وضع الشرائع والسنن إنما هو نظام الخلْق وجذبهم إلى الجناب المقدس عن دار الغرور، وتذكيرهم المعبودهم الحق، وتعليمهم كيفية السلوك للصراط المستقيم كما أومأنا إليه.

وعُلم من ذلك أن عليّاً عليه السلام كان مقرّراً للشريعة، ومُثْبتاً لها، وموضّحاً لمقاصد سُنَن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، ومفرّعاً لأحكامها؛ إذا كان هو الممنوح بجوامع العلم، والمَطلع على الأسرار الإلهية، لم يكن مقصوده من

1- العبادات في ب.

2- المشورة: مخاطبة يراد بها الإقناع بفعل شيء لنفعه، أو ترك فعل لضرره.

3- المنافرة: مخاطبة يراد بها الإقناع بفضيلة شيء فيمدح، أو نقيصة شيء فيذم.

4- المشاجرة: مخاطبة يراد بها الإقناع في شكاية ظلم؛ أو اعتذار بأنه لا ظلم. وقد سبق تعريف هذه الأنواع الثلاثة في بداية البحث الرابع ص 94.

جميع الأقوال المنقولة عنه إلا الغرض الأول من وضع الشرائع والسنن:

بيان ذلك أنك قد علمت أن الأقوال الخطابية تنقسم بحسب أغراضها ثلاثة أقسام:

مشاورة، ومنافرة، ومشاجرة

فأمّا المشورة فإنها الجزء الأكبر من كلامه عليه السلام، وأنت تعلم من تصفح كلامه أن كل ما يشير به بالقصد الأول فأنما هو الإقبال على الله تعالى بترك الدنيا والإعراض عنها، والاستكمال في الفضائل، وترك الرذائل، والمنقصات الجاذبة إلى الخيْبة السافلة المانعة عن الوصول إلى الله سبحانه، فإنْ عَرض في كلامه أمرٌ بجزئي، أو نهْيٌ عن أمر جزئي لا يلوح للغافلين منه هذا الشر؛ كمصالح الحرب والعُدّة والمدنيّة وغير ذلك، فإنه عند الاعتبار يُرجع إليه؛ لأن كل ذلك يَرجع إلى نُصْرة الدين وتقويته، ونظامِ أمر العالم، وترتيب مصالحه.

وأما المنافرة فقد عرفت أن جميع ما ورد في كلامه عليه السلام من الذم إنما هو للدنيا، واتباع الهوى، وارتكاب الرذائل الموبقة (1)، ومن ارتكبها، وأشباه ذلك مما يُبعد عن الله تعالى، وما ورد فيه من المدح فإنما هو لله سبحانه وللملائكة ورسله والصالحين من عباده، وما هم عليه من الفضائل، وترك [57 أ] الهوى، والإعراض عن الدنيا، وما ينبغي أن يكون الخلق عليه من ذلك.

ولا شك أن الأول جذب للخلق بتحقير ما تميل طباعهم إليه من الأمور الفانية، وتصغيره وذمّه والتنفير عنه، وذمّهم على ارتكابه؛ ليتقهقروا عنه إلى ما وراءهم من النعيم الأبديّ والخير السّرمديّ (2)، وليتذكروا معبودهم

الحقّ سبحانه، ولا يكونوا من المعرِضين الهالكين.د.

1- الموبقة: المهلكة.

2- السرمد: الدائم الذي لا ينقطع. مادة سرمد.

والثاني أيضاً جذْب لهم بتعظيم ما ينبغي أن يلتفتوا إليه وتكبيره ومدحه، والترغيب فيه، وفيما يكون وسيلة من الفضائل، والإعراض عن الدنيا وغير ذلك.

وأما الأمور المشاجرية، فما كان في كلامه عليه السلام منها؛

فإما بيان للظلم والجوْر (1) وأسبابهما وما يئولان إليه من سوء العاقبة. وقبح الخاتمة عند الله تعالى.

أو بيان للعدل وأسبابه وما يئول إليه من حسن العاقبة وحميد المنقلب إلى الله: كما يشتمل عليه كثير من كتبه إلى عمّاله ومحاربيه، ولا شك أن كل ذلك جذْب إلى الله تعالى بالتصريح والإشارة.

وإما تظلم من ظالم خرج عن رَبْقة (2) الدين، واتبع هواه، وشكاية من (3) أفعاله الخارجة عن نظام الشريعة المؤدّية إلى ضد مقاصد الشارع (4)، ولا يخفى أن مقصوده من ذلك التظلّم والشكاية، إقناعُ الخلْق بأن فلاناً ظالمٌ آخذٌ لما لا يستحقه؛ ليَثْبُتوا على الحقّ ويفيئوا إليه وينكسر وهْم من عساه يتوهم أنّ خَصمه على الحقّ، فربما كان بقاء ذلك الوهم سبباً للِّحُوق (5) به، وذلك بالحقيقة تثبيت على الحقّ، وجذب عن الباطل، وهو نفس الأمر مقصود الشارع وغايته.

وإما اعتذارٌ مما يتخيّله الجاهلون فى حقّه ظلماً وجَوْراً، كاعتذاره ب

1- الجور: نقيض العدل، وكل ما مال عن القصد.

2- الرّبْقة: في الأصل: عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، فاستعارها للدين، يعني ما يشد به المؤمن نفسه من عرا الدين، أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه. اللسان مادة ربق.

3- عن أفعاله في ب.

4- الشارع: أي الشريعة والشرع.

5- للحقوق في ب

[57 ب] عليه السلام عما تخيّله جماعة في حقّه ظلماً من (القعود) (1) عن نصرة عثمان حتى نسبوه إلى أنه قاتله (2)، وتنصّله عن ذلك. وكذلك اعتذاره فيما تخيّله الخوارج ذنباً من تحكيم الحكمين (3) وغير ذلك، فإن الاعتذار في هذه المواضع وأمثالها جذب إلى الحق، وصرف عن الباطل، إذ كان الاعتذار منه طلباً لإقناع من تخيّل فيه ظلماً بأنه ليس كما خيّل إليهم، وإن ما صدر ليس بظلم ولا جوْر، ليفيئوا إلى طاعته، والاقتداء به فيما هو عليه من اتّباع الحقِّ والنُصْرة للدين والذّب عنه (4). ومعلوم أن ذلك كله جذب إلى الله سبحانه وإلى أسباب ما يوصل إليه.

فقد علمت من هذا البيان أن غايته عليه السلام من جميع أقواله إنما هو توجيه الخلْق إلى جناب الله، والتفاتهم إلى حضرته القدسيّة، وهذه هي الغاية التي اتفق عليها الأنبياء والرسل، وتطابقتْ عليها الشرائع والسُنن، ومن تأمّل ما قلناه وترك متابعة هواه، وطبّق ما أوردناه من القانون الكليّ على كلامه، علم صحة ما ادّعيناه، وبالله التوفيق..

1- العقود في اب.

2- كما في خطبته رقم 30 من نهج البلاغة ص 73.

3- كما في خطبته بعد التحكيم رقم 125، 127. نهج البلاغة ص 182، 184.

4- الذبّ عن الدين: الدفاع عنه.

القاعدة الثالثة

في بيان أن عليّاً عليه السلام كان مستجمعاً للفضائل الانسانية.

وفيها فصول:

الفصل الأول

في فضائله اللّاحقة له من خارج، ولنذكر منها وجوهاً:

أ – نسبه من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، وهو أبو الحسن علي بن أبي طالب ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ.

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي أول هاشميّة وَلدت هاشمياً، وكان عليّ عليه السلام أصغرَ أولادها، وعُقَيْلٌ أسنّ منه بعشْر سنين، وطالبٌ أسنّ من عقيل بعشر سنين.

وهي أول امرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من النساء، وكان / [58 أ] صلى الله عليه و آله و سلم يكرمها ويدعوها أمه، وأوصت إليه حين حضرتها الوفاة فقبل وصيّتها وصلّى عليها، ويُروى أنه نزل لحْدَها (1) واضطجع معها بعد أن ألبسها قميصه، فقال له أصحابه في تخصيصها بذلك فقال: «إنه لم يكن أحدٌ بعد أبي طالب ابرَّ بي منها، وإنما ألبستُها قميصي لِتُكْسَى من حُلَل الجنّة، وإنما اضطجعتُ معها؛ لتأمنَ ضَغطة القبْر».

ب – سبْقه إلى الإسلام وفضيلته في ذلك ظاهرة.

ج – مجاهدته أعداء الله، ونصرته للدين، وذبّه عنه، ومقاماته في ذلك مشهورة مأثورة تكاد لا تحصى كثرة.

1– اللحد: القبر

د – تخصيص الرسول صلى الله عليه و آله و سلم تزويجه فاطمة دون من خطبها. من أكابر المهاجرين والأنصار.

ه – كون الحسن والحسين عليهما السلام اللذين هما سيّداً شباب أهل الجنة ولديه، وذلك فضل عظيم.

و – قوله تعالى: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) (1) قيل إنها نزلت (2) في علي عليه السلام، وفي جعل عيسى عليه السلام مثلاً له فضل عظيم، ويؤيد ذلك في قول النبي صلى الله عليه و آله و سلم له: «لولا أن تقول فيك طوائف أمتي ما قالت النصارى في عيسى لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمرّ بعده بملأٍ منهم إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك»، وهذا الكلام يقتضي أنه، لو وصفه بشيء لما وصفه إلا بأوصاف عيسى عليه السلام التي لأجلها قالت النصارى فيه ما قالوا.

ز – قوله تعالى: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا.

1– الزخرف آية 57، يصدون: يضجون ويجزعون. في شواهد التنزيل لقواعد التفضيل للنيسابوري، / 160 رقم 860 قال: أخبرنا ابو القاسم القرشي – بسنده – عن عليّ قال: جئت إلى النبي يوماً فوجدته في ملأ من قريش فنظر إلي ثم قال: يا عليّ إنما مثلك في هذه الآية كمثل عيسى بن مريم احبه قوم فأفرطوا، وابغضه قوم فأفرطوا فيه، قال: فضحك الملأ الذين عنده ثم قالوا: انظروا كيف شبه ابن عمه بعيسى بن مريم، قال: فنزل الوحي (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) وقبل هذه الرواية رواية أخرى تحت رقم 859 قال: أخبرني أبو بكر ابي الحسن الحافظ – بسنده – قال لي عليّ: فيّ نزلت (ولما ضرب ابن مريم مثلا)

2– عن ابن عباس: (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون) قال: يعني قريشاً لما قيل لهم: (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) فقالت له قريش: فما ابن مريم؟ قال: ذاك عبد الله ورسوله، فقالوا: والله لا يريد هذا إلا أن نتخذه ربّا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربّا، فقال الله عز وجل: (ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خَصمون) تفسير الطبري 52/25 ط بولاق.

وأسيراً، إنما نطعمُكُم لوجه الله) (1) الآية. اتفق المفسرون على أنها نزلت في علي عليه السلام وأهل بيته / [58 ب]، وسبب نزولها مشهور في كتب التفسير وغيرها، وكفى بذلك شرفاً.

ح - روى أنه لما نزلت (وَتَعِيها أُذُنٌ واعِيَة) (2) قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: اللّهم اجْعَلْها أذَنَ عَلِيّ (3)، ولا شكّ أن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم كان مُجابَ الدعوة، ولذلك قال عليّ عليه السلام: فما شككتُ في شيء سمعتُه بعد ذلك، وذلك من أعظم الفضائل.

ط - من طريق الكلّ قول النبي صلى الله عليه و آله و سلم في حقه: «اللهم أدرْ الحقَّ مع عليٍّ حيثُ دار» (4). ولا شك في استجابة دعائه، ومن كان الحقُ وَجْهَ أقواله وأفعاله فلا مزيد على فضْله.

ي - من طريق الكل قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «أنت منّي بمنزلة هرون من موسى إلا .

1- سورة الإنسان آية 8، 9 وتمام الآية: (إنَّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً).

2- سورة الحاقة آية 12 وتمام الآية: (لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية).

3- نصّ الحديث: اللهم اجعلها أذن عليّ والحديث في شواهد التنزيل لقواعد التفضيل للنيسابوري 2 / 278 رقم 1016 قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد التميمي، أخبرنا يحيى بن صالح، أخبرنا عليّ بن حوشب عن مكحول في قوله: (وتعيها أذن واعية) قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: فسألت ربي اللهم اجعلها أذن علي فكان علي يقول: ما سمعت من نبيّ الله كلاماً إلا وعيته وحفظته فلم أنْسه. وفي فضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروز آبادي 2/ 272 قوله تعالى: (وتعيها اذن واعية) قال: (تفسير ابن جرير الطبري 29 / 35) روى بسنده عن مكحول يقول: قرأ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم (وتعيها أذن واعية) ثم التفت إلى عليّ عليه السلام فقال: «سألت الله أن يجعلها أذنك قال عليّ عليه السلام: فما سمعت شيئاً عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فنسيته.

4- جزء من حديث للرسول صلى الله عليه و آله و سلم آخره: «رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معه حيث داره حديث غريب باب المناقب صحيح الترمذي 13 / 166.

أنّه لا نبيّ بعدي» (1)، والاستثناء هنا يشهد بإثبات جميع المنازل التي كانت لهرون من موسى إلا النبوّة، وما علم نفيه من الأخوة فبقي كونه وزيراً أو ناصراً وقائماً بناموس الشريعة، ومفرّعاً لأحكامها الكلّيّة، وخليفة له؛ كما كان هرون كذلك، ومن هنا تمسّكت الشيعة بهذا الخبر في استحقاقه للخلافة، وكفى بهذه فضيلة.

ك – من طريق الكل قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» (2) وسواء كان المراد هاهنا بالمولى: الأولى بالتصرف، أو الناصر فإن الفضل حاصل.

ل – قوله صلى الله عليه و آله و سلم في حقه «أقضاكم عليّ» (3) ولا شك أن القضاء محتاج إلى أنواع العلوم، وكفى بشهادة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بذلك فضلاً.

م – قوله صلى الله عليه و آله و سلم: أُعْطيتُ جوامعَ الكَلِم، وأُعطيَ عليّ جوامع العلم وكفى بهذه الشهادة فضلاً.ي.

1- الحديث رواه البخاري، ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة 187/4 باب من فضائل علي بن أبي طالب، وأحمد في مسنده 5/ 31، والنسائي وابن ماجه، والطبراني في الأوسط.

2- الحديث: اللهم من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأعنْ من أعانه مسند احمد 5/ 32 و ذكره الطبراني في الكبير. والحديث في مجمع الزوائد 17/7 بلفظ عن عمار بن ياسر قال: وقف على عليّ بن أبي طالب – رضي الله عنه – سائل – وهو راكع – في تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل فأتى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أعلمه بذلك فنزلت على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم هذه الآية: (إنما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) فقرأها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ثم قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال الهيثمي: رواه الطبراني من الأوسط. والحديث في المطالب العالية 60/4 رقم 3957، 3958 قال البوصيري: رواه أبو يعلى والبزار ومدار أسانيدهم على داود بن يزيد الأودي، وهو ضعيف.

3- قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لصحابته حين اطلع على فتاوي عليّ وقضائه في اليمن: «عليّ أقضاكم» وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال عمر رضي الله عنه: «أقرؤنا أبيّ، واقضانا عليّ» فتح الباري بشرح البخاري كتاب التفسير 233/9 ط الحلبي.

ن – من طريق الشيعة أن خوطب بإمرة المؤمنين في حياة [59 أ] الرسول صلى الله عليه و آله و سلم وأنكره المحدّثون من غيرهم.

روى أحمد في مسنده في كتابه في فضائل الصحابة، وكذلك أبو نعيم الحافظ (1) الأصفهاني في كتاب حلية الأولياء: أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم خاطبه بيعْسُوب المؤمنين (2)؛ واليعسُوب أمير النحْل، وكل ذلك إشارةٌ إلى فضله.

س – تربيته رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من أول عمره إلى أن أعده لأعلى مراتب الكمالات النفسانية. (3)

قال عليه السلام في تربية النبي صلى الله عليه و آله و سلم واتّباعه أثره في خطبته المسماة بالقاصعة (4) وقد علمتُمْ مَوْضعي من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالقرابةِ القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حِجْره وأنا وليدٌ يضُمّني إلى صدره، ويكْنُفُني في فراشه، ويُمسّني جسدَه، ويُشِمُّني عَرْفه (5)، وكان يمْضُغُ ة

1– أبو نعيم الحافظ: هو الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفي 430 ه وكتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء هو أكبر موسوعة في تاريخ نسّاك هذه الأمة وزهادها ويشتمل على زهاء ثمانمائة ترجمة، وهو مطبوع في عشرة مجلدات.

2– اليعسوب هو السيد والرئيس والمقدم، ويعسوب الدين: سيد الناس في الدين اللسان مادة عسب. ومخاطبة الرسول لعليّ بأنه يعسوب النحل رواه احمد في مسنده في كتابه عن فضائل الصحابة 5 / 30، 31، وأبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء، أن الرسول خاطب علياً بأنه يعسوب النحل. وورد في كشف الخفاء للعجلوني 228/1 تحت رقم 596 بلفظ أمير النحل عليّ وقال: قال في المقاصد: لا أصل له، وان وقع في كلام ابن سيده في المحكم: اليعسوب امير النحل ورواه الطبراني من حديث أبي ذر وسلمان. وقال عليّ كرم الله وجهه: أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجّار أي أن المؤمنين يتبعونني، والفجار يتبعون المال كما تتبع النحل يعسوبها وهو رئيسها نهج البلاغة 530.

3– تربية في النسخة ب.

4– القاصعة: من قصع فلان فلاناً: أي حقره؛ لأنه عليه السلام حقر فيها حال المتكبرين.

5– عرفه: رائحته الذكية

الشيءُ ثم يُلْقِمُنِيه، وما وجد لي كَذْبةً في قول ولا خَطْلة (1) في فعل، ولقد قرن الله به صلى الله عليه و آله و سلم مِن لدُنْ أن كان فطيماً أعظمَ ملَك من ملائكته يسلك به من طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليلَه ونهاره، ولقد كنت اتّبعه اتباع الفِصِيل (2) أثَر أمّه، يرفع لي في كل يوم عَلَماً (3) من أخلاقه، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يُجاوِرُ في كل سنة بحراء (4) فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمعْ بيت واحد يومئذ في الإسلام غيرَ رسولِ الله صلى الله عليه و آله و سلم وخديجةَ وأنا ثالثُهما، أرى نورَ الوحْي والرسالة، وأشمُّ ريح النبوة، ولقد سمعتُ الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه و آله و سلم، فقلت يا رسول الله: ما هذه الرّنَّة؟ فقال: «هذا الشيطانُ قد أَيِسَ من عبادته إنك تسمعُ ما أسمع، وترى ما أرى، إلا / [59] أنك لست بنبيّ، ولكنك لوزير، وإنك لعلى خير (5)، إلى آخر الكلام، حتى صار بهذه التربية أستاذ العالمين بعده صلى الله عليه و آله و سلم في جميع العلوم.

وبيان ذلك؛ إما جملة، فلقول النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «أنا مدينة العلم، وعليّ بابها» (6) ولا شك أن المقصود أنه صلى الله عليه و آله و سلم هو المنبع الذي تفيض عنه العلوم ه

1- الخطلة: مفرد الخطل، وهو الخطأ الناشيء من عدم الروية.

2- الفصيل: ولد الناقة.

3- في نهج البلاغة: في كل يوم من اخلاقه علماً ص 300.

4- حراء: جبل قريب من مكة.

5- نهج البلاغة ص 300.

6- الحديث: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد العلم فليأت الباب. في مسند أحمد 5 / 30، 31. والطبراني في الكبير، وأورده الحاكم في المستدرك 3 / 126 (كتاب معرفة الصحابة) عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن اراد المدينة فليأت الباب» قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد. قال الذهبي في التلخيص: قلت: بل موضوع. والحديث في تاريخ بغداد 377/2. وأورده القرطبي في تفسير 336/9، قال القاضي أبو بكر بن العربي: أما من قال أنه

الإسـلامية والأسرار الحُكْمية التي اشتمل عليها القرآن الحكيم، والسّنة الكريمة، وهو مصدرها، والمحيط بها؛ لأن شأن المدينة بما تحتوي عليه كذلك. وأن عليّاً عليه السـلام هو المفرّع لتلك الأسـرار والمهتدي لتفاصيل جملها، وأحكامها الكليّة بحسب ماله كمال الحدْسِ (1)، وقوة الاسـتعداد، بحيث تصـير تلـك الأسـرار سـهلةَ التناول، قريبـة المأخـذ بسائر الخلق؛ لأنّ الباب هو الجهـة التي منها ينتفع الخلق من المدينة، ويمكنهم تناول ما أرادوه منها.

وإما تفصـيلاً؛ فإنّا بحثْنا العلوم بأسرها فوجدنا أعظمَها وأهمَّها هو العلْم الإلهي (2)، وقد ورد في خطبه عليه السـلام من أسرار التوحيد (3) والنبوات (4) والقضاء والقدر (5)، وأسرار المعاد (6)، كما سـنبيّنه، مالم يأت في كلام أحد من أكابر العلماء وأساطين الحكمة، ثم وجدنا جميع فرق الإسلام تنتهي في علومهم إليه.

أما المتكلمون؛ فأما المعتزلة (7) وانتسابهم إليه ظاهر؛ فإن أكثر 6.

1- الحدس: التوهم في معاني الكلام والأمور، والحدس أيضاً: الظن والتخمين.

2- في الخطبة رقم 49 من نهج البلاغة ص 87 جملة من صفات الربوبية والعلم الإلهي.

3- كما في الخطبة الأولى من نهج البلاغة ص 39، 40.

4- كما في ذكره اختيار الأنبياء وصفة خلق آدم عليه السلام ص 42، 43.

5- نهج البلاغة ص 481، 526، 527، 537.

6- نهج البلاغة ص 108، 109.

7- المباديء العامـة للمعتزلة تتركز في خمسة أصول هي: التوحيد والعدل والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الانتصار 126.

أصولهم مأخوذة من ظواهر كلامه في التوحيد والعدل، وأيضاً فإنهم ينتسبون إلى مشايخهم كالحسن البصري (1) وواصل بن عطاء (2)، وكانوا منتسبين إلى علي عليه السلام، ومتلقفين عنه العلوم.

وأما أشعرية، ومعلوم أن استاذهم ابو الحسن الأشعري (3)، وقد كان تلميذاً لأبي عليّ الجبّائي (4)، وهو من / [60 أ] مشايخ المعتزلة، إلا أنه تنبّه لما وراء أذهان المعتزلة فخالف أستاذه في مواضع تعلّمها من مذهبه.

وأما الشيعة (5)، فانتسابهم إليه ظاهر، فإنهم يتلقّفون العلوم عن أئمتهم، وأئمتهم يأخذ بعضهم عن بعض إلى أن ينتهي إليه وهو إمامهم الأول.

وأما الخوارج (6) فهم وإن كانوا في غاية من البعد عنه، إلا أنهم 7.

1- هو الحسن بن يسار البصري امام أهل البصرة وغاية في الفصاحة ولد سنة 21 ه وتوفي 110 ه الاعلام 2 / 242.

2- واصل بن عطاء: زعيم المعتزلة بالبصرة، سمي اصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري، ومنهم طائفة تنسب إليه تسمى الواصلية 80 - 131 ه الإعلام 9 / 121.

3- كان تلميذاً للجبّائي المعتزلي ثم خرج عليه وعلى مذهب المعتزلة، وهو مؤسس المذهب الكلامي الاسلامي الذي يعرف باسم الأشعرية والذي يعرف بمذهب اهل السنة 873 - 941م الموسوعة 166.

4- من ائمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره 235 - 303 ه. الاعلام - الزركلي 136/7.

5- الشيعة هم اصحاب علي واتباعه، وقد رأوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه و آله و سلم أن أهل بيته أولى الناس ان يخلفوه وأولى أهل البيت العباس عم النبي وعلي ابن عمه، وعلي اولى من العباس فجر الاسلام 266 ط 7.

6- الخوارج: هم الذين خرجوا على عليّ وصحبه بعد التحكيم، وقد حاربهم علي في الوقعة الشهيرة بوقعة النهروان وهزمهم وقتل منهم كثيراً، فأمعنوا في كره علي ودبروا مكيدة قتله على يد عبد الرحمن بن مُلْجَم الخارجي، فجر الاسلام ص 257.

ينتسبون إلى مشايخهم، وقد كانوا تلامذة علي عليه السلام.

وأما المفسرون فرئيسهم ابن عباس (1) – رضي الله عنه – وقد كان تلميذ عليّ عليه السلام.

وأما الفقهاء فمذاهبهم المشهورة أربعة:

أحدها: مذهب أبي حنيفة ومن المشهور أن أبا حنيفة (2) قرأ على: الصادق (3) عليه السلام، وأخذ عنه الأحكام، وانتهاء الصادق عليه السلام إلى عليّ عليه السلام ظاهر.

الثاني: مذهب مالك (4)، وقد كان مالك تلميذ الربيعة، (5) وربيعة تلميذ عكرمة (6)، وعكرمة تلميذ عبد الله بن عباس، وقد كان تلميذاً لعليّ عليه السلام.

الثالث: مذهب الشافعي (7)، وقد كان الشافعي تلميذاً لمالك.8.

1- هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وكان يقال له الحبر والبحر؛ لكثرة علمه تهذيب التهذيب – ابن حجر العسقلاني 5 / 276 ط الهند.

2- ابو حنيفة هو النعمان بن ثابت بن زوطى فارسي الأصل، ولد بالكوفة 80 ه ومات ببغداد 150 ه ومنهجه الأخذ بالكتاب والسنة وفتاوي الصحابة ثم بالقياس والاستحان والعرف. الموسوعة 32.

3- هو جعفر الصادق سادس أئمة الشيعة الامامية ولد بالمدينة وعاصر الدولة الأموية والعباسية 699 – 765 الموسوعة 634.

4- هو مالك بن أنس الأصبحي المدني، ولد سنة 93 أو 97 وتوفي 179 ه ض الاسلام 206/2.

5- هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ التيميّ المعروف بربيعة الرأي وعنه اخذ مالك توفي بالمدينة 136 ه.

6- هو عكرمة بن خالد بن العاص روى عن ابيه وابي هريرة، وابن عباس وابن عمر. تهذيب التهذيب 258/7 تهذيب التهذيب 3 / 258.

7- الشافعي هو محمد بن ادريس ولد سنة 150 ه ت 204 ه ض الاسلام 2/ 218.

الرابع: مذهب احمد بن حنبل (1)، وكان أحمد تلميذ الشافعي فرجع انتساب فقه الجميع إلى عليّ عليه السلام.

ومما يؤيد كماله في الفقه قول الرسول صلى الله عليه و آله و سلم: «أقضاكم عليّ» (2) والأقضى لا بدّ أن يكون أفقه وأعلم بقواعد الفقه وأصوله.

وأما الفصحاء، فمعلوم أن جميع من ينسب إلى الفصاحة بعده يملأون أوعية أذهانهم من ألفاظه، ويضمّنونها كلامَهم وخطبّهم، فتكون منها بمنزلة ورد العقود، كابن نباته (3) وغيره، والأمر في ذلك ظاهر.

واما النحويّون؛ فأول واضع للنحو هو أبو الأسود الدؤلي (4)، وكان ذلك بإرشاده له إلى ذلك، وبداية / [60 ب] الأمر أن أبا الأسود سمع رجلاً يقرأ: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُ) (5) بالكسر. فأنكر ذلك، وقال: «نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر» (6) أي من نقصان الإيمان .

1- احمد بن حنبل ولد ونشأ في بغداد 164 ه وتوفي ببغداد سنة 241 ه ص الاسلام 235/2.

2- سبق ذكره في ص 106.

3- ابن نباته شاعر ولد ومات ببغداد ويعتمد في شعره على البديع من جناس وطباق وله ديوان شعر مطبوع. وهو عبد العزيز بن عمر التميمي المعروف بابن نباتة السعدي 938 - 1015 م الموسوعة العربية 28.

4- هو ظالم بن عمرو اول من اسس النحو وصحب علياً وشهد معه صفين ومات سنة 69 ه بقية الرعاة 22/2.

5- التوبة 3.

6- هذا كلام مروي عن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم: اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، وسوء المنظر في الأهل والمال و المجازات النبوية ص 113 ط الحلبي والحور بعد الكور مأخوذ من طور القمامة بعد كورها وهو نشرها بعد طيّها والمراد تفكك الأمور بعد انضمامها، والقلة بعد الكثرة والنقصان بعد الزيادة فكأنه تعوّذ من الانتقال من حال حسنة إلى حال سيئة. وهذا دعاء دعا به علي كرم الله وجهه ربه عند عزم علي المسير إلى الشام نهج البلاغة 86.

بعـد زيـادته، وراجع عليـاً عليه السـلام في ذلك، فقال له: نحوْتُ أن أضع للناس ميزاناً يقوّمون به ألسـنتهم، فقال له عليه السـلام: أنـحُ نحوه وأرشَده إلى كيفيّة ذلك الوضع وعلّمَه إياه.

وأما علماء الصوفية وأرباب العرفان، فنسبتهم اليه في تصفية الباطن، وكيفية السلوك إلى الله تعالى ظاهرة الانتهاء.

وأما علماء الشجاعة والممارسون إياه للأسلحة والحروب، فهم أيضاً ينتسبون إليه في علم ذلك.

فثبت بذلك أنه كان أستاذ الخلْق وهاديهم إلى طريق الحق بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، ومناقبه وفضائله أكثر من أن تُحصى، وبالله التوفيق.

ص: 203

الفصل الثاني

في بيان فضائله النفسانيّة:

وهي إما أن يُعتبر بالنسبة إلى قوّته النظرية، و إلى قوته العملية، فإذن هاهنا بحثان:

البحث الأول: في أنه عليه السلام كان مستجمعاً لكمال قوّته النظرّية، وقد علمت أن كمال القوة النظريّة، إنما هو باستكمال الحكمة النظرية؛ وهي استكمال النفس الإنسانية بتصوّر المعارف الحقيقة، والتصديق بالحقائق النظرية بقدر الطاقة البشرية، ولا شك أن هذه الدرجة كانت ثابتة له عليه السلام.

وبيان ذلك ببيان أنه عليه السلام كان سيد العارفين بعد سيدِ المرسلين صلى الله عليه و آله و سلم، و إنه كان متسنّماً لدرجة الوصول.

وتحقيق ذلك أنه قد ثبت في علم كيفيّة السلوك أن وصول العارف إنما يحقّ إذا غاب عن نفسه فلحظ جناب الحق من حيث إنه هو فقط، و إن لحظ نفسه فمن حيث هي لاحظ، لا من حيث هي متزيّنة بزينة الحق، ثم إنه قد وُجد في كلامه و إشاراته ما يستلزم حصول هذه المرتبة له، ولنذكر منها مواضعَ ثلاثة:

الأول: قوله عليه السلام: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً».

وقد عرفت أن ذلك إشارة إلى أن الكمالات النفسانية المتعلقة بالقوة النظرية قد حصلت له بالفعل، وذلك يستلزم تحقّق الوصول التام الذي ليس في قوة الأنبياء نيْلُه.

الثاني: قوله عليه السلام حكاية عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في حقه «إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبيّ» ولا إشكال في أن

النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان له الاتصال التام بالحق تعالى فكان هذا الاتصال والوصول حاصلاً لعليّ عليه السلام بمقتضى شهادة الرسول، وإن كـان التفـاوت بين المرتبتين قائمـاً؛ لأـن للاتصال بالجناب الأقـدس درجات لا تتناهى، ولـذلك قال: «إلا أنك لست بنبيّ». وستعلم من تفاصيل كلامه عند الانتهاء إليه تحقيق هذه المرتبة.

الثالث: قوله عليه السلام: «إلهي ما عبدتُك خوفاً من عقابك، ولا رغبةً في ثوابك، ولكن وجدتُك أهلاً للعبادة فعبدتُك».

وجه الاسـتدلال أنه حـذف كل قيد دنيويّ وأخرويّ عن درجة الاعتبار سوى الحق تعالى، وذلك مما يتحقّق له الوصول، ومما يؤيد ذلك أنا سنبيّن إن شاء الله تعالى تمكّنه عليه السلام من الكرامات وصدورها عنه، وذلك من خواص الواصلين.

البحث الثاني: في بيان كماله في قوته العملية (1).

وكما علمت أن كمال القوة النظرية إنما هو باستكمال الحكمة النظرية، فكذلك كمال القوة العملية إنما هو باستكمال الحكمة العملية، وهي استكمال النفس بكمال الملكة التامة على الأفعال الفاضلة حتى يكون الإنسان ثابتاً على /[61 ب] الصراط المستقيم متجنّباً لطرفي الإفراط والتفريط في جميع أفعاله، ثم قد ثبت في علم الأخلاق أن أصول الفضائل الخلقية ثلاثة:

أحدها: الحكمة الخلقية وهي الملكة التي تصدر عنها الأفعال المتوسطة بين الجَرْبَزة (2) والغباوة اللذين هما طرفا الإفراط والتفريط.

وأنت تعلم من تصفّح أفعاله وأقواله وتدابيره في أمور الحرب ونظام .

1- في قوته العلمية ب.

2- الجربزة: الخداع والخبث، وهو معرّب. مادة جربز.

أمور العالم ما تضطر معه إلى الحكم بأنه كان مستلزماً لهذه الفضيلة وغير واقف دونها في حدّ الغباوة، ولا متجاوز لها إلى طرف الجريزة؛ لأن خبث المتجربز يمنعه عن الترقي إلى درجة الكمال، ويأبى طبعه إلا الشر.

وثانيها: العفة وهي الملكة الصادرة عن اعتدال حركة القوة الشهوية بحسب تصريف العقل العملي لها على قانون العدل، وبها تصدر الأفعال المتوسطة بين الجمود والفجور اللذين هما طرفا الإفراط والتفريط، ونبيّن أن هذه الملكة كانت ثابتة له عليه السلام من وجهين:

الأول: إنه كان أزهد الخلق في الدنيا بعد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم وفيما عدا القبلة الحقيقية، واقدر على حذف الشواغل الملفتة عن لقاء الله، وكل من كان كذلك، كان مالكاً لهواه، مصرّفاً لشهوته بيد عقله.

أما المقدمة الأولى فمعلومة بالتواتر وأما الثانية فضرورية أيضاً.

الثاني: قول النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «اللهمّ أَدِرِ الحقَّ مع عليّ حيثُ دار (1) ولا شك في استجابة دعائه، ومن كان الحق لازماً لحركاته وتصرفاته استحال أن يلزمها باطل؛ لأن الأمر الواحد لا يلزمه لازمان مختلفان، فاستحال أن يكون مطيعاً (2) للهوى البتة، وهو معنى العفة.

ومما يؤكد حصول هذه الملكة ما روي أنه عليه السلام ما شبع من طعام قطّ، وأنه / [62 أ] كان من أخشن الناس ملبساً ومأكلاً، يقنع بقرص الشعير ولا يأكل اللحم إلا نادراً، أو كان يقول: «لا تجعلوا بطونكم مقبرةً للحيوان» ويقصد بذلك التنفير عنه، وكل ذلك زهادة في الدنيا ولذّاتِها.

وثالثها: الشجاعة وهي الملكة الحاصلة للنفس عن اعتدال القوة الغضبية بحسب تصريف العقل فيما يضبطه لها، وبها تصدر الأفعال المتوسطة بين أفعال الجبن والتهور. .

1- سبق في ص 106.

2- متبعاً في ب.

وثبوت هذه الفضيلة له عليه السلام معلوم بالتواتر حتى صارت شجاعته يضرب بها المثل مبالغة في حق الرجل الشجاع.

وإذا عرَفت أن هذه الملكات الثلاث ثابتة له كأتمّ ما يمكن، وثبت أنها مستلزمة لفضيلة العدالة ثبت أن فضيلة العدالة ثابتة له.

وأما باقي أقسام الحكمة العملية كالحكمة السياسية والمنزلية، فقد علمت أن فائدتهما أن يعلم الإنسان وجه المشاركة التي ينبغي أن تكون من أشخاص الناس؛ ليتعاونوا على مصالح الأبدان ونظام مصالح المنزل والمدينة.

وقد كان عليه السلام في ذلك سبّاق غايات وصاحب آيات، ويكفيك في معرفة ذلك منه.

أما على سبيل الجملة؛ فلأن الشريعة المصطفوية سلام الله على شارعها واردةٌ بمقاصدها بين الحكمتين على أتم الوجوه وأكملها بحيث يرجع أكابر الحكماء إليها في تعلمها.

ومعلوم أن عليّاً عليه السلام كان متمسكاً ومقرراً لها، وباسطاً لأحكامها الكلّية ومفصّلاً لإشاراتها الجُمْلية لم يغيّر منها حرفاً، ولم يقف فيها دون غاية، وذلك يستلزم ثبوتها له على أكمل وجه وأتمه.

وأما على سبيل / [62 ب] التفصيل، فعليك في معرفة أنه كان أكمل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في هذا العلم بمطالعة كتبه وعهوده إلى عمّاله وولاته وأمرائه وقضاته، خصوصاً العهد الذي كتبه للأشتر (1) النخعي، فإن .

1- هو من كتبه عليه السلام للاشتر النخعيّ، لمّا ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر، وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن، ويستهله بقوله بعد البسملة: «هذا ما أمر به عبدالله على أمير المؤمنين، مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر. نهج البلاغة 426.

فيه من لطائف تـدبير أمر المدينـة ونظام أحوال الخلق مالا يهتـدي لحسـنه، ولا يوجـد عليه مزيد من هذا الباب وهذا مع ما توافر من رجوع أكابر الصـحابة المعترف بحسن تدبيرهم، وإيالتهم (1) إلى اسـتشارته في أمورهم وتعرّف كيفيّـة تدبير العساكر والحروب والمصالح الكلّية والجزئيـة منه في مواضع كثيرة تعلمها في هذا الكتاب وفي غيره؛ كرجوع عمر إلى رأيه في الخروج مع المسـلمين إلى غزو الروم، وغير ذلك مما هو مشـهور مأثور، وما أشار عليهم به من الآراء الكافلـة بحسن التـدبير و الإيالة الوافية بنظام الحركات المدنيّة، كما سـتعلم إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق. .

1- رجوعهم إلى استشارته.

الفصل الثالث

في صدور الكرامات عنه

وفيه بحثان:

الأول: في إخباره عن الأمور الغيبيّة والنظر إما في إمكان ذلك، أو في سببه أو في وقوعه منه، فهاهنا - إذن - ثلاث مقامات:

المقام الأوّل: في إمكانه:

يجب عليك أيّها الأخ المتلّقي لنفحات الله إذا ذُكر أنّ خليفةً من خلفاء الله أو وليّاً من أوليائه أخبر عن أمر سيكون مبشّراً به أو منذراً مما لا يفي بدركه فوتك - وأنت أنت - فأصاب أن لا تبادر إلى التكذيب بأمثال ذلك وتستنكره، فإنك عند مراجعة عقلك وتصفّحك لأحوال نفسك، تجد كلّ ذلك ممكناً، وإليه سبيلاً.

بيان ذلك أن معرفة الأمور الغيبيّة / [63 أ] في النوم ممكنة، فوجب أن يكون في اليقظة كذلك.

أما الأول؛ فلأن الإنسان كثيراً ما يرى في نومه شيئاً ويقع بعده إما صريح تلك الرؤيا، أو تعبيرها (1)، وذلك يوضح ما قلناه:

أما في حق الرائي فظاهر.

وأما من لم يرزق ذلك في حال النوم، فإنه يعلمه بالتواتر من أكثر الخلق.

1- تعبير الرؤيا: ما تشير إليه وتدل عليه، وعبرت الرؤيا: ذكرت عاقبتها وآخر أمرها، كما تقول: عبرت النهر: إذا قطعته حتى تبلغ آخره وعرضه وفي التنزيل (يا أيها الملا أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعْبرون) يوسف 43.

الثاني: فلأن ذلك لما صح في حال النوم لم يمكن الجزم بامتناعه في حال اليقظة، فإن الناس لو لم يجرّبوا ذلك في حال النوم، لكان استبعادهم له في تلك الحال أشد من استبعادهم لوقوعه في حال اليقظة، فإن عند عدم التجربة لو قيل لإنسان: إن جماعة من الأولياء اجتهدوا في تلويح مفكراتهم الصافية حال ماهم إيقاظ في تحصيل حكم غيبي فعجزوا.

ثم إن واحداً من الكفار لما نام وصار كالميت حصل له ذلك الحكم، فلا بدّ أن تكذب ذلك وتستنكره لعدم حصوله مع كمال الحركة، وسلامة الحواس عن الغلط (1)، وكمال العبادة وحصوله مع أضداد ذلك.

فقد بان بذلك أنه لما كان في حال النوم ممكناً كان في حال اليقظة كذلك.

أما المقام الثاني: وهو بيان السبب في الاطلاع على الأمور الغيبية؛ فأما في حال النوم فهو أنه قد ثبت في العلم الإلهي أن جميع الأمور – التي يَصْدُق عليها أنها كانت أو ستكون – معلومةٌ الله تعالى، وثبت أن النفس الإنسانية من شأنها الاتصال بجناب الله تعالى وإنما يعوقها عن ذلك استغراقها في تدبير البدن، فإذا حصل لها أدنى فراغ من ذلك كما في حال النوم وانغلقت عليها أبواب الحواسّ الظاهرة، رجعت بطباعها إلى الاتصال بالجناب المقدس، فينطبع فيها من الصور / [636 ب] الحاصلة هناك ما هو أليق بها من أحوالها، وأحوال ما يقرب منها من الأهل والولد وما يُهتمّ به.

ثم أن المخيّلة التي من طباعها المحاكاة تحاكي تلك المعاني الكلية الحاصلة للنفس، وتمثلها بصورة جزئية ولحْظها (2) إلى لوح الخيال الحافظ للصور، فتبقى تلك الصورة شاهدة للحس المشترك.

ثم إن كانت تلك الصور شديدة المناسبة لتلك المعاني بحيث لا .

1- وسلامة الحواس عن الغلظة في ب.

2- وتحطها إلى لوح الخيال في ب.

افتراق بينهما إلا في الكلية والجزئية، كانت الرؤيا غنيّة عن التعبير.

وإن كانت المناسبة حاصلةً بوجه كمال إذا تُصُوّر المعنى بصورة ضده أو لازم من لوازمه أصبَح حينئذ إلى التعبير.

وفائدة التعبير: التحليل ورجوع الفكر بالعكس من الصورة الخياليّة إلى المعنى النفساني.

وإن لم يكن هناك مناسبة أصلاً، كانت الرؤيا أضغاث أحلام (1).

وأما في حال اليقظة فالسبب في ذلك هو أن النفس الناطقة متى قويتْ وكانت وافيةً بضبط الجوانب المتجاذبة، ولم يكن اشتغالها بتدبير البدن عائقاً لها عن ملاحظة مباديها والاتصال بالحضرة لإلهية، وكانت متخيلة بحيث تقوى على استخلاص الحس المشترك وضبطه عن الحواس الظاهرة، فإن النفس – والحال هذه – إذا توجّهت إلى الجناب المقدس لاستعلام ما كان أو ما سيكون، أُفيضت عليها الصورُ الكليّة لتلك الأمور.

ثم أن النفس تستعين في ضبط تلك الأمور الكلية بالقوة المتخيّلة فتحاكي تلك المعاني بما يشبهها من الأمور المحسوسة، ثم تحطّه إلى خزانة الخيال فيصير شاهداً للحس، فربما سمع الإنسان كلاماً / [64 أ] منظوماً، وشاهدَ منظراً بهياً، يخاطبه بكلام فيما يحبّه من أحواله، فإن كان لا تفاوت بين تلك المعاني والصور إلا في الكلية والجزئية، كان ذلك وحْياً صريحاً، وإلهاماً، وإلا احتاج إلى التأويل.

وأما المقام الثالث: وهو صدور الإخبار بالأمور الغيبية عنه، فستعلمها في مواضع كثيرة من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى. .

1- أضغاث أحلام: تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان، وأصل الأضغاث: ما جمع من أخلاط النبات وحزم، والواحد: ضعت ومنه قوله تعالى: (قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) يوسف 44.

لا يقال: لا نسـلّم أن ذلك علم ألهمه الله إياه، وأفاضه عليه؛ بل الرسول عليه السـلام أخبره بوقائع جزئيـة من ذلك، وحينئذ لا يبقى بينه وبين غيره فرق في هذا المعنى، فإن الواحد منا لو أخبره الرسول عليه السـلام بشـيء من ذلك لكان له أن يحكي ما قال الرسول وإن وقع المخبَر به على وَفق قوله، ويـدل على ذلك قوله بعد وصف الأتراك (1)، وقد قال له بعض أصـحابه في ذلك المقام: «لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب» فضـحك وقال للرجل - وكان كلْبيّاً - يا أخا كلب ليس هذا بعلم غيب، وإنما هو تعلُّمٌ من ذي علم، وإنما علم الغيب علم الساعة، وما عـدّده الله سـبحانه من قوله: (إن الله عنـده علمُ الساعة وينزِّل الغيثَ ويعْلَم ما في الأرحام) (2) من ذكر وأنثى، وقبيح وجميل، وشـقيّ وسعيد، ومن يكون للنار حطباً، أو في الجنان للنبيين مرافقاً، فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلّا الله، وما سوى ذلك فعلْمٌ علّمه الله نبيّه صلى الله عليه وآله فعلّمنيه، ودعا لي بأن يعيَه،صدري، وتَضْطَمٌ عليه جوانحي.

وهذا تصريح بأنه تعلّم من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؛ لأنا نقول: إنّا لم ندّع أنه عليه السلام كان يعلّم الغيب؛ بل المدعى أنه كان لنفسه / [64 ب] القدسية استعدادٌ أن ينتقش بالأمور الغيبية عن إفاضة جود الله تعالى. وفرق بين علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وبين ما أدّعيناه فإن المراد بعلم الغيب هو .

1- من خطبـة له رضـي الله عنه في وصف الأـتراك مطلعهـا كـأني أراهم قومـاً كان وجوههم المَجَانَ المُطَرَّقـة يلبسون السـرق والـديباج، ويعتبقون الخيـل العتاق، ويكون هناك اسـتحرار قتل، حتى يمشـي المجروح على المقتول، ويكون المفلت أقل من المأسور! فقال له بعض أصـحابه إلخ. نهج البلاغة 186. المجان المطرقـة: النعال التي اصـلق بها الجلـد، السـرق: شـقق الحرير الأبيض، يعتبقون الخيل العتاق: يحبسون كرائم الخيل ويمنعونها غيرهم. اسـتمرار القتل: اشـتداده، تضـطمّ عليه جوانحي: تنضم عليه ضـلوع الصدر أي تشـتمل على قلب يعيها.

2- سورة لقمان آية 34، وتمام الآية: (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير).

العلم الـذي لا يكون مسـتفاداً عن سـبب يفيـده، وذلك إنما يصدُق في حقّ الله تعالى. وكل علم لذي علم عداه فهو مسـتفاد من جوده، إما بواسـطة أو بغير واسـطة فلاـ يكون علم غيب وإن كان اطلاعاً على أمر غيْبيّ لا يتأهّل للاطلاع عليه كلُ الناس؛ بل يختص بنفوس خصّـت بعناية إلهية كما قال تعالى: (عالمُ الغَيْبِ فلا يُظهِرُ عَلى غَيْبه أحداً إلّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسولٍ) (1).

وإذا عرفت ذلك ظهر أن كلامه عليه السـلام صادقٌ مطابقٌ لما أردناه، فإنه نفى أن يكون ما قاله علم غيب؛ لأنه مسـتفاد من جود الله تعالى، وقـوله: «إنمـا هو تعلّمٌ من ذي عِلم إشـارةٌ إلى وساطـة تعليم الرسول له وهو إعـداد نفسه على طول الصّحبة بتعليمه وإرشـاده له إلى كيفيّة السلوك، وأسباب التطويع والرياضة حتى استعد للانتقاش بالأمور الغيبية والإخبار عنها، وليس التعلم هو إيجاد العلم وإن كان أمراً قد يلزمه إيجاد العلم.

فتبيّن – إذن – أنّ تعليم رسول الله صـلى الله عليه وآله له لم يكن مجردَ توقيفه على الصور الجزئيـة؛ بـل إعـداد نفسه بـالقوانين الكليـة، ولو كـانت الأمور التي تلقّاها عن الرسول عليه السـلام صوراً جزئيـة لم يحتـج إلى مثل دعائه في فهمه لها؛ فإن فهم الصور الجزئيـة أمر ممكن سهـل في حق من له أدنى فَهم وإنمـا يحتـاج /[65 أ] إلى الـدعاء وإعـداد الأذهان له بأنواع الإعـدادات هو الأمور الكليـة العامة للجزئيات وكيفيّة انشعابها عنها وتفريعها وتفصيلها، وأسباب تلك الأمور المعدّة لإدراكها.

ومما يؤيد ذلك قوله عليه السلام: «علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألْفَ باب من العِلْم فانفتح لي من كلّ باب ألْفُ باب» (2). .

1- الجن آية 26، 27 (إلا من ارتضى من رسول فإنه يَسْلُك من بين يديه ومن خلفه رصد).

2- عن عليّ، قال: علمني رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ألفَ باب كل باب يفتح ألف باب رواه أحمد مسنده 43/5.

وقول الرسول صلى الله عليه و آله و سلم «أُعْطِيتُ جوامعَ الكَلِم، وأُعْطِي عليٌّ جوامعَ العلم» والمراد بالانفتاح؛ ليس إلا التفريع وانشعاب القوانين الكلّية عمّا هو أعمّ منها.

وبجوامع العلم ليس إلّا ضوابطه وقوانينه في قوله «وأعطى» بالبناء للمفعول دليل ظاهر على أن المعطى جوامع العلم ليس هو النبي؛ بل الذي أعطاه ذلك هو الذي أعطَى النَّبيَّ جوامعَ الكَلِم، وهو الله سبحانه وتعالى.

أما الأمور التي عدّدها الله سبحانه فهي من الأمور الغيبية، وقوله: لا يعلمها أحدٌ إلّا الله تعالى، كقوله تعالى: (وعنده مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُها إلا هُوَ) (1) وهو محتمل للتخصيص كما في قوله: (عالم الغيب فلا يُظْهِرُ على غيْبه أحداً إلّا مَن ارتضى مِن رسول) (2) وهذا الأمر واضح لا يحتاج العاقل في استكشافه إلى كَلَفه وسيجيء في أثناء الشرح ما يزيد ذلك وضوحاً إن شاء الله تعالى.

البحث الثاني: في بيان صدور الأفعال الخارقة للعادة عنه عليه السلام، والنظر أيضاً إما في إمكان ذلك وفي سببه أو في نفس وقوعه عنه.

المقام الأول: في إمكانه وأسبابه.

واجب على من أيّده الله سبحانه لاستشراق أنواره إذا سمع أن وليّاً من الأولياء أتى بفعل ليس في وسع غيره من أبناء نوعه الإتيان بمثله كالإمساك عن الطعام المدة المديدة التي ليست في وسع أبناء نوعه، وكالتحريك أو الحركة الخارجة عن وسع مثله وكما / [95 ب] نشاهد من .

1- الأنعام 59.

2- الجن 26، 27.

طُوفانات (1) تقع باستدعائهم، وزلازل (2)، واستنزال عقوبات وخَسْف بقوم (3) حَقّ عليهم القول، واستشفاء المرضى، واستسقاء العطْشى وخضوع عُجْم الحيوانات وغيره.

أن لا يبادر إلى التكذيب، فإنه عند الاعتبار تجد تلك الأمور ممكنةً في الطبيعة.

أمّا الإمساك عن القوت فتأمل إمكانه فينا؛ بل وجوده عند عروض عوارض غريبة لنا:

إما بدنية كالأمراض الحادة.

وإما نفسانية كالخوف والغمّ.

وسبب الإمساك في حال المرض.

أمـا في الأـمراض البدنيّـة، فإن القوى الطبيعيـة تشـتغل بهضم المواد الرديئـة عن تحريك المواد المحمودة، فتجـد المواد المحمودة حينئذ محفوظة قليلة التحلّل، غنيّة عن طلب البدل لما يتحلّل، فربما انقطع الغذاء عن صاحبها مدة لو انقطع مثله عنه في غير حالته تلك عُشر تلك المدّة هَلك، وهو مع ذلك محفوظة الحياة.

[66 أ] وأما النفسانيّة، فإنه قد يعْرض بعروض الخوف للخائف سقوط الشهوة، وفساد الهضم، والغمّ عن الأفعال الطبيعية التي كان متمكّناً .

1- الطوفان: الماء الذي يغشى كل مكان وقيل المطر الغالب الذي يغرق من كثرته، وقيل: الطوفان: الموت العظيم. اللسان مادة طوف.

2- الزلزال: الحركة الشديدة، ومنه قوله تعالى: (إذا زلزلت الأرض زلزالها).

3- قـال الأزهري: خف بالرجل وبالقوم: إذا أخـذته الأرض ودخل فيها، ومنه قوله تعالى: (فخسـفنا به و بـداره الأرض) القصـص 81 وحق عليهم القول: اسـتحقوا العذاب، ومن ذلك قوله تعالى: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسـقوا فيها فحق عليها القول قدمرناها تدميراً) الإسراء 16.

منها قبل الخوف؛ لوقوف القوى الطبيعية عن أفعالها بسبب اشتغال النفس بما أغمَّها عن الالتفات إلى تدبّر البدن.

وإذا عرفت إمكان ذلك بسبب العَوارض الغريبة، فاعلم أن سبب تحقّقه في حقّ العارف هو توجّه نفسه بالكلّية إلى عالم القدس المستلزم تشبّع القوى البدنيّة لها، وذلك أن النفس المطمئنة إذا راضت القُوى البدنية انجذبتْ القوى خلْفَها في مهمّاتها التي تنزعج إليها، واشتداد ذلك الانجذاب بشدة الجذْب، فإذا اشتد الاشتغال عن الجهة المولَّى عنها، وقفت الأفعال الطبيعيّة المتعلقة بالقوّة النباتية، فلم يكن من التحليل إلا دون ما يكون في حال المرض؛ لاختصاص المرض في بعض بما يقتضي الاحتياج إلى الغذاء؛ كتحلّل رطوبات البدن بسبب عروض الحرارة الغريبة المسماة بسوء المزاج الحار؛ لأن الغذاء إنما يكون لسدِّ بدلِ ما يتحلّل من تلك الرطوبات، وشدة الحاجة إلى الغذاء إنما يكون بحسب كثرة التحليل وكقصور القوى البدنية بسبب المرض المضاد له، وإنما الحاجة إلى حفظ تلك الرطوبات لحفظ تلك القوى؛ إذ كانت مادّة الحرارة الغريزيّة المقتضية لتعادل الأركان الذي لا تقوم تلك القوى إلا معه وشدة الحاجة إلى ما يحفظ تلك القوى إنما هي بحسب شدة فتورها.

وأما العرفان: فإنه مختصّ بأمر يوجب الاستغناء عن الغذاء؛ وهو سكون البدن عند إعراض القوى البدنية عن أفعالها حال متابعتها للنفس، وانجذابها خلفها حال توجّهها إلى الجناب المقدس وتطعّمها بلذة معارفة الحق، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: لست كأحدكم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني وإذا عرفت ذلك ظهر أن المرض وإن اقتضى الإمساك الخارق للعادة، إلا أن العرفان بذلك الاقتضاء أولى.

وأما القدرة على الحركة التي تخرج من وسع مثله، فهي أيضاً ممكنة [66 ب]/ وبيانها: أنك علمت أن مبدأ القوى البدنية هو الروح الحيواني، فالعوارض التي تعرض للإنسان: تارة تقتضي انقباض الروح

بحركةٍ إلى داخل؛ كالخوف والحزن، وذلك يقتضي انحطاط القوة وسقوطها.

وتارة تقتضي حركة إلى خارج كالغضب، وانبساطاً معتدلاً؛ كالفرح المطْرِب، والانتشاء المعتدل، وذلك يقتضي ازدياد القوة ونشاطها.

وإذا عرفت ذلك، فاعلم أنه لمّا كان فرح العارف ببهجة الحقِّ أتمّ وأعظم من فرح من (1) عداه بما عداها وكانت الغواشي التي تغشاه وتحركه اعتزازاً بالحق وحميّة ربانيّة أعظم مما يعرض لغيره، لا جَرم كان اقتداره على حركة غير مقدورة لغيره أمكن.

وأما السبب في الأمور الباقية فهو أنه قد ثبت في غير هذا الموضع أن تعلّق النفس بالبدن ليس تعلق انطباع فيه، وإنما هو على وجه أنها مدبّرة له مع تجرده ثم إن الهيئات النفسانية قد تكون مبادىء لحدوث الحوادث.

وبيانه أما أولاً، فلأنك تشاهد إنساناً يمشي على جذع ممدود على الأرض، ويتصرف عليه كيف شاء، ولو عرض ذلك الجذع بعينه على جدار عال لوجدته عند المشي عليه راجفاً (2) متزلزلاً يواعده ويهمّه بالسقوط مرة بعد أخرى؛ لتصوّره وانفعال بدنه عن وجهه حتى ربما سقط.

وأما ثانياً؛ فلأن الأمزجة تتغير عن العوارض النفسانية كثيراً، كالغضب والخوف والحرمان والفرح وغير ذلك، وهو ضروري.

وأما ثالثاً؛ فلأن توهّم المرض والصحة قد يوجب ذلك، هو أيضاً ضروري.

إذا عرفت ذلك فتقول: إنه لما كانت الأمزجة قابلةً لهذه الانفعالات .

1- ما عداه بما عداها في ب. - الغواشي: جمع غاشية، وهي ما يغشى الإنسان أي يغطيه ويكتنفه وسمّيت القيامة غاشية؛ لأنها تغشى الخلق بإفزاعها.
2- راجعاً: خائفاً.

عن هذه الأحوال النفسانية، فلا مانع لبعض النفوس خاصّية لأجلها تتمكن من التصرّف في عنصر هذا العالم بحيث يكون لنسبتها إلى كلية العناصر كنسبة أنفسنا إلى أبداننا فيكون لها حينئذ تأثير في إعداد المواد العنصرية لأن يُغَاصَ عليها صورُ الأمور الغريبة التي تخرج عن وسْع مثلها، فإذا انضـمّتْ إلى ذلك الرياضات فانكسـرت سَوْرة الشهوة (1)/[67 أ] والغضب، وبقيتا أسـيرتين في يـد القوة العاقلـة، فلا شك أنها حينئذ تكون أقوى على تلك الأفعال.

وتلك الخاصّية: إما عيب المزاج الأصلي، أو عيب مزاج طارىء غير مكتسب، أو بحسب الكسب والاجتهاد في الرياضة، وتصفية النفس.

والـذي يكون بحسب المزاج الأصـلي فذو المعجزات من الأنبياء والكرامات من الأولياء فإن انضم إليها الاجتهاد في الرياضة، بلغت الغاية القصوى في ذلك الكمال.

وقد تغلب على مِزاج من له هذه الخاصّية أن يستعملها في طرف الشر، وفي الأمور الخبيثة، ولا يزكي نفسه كالساحر فيمنعه خبثه عن الترقي إلى درجة الكمال.

واعلم أن الشرط الأول للنبوة أن يكون الشخص مأموراً من السماء بإصلاح النوع، ثم من لواحق مرتبة الأنبياء أمور:

الأول: أن يستغنوا في أكثر علومهم عن معلّم بشري؛ بل تحصل لهم بحسب قواهم الحدْسية القدْسية الشريفة البالغة، وشدة اتصال نفوسهم بالحق سبحانه.

الثاني: أن يكون هيولى (2) العالم طوعاً لما أرادوا من الأمور العجيبة 3

1- سَوْرة الشهوة: حدتها وسطوتها.

2- هيولى: لفظ مرادف للمادة، وقد رد أرسـطو الأشياء إلى مبدأين: الصورة والهيولى، فكل شيء هو جزء من المادة الأولية اكتسب صفات معينـة حـددت طبيعته ووظيفته وهي صورته. والهيولى لا تكون أبـداً بغير صورة إلا في التحليل العقلي. والصورة لا تكون إلا في هيولى مع بعض الاسـتثناءات كالله والنفس قبل حلولها في الجسد وبعد مفارقتها له. و الهيولى مسـتعدة أن تكون أي شـيء حسب الصورة التي تحلّ فيها، ويعبر عن هذا بأن الهيولي تكون في أي شيء بالقوة، فإذا حلت بها صورة معينة أصبحت شيئاً معيناً بالفعل. الموسوعة ص 1933

الخارقة للعادة كالخسْف والتحريكات والتسكينات.

الثالث: أن يتمكنوا من الاخبار عن المغيبات والأمور الجزئية الواقعة في الماضي أو في المستقبل.

والشرط الأول هو العمدة في تمييز درجة الأنبياء عن غيرهم، ولا شك أن اختصاصهم به إنما هو لشدة اتصالهم، فإذن هم أشد اتصالاً بالمبدأ الأول، وأكمل قوة من غيرهم، ولكنّ اختلاف مراتبهم عائدٌ أيضاً إلى تفاوت نفوسهم في قربها من المبدأ، أو اتصالها به.

وأما باقي الخصال فقد يشاركهم فيه الأولياء، ويجتمع فيهم، وإلى هذا المعنى أشار النبي صلى الله عليه و آله و سلم بقوله: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل (1)، وكان التفاوت بين المعجزة والكرامة (2) إنما يرجع إلى أن الخصال ة.

1- علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل الحديث أورده العجلوني في كشف الخفاء 83/2 رقم 1744 وقال: قال السيوطي في الدرر: لا أصل له وقال في المقاصد شيخنا! يعني ابن حجر - لا أصل له وقبله الدميري والزركشي، وزاد بعضهم ولا يعرف في كتاب معتبر. ولأبي نعيم بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه: أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد انتهى. وممن نقله جازماً بأنه حديث مرفوع الفخر الرازي. وفي الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ص 286 قال: حديث علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل قال ابن حجر والزركشي: لا أصل له وروي بسند ضعيف: أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد.

2- قال الفيروزابادي: وأما الفرق بين المعجزة والكرامة: إن المعجزة مختصة بالنبي دائماً وتقرن بالتحدي ولا يمكن تحصيلها بالكسب والجهد ويكون أثرها باقياً بحسب إرادة النبي. وأما الكرامة، فموقوفة على الولي ويكون كتمانها واجباً عليه وإن أراد إظهارها وإشاعتها زالت وبطلت وفي بعض الأوقات يعجز عن إظهارها. بصائر ذوي التمييز 66/1 والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

المذكورة إن صدرت عمن له الشرط الأول سميناه: معجزاً.

وإن صدرت عن غيرهم كانت في حقه كرامة. وتحقيق هذه المباحث بُني على مقدماتٍ وأصول ليس هذا موضع ذكرها، فليطلب ذلك من مظانّها، وبالله التوفيق.

المقام الثاني: في وقوع الفعل الخارق عند علي عليه السلام.

واعلم أن الطريق إلى ذلك هو النقل، وقد نقل عنه ذلك في صور ثبت بعضها بحسب التواتر (1)، وبعضها بخبر الآحاد (2)/[67 ب].

فمن الأمور الخارقة المنقولة عنه بحسب التواتر: قلعه لبابِ خيْبر لمّا انتهى إليه، وكان من صخرة واحدة يعجز الجماعة عن تحريكه، وروي في كيفية حاله في ذلك أنه لما اقتلعه وجَابَهُ (3) أذرعاً، واجتمع عليه سبعون رجلاً وكان جهدهم أن أعادوه إلى مكانه، وروي أنه قال: عالجت باب خيبر وجعلته مخباً لي، وقاتلت القوم، فلما أخزاهم الله، وضعت الباب على خصمهم طريقاً، ثم رميتُ به في خندقهم، فقال له رجل: لقد حملت يا أمير المؤمنين منه ثقلاً فقال: ما كان إلا مثل جُنتّي التي في يدي في غير ذلك المقام.

ومعلوم أن ذلك لم يصدر عن قوة بدنيّة وإلا لقدر على ذلك من هو .

1- المقصود بالتواتر هنا: أن يروي الحادثة عدد من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وتحيل العادة تواطأهم وتوافقهم على الكلب، ويحصل اليقين بصدقهم.

2- ضد الآحاد: أن يروي الحادثة عدد لا يبلغ نقلته في الكثرة حد التواتر.

3- جاب البلاد: قطعها وإنجاب الظلام انشق وانجابت الأرض: انخرقت، والمراد هنا جاب باب الصخرة: حركه وزحزحه وقلعه اللسان مادة جوب.

أقوى صورة منه، ولـذلك قال عليّ: والله ما قلعتُ باب خيبر بقوة جسدانية؛ ولكن قلعته بقوة ربانية (1)، وللشعراء في هذه الآية أشعار كثيرة، والقصة مشهورة.

فهـذا القـدر يكفينا في بيان فضائله عليه السـلام، وعليك في باقي الأمور المنقولـة عنه في ذلك بالكتب المصـنّفة في بيان معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء.

ولقـد اجتهد بنو أمية (2) في إخفـاء فضـائله، وإطفـاء نوره بالتحريف، ووضع المعايب والمثالب حتى سـبّوه على جميع المنابر، ومنعوا أن يُروى حديث يتضمّن له فضيلة وأن يُسمى باسمه أحد، فلم يزدد بذلك الإخفاء إلا ظهوراً، ولم يُثمر ذلك الإطفاء إلا نوراً، (وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (3)

وكان مولده عليه السّلام قبل ظهور دعوة النبي صلى الله عليه و آله و سلم بثلاث عشرة سنة، وقيل: اثنتي عشرة سنة، وقيل عشر سنين.

وقُتل ليلةَ الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقين من شهر رمضان من سنة .

1- يروي أبو رافع مولى الرسول عن غزوة خيـبر قـال: خرجنـا مع على حين بعثه رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم برايته فلمـا دنـا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضـربه رجل من يهود فطرح ترسه من يـده، فتناول علي باباً كان عند الحصن فترس به نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتـح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر مع سـبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه!» ... وقال علي بن أبي طالب: والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدية ولكن بقوة ربانية على إمام المتقين - عبد الرحمن الشرقاوي.
2- بنو أميـة: بيت عربي من الخلفاء والحكام الذين أسـسوا الدولة الأموية في المشـرق، والدولة الأموية في الأندلس وينتسـبون إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ، واستمرت الدولة الأموية في المشرق من 40 - 132 ه بدأت بمعاوية بن أبي سفيان 40 - 60 ه. وأسس الدولة الأموية في الأندلس عبد الرحمن الداخل الذي عرف بصقر قريش سنة 756 م وحكمت الدولة الأموية في الأندلس حتى 1031 م.
3- سورة التوبة آية 32.

أربعين من هجرة الرسول صـلى الله عليه و آله و سلم بجامع الكوفة، وهو ابن ثلاث وستين سنة. فهذا ما أردنا من هذه المقدمة لنشرَع بعدها في تقرير المطالب وقبله بذكر نسب السيد الرضيّ رضي الله عنه ونبيّن ما عساه يشكل من لفظه في خطبة الكتاب.

أما نسـبه فهو سـيد الشـريف رضـيّ الدين ذو الحسبين محمد بن الطاهر ذي المناقب / [68 أ] أبي أحمد الحسـين بن موسـى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وصف بذي الحسَبيْن؛ لاجتماع أصله الفاخر الذي هو منبع الحسب مع فضيلة نفسه وكمالها بالعلم والأدب.

وكان مولده ببغداد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة.

وتوفي في المحرم سنة ست وأربعمائه بالكرخ من بغداد.

ودفن مع أخيه المرتضى في جوار جده الحسين عليه السلام.

ص: 222

فهارس الكتاب

1 – فهرس الآيات القرآنية.

2 – فهرس الأحاديث النبوية.

3 – فهرس أقوال الإمام علي.

4 – فهرس الأمثال.

5 – فهرس الأبيات الشعرية.

6 – فهرس أنصاف الأبيات.

7 – فهرس الأعلام.

8 – فهرس اللغة.

9 – فهرس المنطق.

10 – فهرس المراجع.

11 – فهرس الموضوعات.

ص: 223

فهرس الآيات القرآنية

الفاتحة 4 – 5:136.

البقرة 187: 43.

البقرة 228: 55.

البقرة 49: 132.

البقرة 1 – 2: 151.

البقرة 179: 155.

البقرة 111: 164.

آل عمران 159: 98.

آل عمران 26: 135.

النساء 83: 78.

النساء 115: 152.

المائدة 38: 97.

المائدة:8: 132.

المائدة 117: 109.

الأنعام 40 – 14:144.

الأنعام 10: 187.

الأنعام 59: 214.

الأعراف 31: 132.

الأنفال 12: 97.

الأنفال 2: 158.

التوبة 81:134.

التوبة 93: 160.

التوبة:32: 221.

يونس 22: 136.

هود 105 – 106 – 108: 137.

يوسف 36: 96.

يوسف 82: 98.

يوسف 21: 101.

يوسف 90: 157.

يوسف 43: 209.

يوسف 44: 211.

الرعد 15: 60.

الرعد 10: 134.

الرعد 40: 161.

إبراهيم 6: 132.

إبراهيم 50: 146.

النحل 112: 121.

النحل 125: 164.

ص: 225

الإسراء 105: 132.

الإسراء 40: 143.

الإسراء 23: 145.

الإسراء 16: 215.

الكهف 104: 78.

الكهف 18: 90.

الكهف 71 – 74: 143.

الحج 18: 58.

الحج 1: 156.

النور 1: 154.

الشعراء 168: 80.

الشعراء 22 – 26: 139.

القصص 73: 137.

القصص 45: 152.

القصص 81: 215.

الروم 43: 79.

لقمان 34: 212.

الأحزاب 56: 58 – 59.

الأحزاب 45: 138.

سبأ 24: 139.

فاطر 3: 91.

فاطر 5: 156.

فاطر 28: 160.

سورة يس 2: 153: 143.

الزمر 67: 138.

الزمر 9: 153.

فصلت 6: 158.

الشورى 40: 96.

الشورى 11: 98.

الزخرف 57: 194.

محمد 21: 154.

الفتح 10: 96.

الحجرات 10: 158.

القمر 24: 144.

الرحمن 54: 80.

الواقعة 75 – 76: 135.

الحشر 23: 138.

الجمعة 5: 118.

القلم 10: 138.

الحاقة 12: 195.

الجن 26 – 27 – 117: 213 – 214.

القيامة 29 – 30: 75.

الإنسان 8 – 9: 195.

الانفطار 13 – 14: 50.

الليل 5 – 10: 135.

الضحى 9 – 10: 73.

الزلزلة 2: 94 – 95.

العاديات 7 – 8: 78 – 79.

ص: 226

فهرس الأحاديث النبوية

1 – الظلم ظلمات يوم القيامة ... 79

2 – اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا ... 84

3 – المؤمنون هيِّنون ليِّنون ... 85

4 – إياكم وخضراء الدمن ... 108

5 – مثل المؤمن كمثل النخلة ... 120

6 – أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ... 168

7 – إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ لي منها، وإنما البستها قميص لتكسي من حلل الجنة وإنما اضطجعت معها لتأمن من ضغطه القبر ... 193

8 – لولا أن تقول فيك طوائف أمتي ما قالت النصارى في عيسى لقلت

اليوم فيك مقالاً لا تمر بعده بملأ منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك ... 194

9 – اللهم اجعلها أذن علي ... 195

10 – اللهم أدر الحق مع علي حيث دار ... 195

11 – أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي ... 195

12 – من كنت مولاه فعلي مولاه ... 196

13 – أقضاكم علي ... 196

14 – أعطيت جوامع الكلم وأعطي علمي جوامع العلم ... 196

15 – أمير النحل علي ... 197

16 – أنا مدينة العلم وعلي بابها ... 198

17 – اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور

وسوء المنظر من الأهل والمال ... 202

18 – إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ... 204

19 – علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل ... 219

ص: 228

من أقوال الإمام علي كرم الله وجهه

1 – والله لأغزون قريشاً ... 52

2 – بلَّغ عن ربه معذراً، ونصح لأمته مبذراً ... 73

3 – جاهل خبَّاط، جهالات عاس ركّاب عشوات ... 80

4 – كثرة الوفاق نفاق وكثرة الخلاف شقاق ... 84

5 – عهدكم شقاق، ودينكم نفاق، وماؤكم زعاق ... 84

6 – لاحم صدوع انفراجها ولاءم بينها وبين أزواجها ... 85

7 – الحمد لله غير مفقود الإنعام ولا مكافا الإفضال ... 85

8 – علا بجولة ودنا بطوله ... 86

9 – أولها عناء، وآخرها فناء ... 86

10 – بيت لا تهدم أركانه وعز لا تهزم أعوانه ... 86

11 – كأني بمجسدكم هذا كجوجؤ سفينة ... 102

12 – كأني أراهم قوماً كأن وجوههم المجانّ المطرَّقة ... 102

13 – أداريكم كما تدارى البكار العَمِدة والثياب المتداعية ... 102

14 – أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه ... 103

15 – أما بعد فإن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر ... 103

16 – كأني بك يا كوفة تمدين مدّ الأديم العكاظي ... 103

17 – اختاره من شجرة الأنبياء ... 125

18 – الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ... 126

19 – إنه حبل الله المتين وفيه ربيع القلب، وينابيع العلم ... 126

20 – وبنا انفجرتم عن السرار وُقِر سمعٌ لا يفقه الواعية ... 136

21 – الحمد لله غير مقنوط من رحمته، ولا مخلوّ من نعمته ولا مأيوس من مغفرته ... 138

22 – هانت على ربها فخلط حلالها بحرامها، وخيرها بشرها ... 140

23 – إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحَّم ... 154

24 – قيمة كل امرىء ما بحسنه المرء عدو لما جهله الجزع أتعب من الصبر، تخففوا تلحقوا ... 155

25 – إنا لم نحكمّ الرجال، وإنما حكَّمنا القرآن ... 158

26 – لو أمرت به لكنت قاتلاً ... 171

27 – أفأمرهم الله بالاختلاف فأطاعوه ... 172

28 – منهم سجود لا يركعون، ومنهم ركوع لا يسجدون ... 185

29 – المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر إحدى الحنسيين ... 185

30 – أما بعد، فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرقت باطلاع ... 187

31 – أما الإمرة البرة فيعمل فيها التقي، وأما الإمرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي ... 187

32 – أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجار ... 197

33 – لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً ... 204

34 – الهي ما عبدتك خوفاً من عقابك، ولا رغبة في ثوابك، ولكن وجدتك أهلا

للعبادة فعبدك ... 205

35 – لا تجعلوا بطونكم مقبرة للحيوان ... 206

36 – علمني رسول الله ألف باب. كل باب يفتح ألف باب ... 213

37 – لست كأحدكم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ... 216

فهرس الأمثال

1 أخذ القوس باريها ... 109

2 هو كالرقم على الماء ... 109

3 كالحادي وليس له بعير ... 109

4 كمن يجمع السيفين في غمد ... 110

5 لا يطاع بقصير أمر ... 118

6 القتل أنفى للقتل ... 155

فهرس الأبيات

- الهمزة -

صدر البيت ... القافية ... الشاعر ... الصفحة

ويصعد ... السماء ... أبو تمام ... 122

لا تسقني ... بكائي ... أبو تمام ... 123

- ب -

يمدون ... قواضب ... أبو تمام ... 77

ضرائب ... ضريبا ... السري الرفاء ... 81

- ت -

يبيت بمنجاة ... حلّت ... الشنفري ... 128

- ج -

كأن أصوات ... الفراريج 53

إن المروءة ... الحشرج ... زياد الأعجم ... 128

- ح -

وبدا الصباح ... يمتدح ... محمد بن وهب ... 114

وكأن البرق ... وانفتاحا ... ابن المعتز ... 112

- د -

كريم ... وحدي ... ابو تمام ... 74

اعتقني ... كبدي ... ابن الرومي ... 113

صدر البيت ... القافية ... الشاعر ... الصفحة

واستبدت ... لا يستبد ... عمر بن أبي ربيعة ... 81

نهبت ... خالد ... المتنبي ... 139

وكأن معمر الشقيق ... تصعد ... الصنوبري ... 117

- ر -

وفير حرب ... قبر ... ينسب إلى الجن ... 74

يسار ... اليسار ... السري الرفاء ... 80

نوي ... الغمر ... أبو تمام ... 83

إذا ما نهى ... الهجر ... البحتري ... 135

شتان ... جابر ... الأعشى ... 137

من القاصرات ... لأثر ا ... امرؤ القيس ... 140

فان غادر ... غادر ... - ... 141

لا تعجبوا ... القمر ... ابن طباطبا ... 122

- س -

قامت ... الشمس ... ابن العميد ... 122

- ع -

ولم يحفظ ... المضاع ... أبو تمام ... 81

ففعلك ... مطاع ... البحتري ... 82

كأن بصاص ... وقوع ... - ... 103

كأنما المريخ ... الرفعة ... التنوخي ... 111

تقصي السفين ... كرع ... - ... 116

قد أصبحت ... أصنع ... أبو النجم ... 145

شجو ... واع ... البحتري ... 153

ص: 234

صدر البيت ... القافية ... الشاعر ... الصفحة

- ف -

حسامك ... حتف ... - ... 83

- ق -

أهديت ... أخلاقه ... الصاحب بن عباد ... 104

أرقب ... الخافق ... كشاجم ... 107

فكأن أجرام النجوم ... أزرق ... أبو طالب الراقي ... 110

- ك -

إذا هزه ... الضواحك ... تأبط شراً ... 124

- ل -

هو البحر ... ساحله ... أبو تمام ... 24

وإن لا يكن ... قليلها ... ذو الرمة ... 83

فإن تفق ... الغزال ... المتنبي ... 113

كان عاشق ... مرتجل ... الأخطل ... 116

فقتل ... بكلكل ... امرؤ القيس ... 121

الا كل شيء ... زائل ... لبيد ... 137

إن محلا ... مهلا ... الأعشى ... 157

- م -

ومن كان بالبيض ... مغرما ... أبو تمام ... 82

فمنظرها ... حمام ... - ... 126

الخبل ... والقلم ... المتنبي ... 138

- ن -

كلكم ... جاملنا ... البستي ... 79

سكران ... سكران ... الخليع الدمشقي ... 80

لا كان إنسان ... إنسانها ... - ... 81

إذا المرء ... بخزان ... امرؤ القيس ... 82

ومضطلع ... عاني ... الحريري ... 82

فمشغوف ... المثاني ... الحريري ... 82

كفي بجسمي ... ترني ... المتنبي ... 140

إن شواء ... الأقون ... سلمى بن ربيعة ... 157

- الألف اللينة -

ساق ... قاسى ... - ... 83

أس ... أسا ... الحريري ... 84

- الياء -

أشاب ... العشي ... الصلتان العبدي ... 95

فهرس أنصاف الأبيات

أيا من رمى قلبي بسهم فأنفذا ... 8 ... 123

إذا أصبحت بيد الشمال زمامها ... - ... 124

أريقك أم ماء الغمامة أم حمز ... الميتني ... 139

رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر ... كثير ... 121

كأنها فضة قد مسها ذهب ... ذو الرمة ... 117

لدي أسد شاكي السلاح مقذف ... زهير ... 121

ليت عينيه سواء ... بشار ... 139

وإذا المنية انشبت أظفارها ... أبو ذؤيب ... 122

وسالت بأعناق المطي الأباطح ... كثير - أو ابن الطثرية - أو نصيب ... 23

ولو شئت أن أبكي دماً لبكيته ... الخريمي ... 154

فهرس الأعلام

آدم: 199.

ابن الأثير: 76.

أحمد بن حنبل: 202.

الأخفش: 44.

أرسطو: 170.

أبو الأسود الدؤلي: 202.

الأشتر النخعي: 207.

الأشعري: 200.

الأصمعي: 44.

بنو أمية: 221.

الباقلاني: 57.

الباهلي: 44.

النجراني: 69 – 66 – 65.

بقراط: 168.

البيهقي: 26.

الجاحظ: 95.

جالينوس: 168.

الجبائي: 57.

جعفر الصادق: 201.

حاتم: 105.

ابن أبي الحديد: 22.

الحريري: 73.

الحسن البصري: 200.

أبو الحسن المدائني: 106.

أبو حنيفة: 201.

ابن خالويه: 44.

الخليل بن أحمد: 71.

ابن دريد: 44.

الراوندي: 57.

الربيعة: 201.

الرفائي: 44.

الزجاج: 44.

ابن السراج: 44.

سقراط: 164.

سيبويه: 142.

السيوطي: 45.

ص: 239

الشافعي: 57 – 201.

الشريف ارضي: 21.

طالب: 193.

السطوحي البغدادي: 103.

ابن عباس: 201.

عبد الجبار القاضي: 57.

عبد القهر الجرجاني: 67 – 103.

عثمان: 171.

عكرمة: 201.

علي بن عيسى: 69 – 146.

أبو علي الفارسي: 67.

عمرو بن معد يكرب: 105.

عمار بن ياسر: 196.

فاطمة بنت أسد: 193.

فاطمة بنت الخرشب: 106.

الفخر الرازي: 40.

قطرب: 44.

الكرخي: 58.

كعب الأشعري: 106.

مالك: 201.

المبرد: 044

محمد الجويني: 24.

المفصل بن سلمة: 44.

ابن نباتة: 202.

النحاس

نصير الدين الطوسي

أبو نعيم الحافظ: 197.

ابو هاشم: 57.

واصل بن عطاء: 73.

240

ص: 240

فهرس اللغة

الاعتبار: 19.

أساطين: 20.

اعرج به: 22.

اكتحل: 22.

الأقضية والأقدار 25.

آب: 38.

الاشتقاق: 44.

الأسلة: 71.

أس: 84.

الأديم العكاظي: 103.

الأطيط: 104.

اشنق: 154.

أسلس: 154.

الأرصاد: 175.

انحسم: 175.

استماح: 181.

الابريز: 186.

أيالة: 208.

استمرار القتل: 212.

بدرت 23.

البكار العمدة: 102.

تضاعيف: 25.

تامر: 49.

تواليه: 63.

تقحم: 154.

تعبير الرؤيا: 209.

تضطم: 212.

الثواقب: 23.

حؤحؤ: 102.

الجزيرة: 205.

جاب الباب: 220.

حسر 19.

الحباء: 22.

صنف: 83.

الحدس: 199.

الحور بعد الكور: 202.

الخلل: 26.

خباط: 80.

ص: 241.

خرم: 154.

الخصاصة: 181.

خطلة: 198.

دامس: 77.

دمنه: 108.

ذيول الظلام: 23.

الذلاقة: 66.

الذمام: 78.

الذب: 192.

الرغائب: 23.

الرصدة: 175.

الرمقة: 191.

راجفاً: 119.

الزمام: 78.

سال: 77.

سارب: 134.

سحنه: 166.

السريرة: 169.

السان: 175.

السرمد: 190.

السرق: 212.

سورة الشهوة: 218.

الشباة: 71.

شجو: 153.

الشارع: 191.

حروف: 22.

صنو: 24.

الصارم: 25.

الصبوح: 41.

الصنيعة: 181.

طل: 24.

الطود: 25.

الظاهر: 40.

عبقة: 21.

عشوات: 80.

عرا: 84.

عداه: 153.

العسف: 179.

عرفه: 197.

غوائل: 23.

الغبوق: 41.

الغواشي: 217.

الفصيل: 198.

القرء: 55.

القدوس: 138.

القاصرات الطرف: 140.

القاصعة: 197.

الكزازه: 72.

كبيد: 77.

لا جرم: 27.

لابن: 49.

اللباء: 63.

ص: 241

لوثه: 116.

مضمار: 19.

يعتكف: 19.

منتجب: 20.

مسحة: 21.

مبددا: 21.

مآرب: 25.

المقصد الأقصى: 26.

الماهية: 31.

المجمل والمؤول: 40.

المحكم والمتشابه: 41.

مؤقتة: 48.

مطلقة: 48.

معقود: 77.

المجان المطرقة: 212.

مقنوط: 138.

الموقصة: 140.

محول: 140.

مشاورة: 189.

منامزة: 189.

مشاجرة: 189.

المسالح: 175.

المدارج: 175.

المتجريز: 179.

منة: 181.

المحافل: 184.

مواقبة: 188.

موبقة: 190.

النواويس: 20.

النص: 40.

النفر: 168.

الهذر: 49 – 42.

الهس: 72.

وابل: 24.

يعزب: 19.

يحزنه: 167.

يعسوب: 197.

مصطلحات لغوية

المتواطىء: 38.

المشكك: 38.

المتباين: 38.

المترادف: 50.

التوكيد: 52.

المشترك: 54 – 55.

الثنية: 70.

المنحرف: 70.

النطعية: 70.

الأسيلية: 71.

اللثوية: 71.

الشفعية: 71.

الخيشوم: 71.

ص: 244

الطوائف

المتلكمون – المفسرون – الفقهاء – الفصهاء.

المتلكلمون: 199.

المفسرون: 201.

الفقهاء: 201.

الفصحاء: 202.

المعتزلة: 1919.

الشيعة: 200.

أهل السنة: 201.

النحويون: 202.

الصوفية: 202.

ص: 246

مصطلحات منطقية

الدلالة: 29.

دلالة المطابقة: 29.

دلالة التضمن: 29.

دلالة الالتزام: 29.

الماهية: 31.

الدلالة الحقيقية: 32.

الرسم التام: 33.

الرسم الناقص: 33.

الكلي والجزئي: 34.

الحد التام: 35.

الحد الناقص: 35.

الفصل القريب: 36.

النوع: 36.

الجنس القريب: 36.

الجنس البعيد: 36.

جنس الأجناس: 36.

جنس الفصل: 36.

فصل الفصل: 36.

العرض: 37.

القياس: 169 – 170.

البرهان: 164.

الجدل: 164.

الاستقراء: 169.

الهيولي: 218.

ص: 247

المراجع

1 – أخبار أبي تمام، الصولي، لجنة التأليف.

2 – أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني، الاستقامة.

3 – الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة محمد بن علي الجرجاني، نهضة مصر.

4 – أصول البلاغة، كما الدين ميثم البحراني، دار الشروق.

5 – الأعلام الزركلي، ط 2.

6 – الأغاني، الأصفهاني، دار الكتب.

7 – الإكسير في علم التفسير الطوفي البغدادي، النموذجية.

8 – أنباه الرواة، القفطي، دار الكتب.

9 – الإيضاح الخطيب القزويني، النموذجية.

10 – بصائر ذوي التمييز، الفيروز أبادي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

11 – بغية الوعاة، السيوطي، عيسى الحلبي.

12 – البلاغة المبرد الشعب.

13 – البيان والتبيين، الجاحظ الخانجي.

14 – التبيان في علم البيان ابن الزملكاني، بغداد.

15 – تجديد علم المنطق، عبد المتعال الصعيدي، النموذجية.

16 – تفسير الطبري، الطبري، الأميرية.

17 – تهذيب التهذيب ابن حجر، 1325 ه.

18 – جمهرة الأمثال أبو هلال العسكري، القاهرة.

19 – حسن التوسل التنوخي، العراق.

20 – حقائق التأويل، الشريف الرضي، بيروت.

21 – خلية الأولياء، أبو نعيم الحافظ.

22 – الحماسة، أبو تمام، السعودية.

23 – دقائق السحر في حدائق الشعر، الوطواط لجنة التأليف والترجمة والنشر.

24 – دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، المنار.

25 – ديوان الأعشى الكبير النموذجية.

26 – ديوان امرىء القيس، دار المعارف.

27 – ديوان البحتري دار المعارف.

27 – ديوان بشار لجنة التأليف.

28 – ديوان تأبط شراء النجف.

29 – ديوان أبي تمام دار المعارف.

31 – ديوان الخريمي بغداد.

32 – ديوان ذي الرمة دمشق.

33 – ديوان زهير دار الكتب.

34 – ديوان السري الرفاء، ط – العراق.

35 – ديوان الصاحب بن عباد ط بغداد.

36 – ديوان عمر بن أبي ربيعة مصر.

37 – ديوان كثير عزّة، بيروت.

38 – ديوان لبيد، الكويت.

39 – ديوان المتنبي، لجنة التأليف.

40 – المعاني الكبير ابن قتيبة الدينوري، الهند.

41 – ديوان ابن المعتز العراق.

42 – ديوان الهذليين، دار الكتب.

43 – سر الفصاحة، ابن سنان صبيح.

44 – سنن الترمذي، تحقيق أحمد عزت، مصطفى الحلبي.

45 – سنن ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، عيسى الحلبي.

46 – شذرات الذهب ابن العمار، ط 1351.

47 – شروح التلخيص، القزويني وآخرين، عيسى الحلبي.

48 – الشعر والشعراء ابن قتيبة دار المعارف.

49 – صحيح البخاري، البخاري، الميمنية.

50 – صحيح الترمذي، المجلس الأعلى.

51 – صحيح مسلم، مسلم، عيسى الحلبي.

52 – الصناعتين أبي هلال العسكري عيسى الحلبي.

53 – ضحى الإسلام أحمد أمين، النهضة المصرية.

54 – طبقات ابن المعتز ابن المعتز دار المعارف.

55 – الطراز العلوي، المقتطف.

56 – فجر الإسلام أحمد أمين، النهضة المصرية.

57 – فوات الوفيات الكتبي، السعادة.

58 – الكتاب سيبويه، الأميرية.

59 – كتاب البديع ابن منقذ مصطفى الحلبي.

60 – الكشاف، الزمخشري، الاستقامة.

61 – كشف الخفاء العجلوني، لبنان.

62 – اللسان ابن منظور بولاق.

64 – لسان الميزان العسقلاني، الهند.

65 – المؤتلف والمختلف، الآمدي، 1354 ه.

66 – المثل السائر ابن الأثير، نهضة مصر.

67 – المجازات النبوية الشريف الرضي، مصطفى الحلبي.

68 – مجمع الأمثال الميداني محيي الدين.

69 – مذكرة في علم الأصول، الطودي، 1933.

70 – المزهر السيوطي، عيسى الحلبي.

71 – معجم الأدباء، ياقوت الحموي، عيسى الحلبي.

72 – معجم الشعراء المرزباني، عيسى الحلبي.

73 – المفضليات الضبي، دار المعارف.

74 – مقامات الحريري، الحريري، بيروت.

75 – الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال، 1965.

76 – الموشح، المرزباني، نهضة مصر.

77 – نهاية الإيجاز، الفخر الرازي، 1317 ه.

78 – نهج البلاغة الإمام علي الشعب.

79 – النكت الرماني، دار المعارف.

80 – نهاية الأرب النويري، دار الكتب.

81 – وفيات الأعيان ابن خلكان 1310 ه.

82 – يتيمة الدهر، الثعالبي، السعادة.

فهرس الموضوعات

- مقدمة المحقق ... 5

- مقدمة المؤلف ... 19

- القاعدة الأولى: في مباحث الألفاظ، وهي مرتبة على قسمين

القسم الأول في دلالة الألفاظ وأقسامها، وأحكامها، وفيه فصول:

- الفصل الأول: في دلالة اللفظ على المعنى ... 29

- الفصل الثاني: في تقسيم الألفاظ ... 33

- الفصل الثالث: في الاشتقاق ... 44

- الفصل الرابع: في الترادف والتوكيد ... 50

- الفصل الخامس: في المشترك ... 54

القسم الثاني: في كيفيات تلحق الألفاظ بالنسبة إلى معانيها.

فتوجب لها الحسن والمزية وتعدها أتم الإعداد لأداء المعاني وتهي

الذهن للقبول وهو مرتب على مقدمة وجملتين:

المقدمة: وفيها بحثان

- البحث الأول: في حد البلاغة والفصاحة ... 63

- البحث الثاني: في موضوع علم الفصاحة والبلاغة ... 64

الجملة الأولى: في المفردات وفيها مقدمة وأبواب:

- المقدمة: ... 68

- الباب الأول: في المحاسن العائدة إلى اللفظ من حيث هو لفظ.

ويشتمل هذا الباب على فصلين:

- الفصل الأول: فيما يتعلق بالكلمات المفردة ... 69

- الفصل الثاني: فيما يتعلق بالكلمات المركبة ... 76

- الباب الثاني: فيما يتعلق بالدلالة الوضعية والمعنوية، ويشتمل

هذا الباب على فصلو: ... 87

- الفصل الأول: في أحكام الخبر ... 88

- الفصل الثاني: في الحقيقة والمجاز ... 93

- الفصل الثالث: في التشبيه ... 102

- الفصل الرابع: في الاستعارة ... 119

- الفصل الخامس: في الكناية ... 128

الجملة الثانية

في النظم

وفيها فصول:

- الفصل الأول: في حقيقته ... 131

- الفصل الثاني: في أقسامه ... 134

- الفصل الثالث: في التقديم والتأخير ... 142

- الفصل الرابع: في الفصل والوصل ... 150

- الفصل الخامس: في الحذف والإضمار ... 153

- الفصل السادس: في أحكام إن وإنما وما في حكمهما ... 156

ص: 253

القاعدة الثانية

في الخطابة

وفيها أبحاث وخاتمة

- البحث الأول: في حقيقة الخطابة وفائدتها ... 163

- البحث الثاني: في موضع الخطابة وأجزائها ... 165

- البحث الثالث: في مبادىء الخطابة ... 167

- البحث الرابع: في أقسام الخطابة بحسب أغراضها ... 173

- البحث الخامس: في أنواع مشتركة للأمور الخطابية الثلاثة ... 180

- البحث السادس في تحسينات الخطابة ... 184

- خاتمة لهذه القاعدة ... 189

القاعدة الثالثة

في بيان أن علياً عليه السلام

كان مستجمعاً ففضائل الإنسانية،

وفيها فصول

- الفصل الأول: في فضائله اللاحقة له من خارج ... 193

- الفصل الثاني: في بيان فضائله النفسانية ... 204

- الفصل الثالث: في صدور الكرامات عنه ... 209

- المراجع ... 223

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹